
اَللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ
مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية

# اللّغة العربيّة

مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للّغة العربية

العدد الأول

ذو الحجة 1419 – مارس 1999

# الفهرس

كلمة العدد ............................................................7
استهلال: رسالة رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة ..............................8
كلمة السيد رئيس الجمهورية خلال حفل تنصيب المجلس الأعلى للّغة العربية ....10
كلمة السيد رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة ..................................15
نشأة اللّغة العربية العلمية وتطورها .............................................19
أهمية التراث العلمي واللغوي في وضع المصطلح
الحديث ضمن خطة التعليم العالي .............................................34
واقع التعريب في معهد البيولوجيا بجامعة وهران ...............................55
العوامل الخارجية لتطوير اللّغة العربية .........................................60
التعريب والشخصية الوطنية ....................................................101
اللّغة العربية والإعلام واقعها وآفاق تطورها .................................121
اللّغة العربية والتعريب العلمي: آراء وحلول .................................135
الصحافة واللّغة قبل الاستقلال ...............................................167
تعريب التعليم في الجامعات الجزائرية .........................................176
استعمال اللّغة العربيّة: من الإقرار إلى القرار ...............................187
اللّغة العربية بين الواقع والطموح ...............................................194

قوانين

قانون رقم 91 – 05 يتضمن تعميم استعمال اللّغة العربية ....................210

مراسيم تنظيميّة.........................................................221

مراسيم فرديّة ........................................................ 233

أوامر

أمر رقم 96 – 30 يتضمن استعمال اللّغة العربية ............................. 238

استجواب

حديث صحفي أجرته صحيفة «صوت الأحرار» (الجزائر) مع الأستاذ الدكتور

عبد الملك مرتاض رئيس المجلس الأعلى للّغة العربية ........................243

# كلمة العدد

يضطلع المجلس الأعلى للّغة العربية برسالة حضارية ووطنية مستمدة من أصالة الشعب الجزائري، وعمق تاريخه النضالي العريق، وتراثه الغني بالمآثر والمعالم الدالة على الثراء والإسهام المتواصل عبر الأجيال، وقد عمقت ذلك وصاغته أدبيات الحركة الوطنية، وأسس ثورة أول نوفمبر المجيدة ومبادئها العظيمة، فجاءت المادة الثالثة من دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية دالة دلالة عميقة، نصا وروحا ومعنى على ما للّغة العربية من مكانة تاريخية وروحية مكينة واعتزاز للمواطن الجزائري بهذا الانتماء الكريم، كإرث حضاري وبعد روحي وديني بوصفها لغة القرآن الكريم، ولغة العلم والحضارة الإنسانية، وبوصفها أيضا دعامة أساسية للوحدة الوطنية.

إنها المادة التي جاءت في دساتير الجمهورية منذ استرجاع السيادة الوطنية تكريما لكل القوانين الداعية إلى استعمال اللّغة العربية وتعميمها وترقيتها.

محمد لحسن زغيدي

عضو هيئة التحرير

# استهلال

العربية هي لسان الشعب الجزائري الأول، وقدره الأزلي، وأصالته الناضرة وصورته المشرقة، ووجهه الناصع، فمنذ أن يسط الإسلام أجنحته الكريمة على هذا الوطن العظيم تعانق العربان والأمازيغ، فتآخوا، وتزاوجوا، وتقاسموا السراء والضراء، ومضوا ينشرون الإسلام غربا، ففتحوا بلاد المغرب، والأندلس. كما مضوا ينشرونه ومعه العربية في إفريقيا الغربية، فكانوا للجزائريين الأكارم شرف نشر الإسلام ومعه لغة القرآن في الغرب الإسلامي.

ولما جاءت الحركة الوطنية، باتجاهها المختلفة، حسدت هذا الوعي الحضاري بإقرار مبدأ عروبة الجزائر التي باركتها ثورة أول نوفمبر المجيدة، واتخذت منها مقوما أساسيا من مقومات الشخصية الوطنية العظيمة. ولذلك مضى المسؤولون الجزائريون على تكريس هذا خلدت كل الدساتير الجزائرية اللّغة العربية على أنها لغة الشعب الجزائري الوطنية.

وعلى الرغم من المحاولات الاستعمارية التي تشكك في كفاءة اللّغة العربية التكنولوجية والعلمية من وجهة أخرى. وفي انها ليست لغة الشعب الجزائري الذي يتكلمها في معاظم شرائحه من وجهة أخرى إلا ان اللّغة العربية كانت، وتظل، وستظل حتما هي لغة هذا الشعب الكريم الذي لا يمكن ان يتخذ لغة اجنبية بديلا عنها فيفقد هويته، ويضيع كيانه ويظل سبيله الى التطور الحضاري الحق، ذلك بأن أي تطور إذا لم ينطلق من روح الشعب ويستمد جوهره من ضميره وشخصيته لن يكون أبدا إلا سطحيا

من اجل ذلك عمدت المؤسسات الوطنية من وزارات وهيئات إلى تبني اللّغة العربية في التعليم والإدارة، وفي بعض المؤسسات الاقتصادية الخاصة أيضا والعمل على ترقيتها واتخاذها لها لسلنا.

ولقد جاء المجلس الأعلى للّغة العربية ليجسد كل هذه في الميدان، وليسهر على متابعته، وليعمل على ترقية اللّغة العربية في المجالات التي عمدت فيها، بينما سيعمل على تعميمها

أولا، ثم ترقية استعمالها آخرا، في المجالات والمؤسسات التي لا تزال تتردد، أو تجد صعوبة في استعمالها. وسيمضي المجلس، بعون الله، على ذلك إلى أن ينجز مهامه الحضارية وردؤه في ذلك الشعب الجزائري الذي يتحدث العربية. وكل من بتحدث العربية فهو عربي.

وهذه مجلة اللّغة العربية، يزدفها المجلس الأعلى اللّغة العربية إلى الشعب الجزائري، وإلى عامة القراء: صوتا يصدح بالبشر، وصدى تسمعه الأرجاء، ونورا يشع بالمحبة والخير، وشذى يعبق بعطور الربيع، يزدفها وهو يأمل أن تنهض بوظيفتها على خير ما يمكن أن يكون النهوض، فتسهم في تطوير العربية وترقيتها بعامة، وتعزز تعميم استعمالها في الجزائر بخاصة.

فعسى أن يتقبلها الناس قبولا حسنا، ويجدوا فيها ما يفيد ويثقف.

عبد الملك مرتاض

## حفل تنصيب

## المجلس الأعلى للّغة العربيّة

## كلمة السيّد رئيس الجمهورية

## خلال حفل التنصيب

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

- **السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة**
- **السادة أعضاء المجلس**

يسعدني كثيرا أن أشارككم هذا الحدث الهام، في تنصيب المجلس الأعلى للغة العربيّة

أود فبل كل شيء، أن أهنئكم على الثقة التي وضعت فيكم، وهي ثقة تعكس علاوة على قدراتكم وكفاءاتكم في مختلف ميادين العلوم، تمسككم بالغة الوطنية واستعدادكم الدائم للعمل على ترقيتها وازدهارها.

لأود كذلك أن أؤكد على الأهمية الخاصة لهذا الحدث الذي يأتي ليستكمل الصرح المؤسساتي الذي أقدمت الدول الجزائرية على إقامته في إطار مسارها الهادف إلى الحفاظ على الهوية الوطنية وترقيتها بكامل مكوناتها وأبعادها.

وبهذه المناسبة أريد أن أشاطركم بعض الأفكار وأن أعطيكم التوجيهات التي يلهمني إياها هذه الحدث.

**السادة أعضاء المجلس**

إن البعد العربي للهوية الوطنية للشعب الجزائري، يستمد مصدره من القيم الحضارية العربيّة الإسلامية لمجتمعنا، فاللّغة العربيّة التي انتشرت بفضل انتشار الرسالة المقدسة التي تجوب معها الشعب الجزائري بصفة كاملة تشكل إحدى المكاسب الأساسية.

وهذا الصدد، فإن الشعب الجزائري لم يتوان إطلاقا في تقديم مساهمته النيرة في تطوير اللّغة العربيّة، بحيث جعل منها في الماضي غير الوطني، والدفاع ضد المحاولات الاستعمارية المتواصلة لطمس الشخصية الوطنية.

وحتى إذا كانت اللّغة العربيّة قد استعادت مكانتها الاجتماعية والإدارية والمؤسساتية وفق مسار حقق تقدما معبرا منذ استرجاع الاستقلال الوطني، فإن ترقيتها وتطويرها يبقى يطبعه تباطؤ حاد وأحيانا مثير للانشغال في غياب طرح منهجي ومدروس، وسليم لمسألة تطويرها وتعميم استعمالها.

**لهويتنا الوطنية وترقيتها يشكلان خيارا أساسيا كرسه الشعب الجزائري بصفة نهائية في قانونه الأساسي، واضعا** والأخطر من ذلك، فإن مسألة اللّغة العربيّة، لم تسلم، كما هو الشأن بالنسبة للمكونات الأخرى للهوية الوطنية، من بعض محاولات التوظيف السياسوي والفئوي، التي تنطوي على مخاطر حقيقية للإقصاء والتفرقة بين أبناء الوطن الواحد.

لذا، ألتزم بجزم، منذ أن تقلدت مهامي على رأس الدولة الجزائرية على وضع كافة عناصر الهوية الوطنية في مأمن من كل توظيف سياسي، وايديولوجي، وحزبي، بما في ذلك اللّغة العربيّة التي يجب أن تحظى من خلال المؤسسات المعنية للدولة بما يليق بها من ترقية وتطوير، كلغة وطنية ورسمية للبلاد.

وهكذا، فإن البناء المؤسساتي، المتكون من المحافظة السامية للأمازيغية، التي نصبت أكثر من ثلاث سنوات والمجلس الإسلامي الذي نصب منذ حوالي سنة يتدعم اليوم، بهذه المؤسسة الجديدة التي نحن يصدد تنصيبها.

والواقع أن الحفاظ على المكونات الأساسية بذلك الهوية الوطنية في منأى عن كل المزايدات السياسوية أو الحزبية التي هي مصدر محتمل للإقصاء والتفرقة.

وأريد أن أوضح بهذه المناسبة، بأن المسعى المشروع، الرامي إلى استرجاع اللّغة العربيّة مكانتها الحقيقية، واستعادة عوامل تطويرها، لا يمكنه أن يشكل عائقا أمام السعي إلى تعلم لغات أخرى

بالفعل، فإن النجاح المحقق في كافة المسائل المتعلقة بتعميم استعمال اللّغة العربيّة، يملي علينا إعطاء المزيد من التقدير للغات الأجنبية، وتلك هي مسألة حيوية، لا يمكن للغة العربيّة من دونها، أن تساير التقدم الجاري، بوتيرة جد سريعة، وهو تقدم يفرض التحكم في اللغات الأجنبية، وتكييف لغتنا الوطنية، حتى يتسنى لنا متابعة كل التطورات العلمية والتكنولوجية.

أريد أن أؤكد أيضا، على أن مسار تعميم استعمال اللّغة الوطنية يجب ألا يعني أبدا، نفيا لمكونات أخرى من هويتنا الوطنية، ولا رفضا للانفتاح على ثقافات وحضارات غيرنا.

- **السادة أعضاء المجلس**

إن المجلس الأعلى للغة العربيّة الذي تتمثل مهمته الرئيسية في وضع الوسائل الملائمة لتعميم استعمال اللّغة العربيّة، مدعو للقيام بنشاطات شتى، لدعم هذا المسار والمضي به قدما إلى الأمام.

إنه مدعو لإقامة تنسيق شامل بين مختلف آليات المشرفة على وضع هذا المسار حيز التطبيق، وكذا القيام بتقديم دوري لأشغالها، والمساهمة في إعداد واقتراح العناصر العملية التي تشكل الركيزة الأساسية لوضع البرامج الوطنية، التي يتعين تطبيقها في إطار هذا المسار، كما أنه مدعو للمساهمة في ترقية استعمال اللّغة العربيّة في الإدارات والمصالح العمومية.

وهو مدعو أيضا إلى تقدير وتحديد آجال تعميم استعمال اللّغة العربيّة في بعض تخصصات التعليم العالي وكذا، المبادرة بكل دراسة أو بحث يهدف إلى ترقية اللّغة العربيّة وتعميم استعمالها.

إن أهمية الدور المنوط بمجلسكم الموقر، يتطلب منكم الصرامة في المنهجية واللجوء الدائم للتشاور والتنسيق، وخاصة التحلي بروح عالية من الحكمة والرزانة.

وفي هذا الإطار، أود التأكيد أولا، على ضرورة العمل على تجنيد الكفاءات الوطنية العلمية والتقنية، حتى يتسنى لها القيام بالدراسات والبحوث، واقتراح برامج من شأنها أن تساهم في ازدهار اللّغة العربيّة. كما أؤكد على ضرورة تنظيم ندوات وملتقيات ,أيام دراسية حول موضوع استعمال اللّغة العربيّة في كافة المجالات والسهر على استغلال نتائجها ونشرها بكل الوسائل، وإني واثق بأنكم قادرون على تأدية مثل هذه الأعمال التي هي في مستوى التزامكم الشخصي في خدمة اللّغة العربيّة.

ومع ذلك، أريد أن أؤكد على أن أعمالا من هذا القبيل، لا يمكن أن تبلغ أهدافها كلية، إلا إذا التف حولها أكبر عدد ممكن من الكفاءات، وكانت تتدرج في مسار شامل وتدريجي، ومكيف وفق كل حالة.

وعليه أوصيكم بالتحلي والمثابرة والذكاء، والهدوء، والحكمة وكل هذه الخصال التي تتميزون بها بالتأكيد، ستسمح لكم، ان شاء الله، بالنجاح في مهمتكم النبيلة والمثيرة المتمثلة في إعطاء اللّغة العربيّة اشعاعها الحقيقي، بوصفها اللّغة الوطنية والرسمية للدولة الجزائرية ذات السيادة، وشعبها الحريص على الحفاظ وعلى الترقية الدائمة لهويته الوطنية بكاملها.

تلكم هي المهمة النبيلة التي أدعوكم إلى العمل من أجلها، من الآن، وإذ أعلن عن تنصيب المجلس الأعلى للغة العربيّة، وأتمنى لكم كل التوفيق، وكامل النجاح في مهمتكم.

**وشكرا**

# كلمة السيد رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة

بسم الله الرحمان الرحيم

سيدي فخامة رئيس الجمهوريّة،

بسعدني، باسمي الخاص، وباسم زملائي العلماء في المجلس الأعلى للغة العربية، أن نعبر لكم عن عظيم امتنانا، وسامي تقديرنا، وخالص شكرنا، إلا ما نحس به من محبتكم للغة العربية، وتقديركم لرجالاتها الذين خدموها خدمة متفانية في هذا الوطن العظيم منذ أن جاء الله بالإسلام وإلى هذه الأرض الطيبة، إلى يومنا هذا.

ولئن جاء تنصيب هذا المجلس اليوم، برعايتكم السامية، وفي الظروف العصبية التي يمر بها وطننا العزيز؛ فلعله أن يأتي للتعبير، كما قلنا، عن تقديركم للغة الوطنية وعلمائها، وكتابها، ومدرسيها، والباحثين بها، وملايين الطلاب من أبنائنا وبناتنا اللذين يدرسونها من جهة، كما يأتي تكريما ممثلا في أشخاصنا اليوم، لعلماء العربية الجزائريين اللذين كان الاستعمار يتلذذ بصب أسواط الاضطهاد والعذاب عليهم بالأمس القريب، فحرم عليهم أن يتعلموا هذه اللّغة , يعلموها؛ وذلك ابتغاء طمس أحد مكونات الشخصية الوطنية الثلاثة الأساسية: وهي العروبة، بالإضافة إلى الإسلام والأمازيغية.

**سيدي فخامة الرئيس،**

سنتخذ في ثقتكم زادنا في الظروف الصعاب التي ربما ستساور سبيلنا، وتعترض مهامنا؛ نحن نسعى إلى ترقية هذه اللّغة على رقيها، ونعمل على تطويرها على تطورها؛ ونجتهد في الذهاب بها بعيدا حتى تكون كأي لغة عالمية، أو أرقى منها، بعد أن ظلت قرونا طوالا، بالفعل، هي اللّغة الأولى في العالم؛ في ثلاث قارات هي آسيا وإفريقيا وأروبا...

سنجتهد في تنفيذ هذه المهام السامية التي حددها المرسوم الرئاسي لبرنامج المجلس المستقبلي: ولن نألو جهدا في الذهاب إلى أبعد الحدود في تطبيق بنوده؛ آملين أثناء، ذلك أن نجد من حسن التفهم، ومن رحابة الصدر، ومن الحس الحضاري الراقي لدى من يعنيهم أمر تعميم هذه اللّغة في الاستعمال البيداغوجي والإداري والتكنولوجي عبر وطننا الكبير: ما ييسر من صعابنا، ويذلل من مشاقتنا...

**أيها الرئيس الجليل،**

لقد وفيتم بالعهد الذي قطعتموه مسطرا في برنامجكم الرئاسي: والآية على ذلك أن هذا المجلس الذي تنصبونه اليوم هو آخر المجلس في بناء صرح مؤسسات الجمهورية التي لا تمضي بمضي الرجال، ولا تبلى ببلى الزمان: فجزاكم الله جزاء حسنا على ما خدمتم به لغة القرءان العظيم. ورضي الله تعالى عن عمر بن الخطاب حين قال وهو يكتب لأبي موسى

الأشعري: " خذ الناس بالعربية: فإنه يزيد في العقل ويثبت المروءة. فليس الاشتعال بمدارسة اللّغة العربية، إذن إلا من رجاحة العقل، وكمال المروءة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

عبد الملك مرتاض

# نشأة اللّغة العربيّة العلمية وتطورها

**الدكتور رشدي راشد**

**مدير مركز تاريخ العلوم والفلسفات**

**العربية والقرون الوسطى / باريس**

طلب مني أن أتكلم اليوم بموضوع يكاد البحث لم يبدأ بعد فيه، ألا وهو اللّغة العربيّة العلمية، كيف نشأت وكيف تطورت؟ والحديث قد يطول ويتشعب ليعرج بنا على العديد من جوانب الثقافة بل الحضارة العربيّة إبان القرون الثلاثة الأولى. وهذا ما لا أستطيعه لضيق الوقت ولقلة الباع في كثير من الفنون والعلوم. سأقصر الحديث إذن على قليل من المسائل التي فيها وجهة نظر، وهي مسألة الحث والنقل، ومسألة التطور التاريخي للنقل وأخيرا بعض خصائص العربيّة العلمية. ويلزم قبل هذا لفت النظر إلى بعض ملابسات النقل القديم وخاصة تلك المتعلقة بتكون " المدينة العلمية" أو "مدينة العلماء" وتلك التي تشير إلى دور العلوم الإنسانية أو الاجتماعية في تهيئة النهضة العلمية في الرياضيات والفلك وغيرهما من العلوم، وهنا أرجو السماح لي بالتذكير ببعض الحقائق التي يعرفها الجميع.

من المعروف، أن نقل علوم الأوائل وخاصة تلك التي ترعرعت في أحضان الحضارة الهليستينية لم يكن نقلا جغرافيا بل لغوي فقط. فهذه العلوم نمت ونضجت في "اليونان الكبرى"، أعني تلك البقعة من الأرض التي قامت عليها الخلافة الإسلامية. فقد كانت توجد في الإسكندرية دوائر علمية يذاكر فيطب وبعض هذه العلوم، وكانت هناك أيضا على أرض الخلافة مدارس الها ونضبين وقنسرين وجنديشابور وحران عدا الأديرة العديدة ومدارسها، فنقل العلوم لم بكن استيرادا لها بل ترجمة لها من لغة إلى أخرى، ومن المعروف أيضا وجود اهتمامات ونشاطات تعليمية وعلمية في أواخر القرن الهجري الأول وأوائل القرن الثاني، وبدل على ذلك ما روي عن خالد بن يزيد وغيره في هذه الفترة، فمن خلاله تلمح آثار هذا النشاط العلمي، ولكن للأسف لم يصلنا الكثير من أنباء هذا النشاط حتى تشكك البعض فيه. وهذا النشاط التعليمية والعلمي الذي لم بدرس بعد دراسة كافية على الرغم من أهميته لم ينشئ .كما يبدو. حركة علمية، أي تقليدا متصلا واعيا بما يفعل. وعلينا أن ننظر بداية الدولة العباسية لنرى كيف بذأ هنا التقليد الذي سيعم كل فروع المعرف دون استثناء. ولا يمكن فهم هذه النهضة العلمية إلا بالرجوع إلى عوامل عدة سنذكر منها ثلاثة فقط،

أولها هو تشجيع السلطة السياسية والاجتماعية، وهذا يستفاد مما يروى عن خلفاء العباسيين وعن أنشاء بيوت الحكمة والمراصد، ولم يقف الأمر على الخلاء فلقد قلدهم في هذا الأمراء والوزراء. ونذكر جميعا ما قام به بنود المنجم والمدبر على سبيل المثال.

والمقام هنا ليس مقام تفصيل، ولكن لا يفوت على من ينظر في تاريخ الحركة العلمية ملاحظة دور السلطة السياسية في تهيئة الوسائل المادية وتهيئة الباحثين، واستمر هذا النهج بعد تمزق الخلافة وقيام الدويلات المتنافسة، التي معها تعددت المراكز العلمية. فقد أدى كل هذا إلى خلق "المدينة العلمية" بفرقها المتعددة والمتنافسة، فلو أخذنا بغداد في منتصف القرن الثالث لرأينا إحدى صور هذه المدينة العلمية بفرقها: بني موسى وأعوانهم، الكندي وحلفائه، أبي معشو وتلاميذه....

أما العامل الثاني فلقد انبثق من حاجات المجتمع الجديد من مادية وثقافية. فلقد اقتضت الدولة الجديدة الشاسعة بالعلم بأنباط المياه الجوفية، وشق القنوات وإنشاء المدن مد الطرق وتنظيم الدواوين، وجباية الخراج ومسح الأرضين وغير ذلك أدى إلى توحيد النظم الحسابية والاستعانة بالجبر وبفرو الهندسة....

أعني الاستعانة بالعلوم لحل مسائل علمية، كما أدت الفرائض الدينية، من صوم وصلاة وحج... إلى أبحاث فلكية كان لها جل الأثر في رقي علم الهيئة. وأدى علم الميقات والوظيفة الاجتماعية الجديدة – أعني الكتاب – على تقد الحساب والجبر، ويمكن أن نعدد أمثلة أخرى من الطب والكيمياء وعلم الحيل، فالعلم أصبح بتطبيقاته جزءا من الممارسة الاجتماعية، كما كان جزءا من تلك الممارسة عن طريق التدريس والبحث.

أما العامل الثالث الذي أسهم في النهضة العلمية فهو نهضة أخرى سبقتها في العلوم الإنسانية والاجتماعية، أعني علم الكلام وعلوم اللّغة والتاريخ والفقه والتفسير وغيرها.

فثمة ملابسات لها وزنها اكتنفت نشأة هذه العلوم التي أعدت وحثت على الاهتمام بعلوم الأوائل. ولضرب شل على هذا، فلتتكر كتاب العين للخليل وظهور أوى عمل معجمي. كان هذا العمل يقتضي معرفة متقنة بعلم الأصوات وكذلك بمبادئ حساب التوافيق والتباديل لحصر ألفاظ اللّغة. هذا ما أخذ به الخليل وما تعذر فهمه على الكثيرين ومنهم الليث بن المظفر نفسه. وباختصار شديد أثارت هذه العلوم الاعربية الإسلامية العديد من المسائل' التي تطلب حلها الآخذ بعلوم الأوائل وتطويرها، أو ابتكار علوم جديدة –مثل التباديل والتوافيق –لم يعرفها الأوائل. وهيأت هذه العلوم الوسائل اللغوية مما أعد اللّغة العربيّة لاستقبال هذه المعارف الجديدة.

فلنقف الآن قليلا على ظاهرة الترجمة وذلك لبيان ارتباطها بالإبداع وللوقوف على الفترات التي تتقاسم تاريخها.

سادت بين جمهرة المؤرخين نظرة حول تاريخ العلم في فترته العربيّة، وظنوا أنه تتوزعه ثلاث مراحل: الأولى للترجمة والثانية للتمثل والاكتساب تتبعها ثالثة للإبداع. وأظن أن هذا الاعتقاد فقد **جانب** الصواب. فإن تأملنا حركة الترجمة العلمية، من فلكية ورياضية على الأخص، **فسنرى** أن هذه الترجمة مرتبطة بالبحث العلمي وبالإبداع. فلم يكن القصد من الترجمة إنشاء مكتبة علمية، الهدف منها إثراء خزائن الخلفاء والأمراء بل لتلبية **حاجات** البحث العلمي. وإذا لم **نـع** هذه الظاهرة حق الوعي' فلن ندرك شيئا من حركة الترجمة العلمية. ويكفي أن نذكر بأن المترجمين أنفسهم كانوا من قاده الحركة العلمية، بل إن بعضهم، من العلماء الخالدين على مر العصور، فمن بينهم: الحجاج بن مطر وثابت بن قرة وقسطا بن لوقا، هذه واحدة. والأخرى أن اختيار الكتب – وكذلك توقيف هذا الاختيار –كانا **وثيقي** الصلة بما يعرض للبحث.

ولنأخذ بعض الأمثلة: عندما ترجم ثابت بن قرة عدة كتب من مخروطات – أبلونيوس سوس وهي أرقى ما كتب **في** اليونانية– كان ذلك لحاجته إليها في أبحاثه الرياضية، وخاصة تلك المتعلقة بحساب المساحات والحجوم، وهنا تجدر الإشارة إلى أن أبلونيوس لم يترجم حتى دعت الحاجة إليه، عندما بحث الحن بن موسى، أستاذ ثابت بن قرة، في حساب مساحة القطع

الناقص، ولنوضح هذه الفكرة بمثل آخر، وهو كتاب المسائل العددية لديوفنطش الإسكندراني. فلقد ترجم هذا الكتاب المسائل الديوفنطسية أو التحليل اللامحدود. ولقد اهتم الرياضيون العرب بهذه المسائل وتعمقوا فيها مما دعا إلى ترجمة هذا الكتاب من اليونانية لمواصلة البحث فارتباط الترجمة العلمية بالبحث ليس حقيقة تاريخية فحسب، بل هو يفسر لنا في مجال الفلك والرياضيات سر نشاط الترجمة على أيدي أعلى الباحثين طبقة، كما يبين لنا بعض خصائص الترجمة اللغوية.

لا مجال للشك إذا في أن نشأة اللّغة العربيّة العلمية تبعت التقاء تيارين للبحث، أحدهما في العلوم الانسانية وخاصة اللغوية منها. والآخر هو تيار البحث العلمي نفسه الذي سلك نهجين متزامنين، أعني الترجمة المرتبطة بالبحث والإبداع أو ابتكار علوم جديدة لم بعرفها القدماء.

علينا الآن تتبع هذين التيارين وإسهام كل منهما في نشأة وتطور العربيّة العلمية. وهنا يجب التمييز بين أحوال متعددة سنعرض لبعضها فقط. فهناك العلوم اليونانية الصرفة التي نقلت إلى العروبة، وهذا مثل علم المناظر، فالمناظر هي يونانية الأصل ولا نعرف لها أصولا أخرى. وهناك العلم الذي ابتكر في العربيّة وتطور فيها، مثل الجبر، سآخذ إذا هذه الأحوال الثلاثة لبيان كيف تطورت العربيّة العلمية بين الترجمة والبحث، وسأبدأ بالمناظر.

في هذا الميدان كما هو الحال في الميادين العلمية الأخرى – وخلافا لما يكتب، يجب علينا النظر إلى الترجمة لا على أنها واقعة تاريخية، بل على أنها حركة تاريخية، أعني ذات فترات ومراحل وتطور داخلي، وبعبارة أخرى إذا اعتبرنا الترجمة واقعة، فسيغيب عنا أشكال مهمة من تكون اللّغة العلمية وتطورها، أما إذا اعتبرناها حركة ذات فترات فسندرك حينئذ تطور هذه اللّغة، وسنعرف أين ومتى تكون الجزء الأساسي من معجم كل علم من العلوم، وإذا رجعنا إلى علم المناظر سنرى بوضوح أن حركة الترجمة فيه مرت بمراحل عدة غلب على الأوائل منها النقل الحرفي واللجوء إلى صيغ تركيبية واشتقاقية ليست كما يقال عربية الأصل، والأخذ بالتعريب أحيانا، ولوصف هذه المرحلة يمكننا استعارة عبارة الكندي المشهورة في قوله: "إن هؤلاء المترجمين كانوا ينقلون كلمة كلمة دون اعتبار التركيبات العربيّة، وتلت هذا المرحلة مرحلة أخرى سعى فيها الناقل إلى التخلص من أغلب هذه التركيبات، وأراد تصحيح الأسلوب حتى يتسق مع العربيّة، وتلت أحيانا هذه المرحلة الثانية مرحلة أخرى أراد فيها المترجم أن يصل بالنص إلى الإتقان العلمي والإتقان اللغوي معا.

ولبيان خصائص هذه المراحل سأرجع إلى دراسة الانعكاس على المرايا في القرن التاسع الميلادي، وهذه الدراسة ذات وجهين: الوجه الأول هو المرايا المحرقة والآخر هو المرايا لدراسة الإبصار بها، ولنبدأ بالمرايا المحرقة، وبكتاب العالم البيزنطي أنثاميوس الترالي. ترجع الترجمة الأولى لهذا الكتاب إلى ما قبل نصف القرن الثالث، ولقد حالفنا الحظ في العثور على جزء منها في السنوات السابقة.

واستشهد الكندي بهذه الترجمة في كتابه " في الشعاعات"، ومن ثم يبدو أن البحث في المرايا المحرقة قد تبع أو تزامن مع هذه الترجمة، والنشاط البحثي في هذه الميدان سيحث على ترجمة كل ما كتب علماء اليونان فيه، مثل ديوقليس ودتروميس وديدموس... وأغلب هذه النصوص لم تصلنا إلا بالعربيّة، فلقد فقدت أصولها اليونانية، هذه هي البيئة التي ترجم فيها كتاب أنثاميوس لأول مرة، وعند الفحص المتأني لهذه الترجمة ومقابلتها بالنص اليوناني الذي وصلنا، سنجد أنها ترجمة الكلمة بالكلمة، فهي حرفية وركيكة يصعب أحيانا فهمها، ولإيضاح الفكرة فلنأخذ بعض الأمثلة.

ينقل المترجم:

بالعبارة التالية "وليفعل علامة ح"، فهو أذن يترجمه ب "فعل" وهو ركيك، هل أراد المترجم تجنب "وهم"؟ لماذا إذا لم يأخذ ب"جعل" أو بـ "كان" ، وهو أقل الإيمان.

ولنقر كل الجملة في الترجمة:

"فمنى ما نحن توهمنا مرآة ذات سطح مستو في موضع خط ح ز المستقيم موقعا للشعاع الذي دلائله بـ زه على مرآة زح ط، أزعم أنه يعطف راجعا إلى موضعا"

وقراءة هذه العبارة تبين لنا بوضوح بعض خصائص هذا النقل القديم، كان الأفصح أن يقول " متى ما توهمنا" أو "فإذا توهمنا" عوضا عن "فمتى ما نحن توهمنا"، كما كان من الأفصح أن يقول " على موضع خط" بدلا من "في موضع خط، كان عليه أيضا أن يقول "وكانت مر أو ز ح ط موضع خط" بدلا من " في موضع خط". كان عليه أيضا أن يقول "وكانت مرآة ز ح ط موقعا لشعاع دلائله ب ز هـ، فأقول إنه ينعكس إلى موضع آ" بدلا من "موقعا للشعاع الذي دلائله ب ز هـ على مرآة ر ح ط، أزعم أنه يعطف راجعا إلى موضع آ"

ومما يجب أن نلتفت إليه أن اللجوء إلى كلمة "أزعم" لترجمة سيختفي تماما بعد ذلك، وستختفي أيضا عبارة "عطف راجعا" لترجمة ليحل محاها كلمة "عكس" ويلاحظ أيضا أن هذه

الترجمة الركيكة تحاول التعبير حرفيا عما تتضمنه الكلمة اليونانية والتي يمكن أن نقل إلى الانجليزية بـ  أو إلى الألمانية.

والمثال الأخير الذي نقدمه من هذه الترجمة هو العبارة التالية: " وكأنا صيرنا ح وخط ح ا مركزا وبعد الدائرة حططنا عليه". وهذه العبارة هي نقل حرفي للنص اليوناني، ولهذا لا يمكن بحال إدراك المعنى المقصود. وكان على الناقل أن يقول " وكأنا صيرنا ح مركزا وخططنا عليه ببعد خط ح ا دائرة". من الواضح إذا أن العربيّة العلمية في هذه المرحلة هي يونانية الصورة عربية المفردات، وإن كانت هذه المفردات لا تعبر أحيانا عن المعنى المقصود.

فلم يكن من الممكن بل من المتصور مع الشغف والاهتمام باللّغة العربيّة أن تقبل مثل هذه الترجمات، وخاصة بعد تعارف علماء اللّغة على قواعدها وأحكامها، بل بعد أن تعارف أصحاب العلوم المختلفة على هذا. فهؤلاء لم يكن لهم أن يقبلوا أن يطرأ على اللّغة العربيّة الاستحالة والفساد. فلزم إذا ترجمة جيدة وهذا ما تم. فلقد ترجم نص أنثاميوس مرة ثانية سعى فيها الناقل إلى الرجوع إلى أحكام العربيّة وقواعدها. ولنأخذ من هذه الترجمة الثانية ثلاثة أمثلة.

ترجم صاحب النقل الأول العبارة اليونانية  " موضح حينما طلب من" ومن الواضح أن ظرف الزمان "حينما" لا محا له هنا، ولهذا سيختفي من الترجمة الثانية.

ونقرأ أيضا " في الترجمة الأولى العبارة التالية "كالخط االآخذ من علامة آ إلى علامة ب"،

يعني الخط الخارج من نقطة آ إلى نقطة ب، فكلمة "الأخذ" هنا لا تهبر عن المعنى، ولهذا حاول الناقل الثاني أن يتفادى الأمر، فكتب "كهيئة خط اب"

أما المثال الثالث، فهو هذا الذي نقرأه في الترجمة الأولى

"فلنضع رسم لهذا الخط لكيما إذا هيء الأمبولوس الذي يواجه به الرسم، تمت صنعة المرآة".

وهذه العبارة لا تكاد تكون عربية ولا أظن أ، المترجم الأول أدرك المعنى المقصود. وتعريب كلمة  وهي من الكلمات اليونانية النادرة  يحبذ ذلك.

ونقرأ في الترجمة الثانية هذه العبارة:

"فلنضع رسم الخط، إذا هيء علية وامتثل على الأمبولوس، تمت صنعة هذه المرايا".

والجدير بالذكر هنا هو تعديل العبارة وذلك بحذف "لكيما" وإحلال "إذا" الشرطية وإدخال كلمة "امتثل". وهذه الأخيرة بجوار الكلمة المعربة تبين أن المترجم قد اقترب من معنى الكلمة اليونانية والتي تعني هنا "مسطرة" بمعنى نموذج أو قالب.

ربما كان للبحث الذي قام به كل من الكندي وقسطا بن لوقا وغيرهم في هذا الميدان أثر في إعادة الترجمة وإتقانها لغويا وعلميا. فمنذ منتصف القرن الثالث والبحث في هذا الميدان على أشده، وهذا الأثر لا يمكن إنكاره إذا فحصنا الترجمة الثالثة لكتاب أنثاميوس والتي ضمنها أحمد بن عيسى من علماء أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع كتابه. والنقل الثالث هو نقل دقيق في أسلوب عربي مسلس، وهو أقرب نقل إلى النص اليوناني الذي بين أيدينا.

يبدو إذا أن البحث لم يلازم الترجمة فحسب بل مساعد على تقدمها واتقانها، فلقد ذكرنا أن الكندي وقسطا أسهما في تطوير دراسات المرايل المحرقة، وألف الكندي عدة رسائل مهمة منها كتابه " في الشعاعات"، ففي هذا الكتاب لم يتردد الكندي في أن ينتقد أنثاميوس الذي استلهمه في بحثه ليذهب بعيدا عنه. ففي صدر كتابه هذا يقول الكندي:

" وقد كان يجب على أنثاميوس ألا يقبل خبرا بغير برهان في التعالية وفي صناعة الهندسة خاصة، ولا يوجب أيضا شيئا بغير برهان، وقد مثل كيف يعمل مرآة تنعكس منها أربعة وعشرون شعاعا على نقطة واحدة، ولم يبين كيف كون النقطة التي يجتمع عليها الشعاع على أي بعد شئنا من وسط سطح المرآة.

ونحن ممثلون ذلك على أوضح ما يمكننا وأقربه، ومبينوه بالبراهين الهندسية، والجهة الأخرى التي ذكر على أوضح ما تبلغه طاقتنا، ونتمم من ذلك ما كلن ناقصا، فإنه لم يذكر بعدا مفروضا، ونرتب ذلك بعد أن نأتي بموضع غايتنا نحن، ليكون فهم ما قال سهلا على من أحب فهمه من محبي التكثير في المعلومات.

أخذ الكندي على عاتقه تحقيق هذا المشروع العلمي الذي اقتضى التقدم بالمادة وباللّغة في فصل المرايا المحرقة من علم المناظر، فمع الكندي وقسطا أرسيت قواعد اللّغة العربيّة لهذا الفرع. وهكذا نرع أن عربية المرايا المحرقة هي نتاج لعلاقة معقدة بين الترجمة والبحث.

لم يقف الأمر على هذه البداية، بل سيختلف فيما بعد عما كان عليه في القرن الثالث سيخبر بغد هذا دور الترجمة لتترك المكان كاملا للبحث، هذا ما سيحققه في القرن الرابع العلاء بن سهل – عندما قدم أول دراسة في التاريخ عن النظرية الهندسية للمرايا والعدسات

المحرقة، ولكن هذه قصة أخري. وما تم في فصل المرايا المحرقة، تم نظيره في المناظر. فلقد ترجم أيضا كتاب أوقليدس، وأثبتنا أنه ترجم مرتين على الأقل واستلهمه في القرن الثالث كل من قسطا والكندي، وكانت هذه الترجمات من أجل البحث، ومن ثم فقد نقدها الكندي في سفر ظل مجهولا حتى حالفنا الحظ مرة أخرى فعثرنا عليه، عنوانه دليل ما يتضمنه من مشروع علمي وهو" في تقديم الخطأ والمشكلات التي لأوقليدس في كتابه الموسوم بالمناظر، ويبدأ الكندي كتابه بالكلمات التالية

"سألت وفق الله لدرك الحق، رسم كتاب في صناعة أوقليدس الموسومة بالمناظر وتقويما ما رأينا فيها من الخطأ وإيضاح مشكلاتها".

وهنا أيضا من خلال هذه العلاقة المعقدة بين الترجمة والبحث أرسيت قواعد لغة هذا الفصل من المناظر الهندسية ومصطلحاته، سيظل الأمر على هذا حتى يكتب ابن سهل ثم ابن الهيثم خاصة فصولا جديدة من المناظر فم فيها تطوير العلم واللّغة في نفس الوقت، منها فصل عن العدسات والانكسار وفصل عن تكوين الخيالات وفصل عن وسائل الاعتبار والتجريب وغيرهما.

أما الحالة الثانية التي نريد أن نعرض لها الآن فهي الجبر ولغته، فعلى عكس المناظر لم يكن للجبر أصول يونانية أو هندية، بل ظهر لأول مرة في التاريخ علما مستقلا له موضوعاته ومصطلحاته في كتاب محمد بن موسى الخوارزمي قبل نهاية الثلث الأول من القرن التاسع الميلادي، ولا أعني بذلك أن الخوارزمي لمن يرجع إلى أصول كانت مستعملة في هذا أو ذاك الطور من أطوار الرياضيات، ولكن أقصد أنه لا يمكن رد مضمون كتابه إلى ما قبله. فقد كان هدف الخوارزمي هي صياغة نظرية للمعادلات الجبرية التي يمكن حلها باللجوء ‘إلى الجذور، فكان على الخوارزمي بناء لغة يمكن التعبير بها عن موضوعات عدة في نفس الوقت أعني عن الأعداد الحسابية والمقادير الهندسية على السواء.

كان عليه أيضا تصور تركيبات لغوية جديدة لا تعرفها لغة الأدب بالمعنى القديم ليعبر بها تعبيرا دقيقا عن هذه الموضوعات وعن أسلوب العلم الجديد. كيف حقق الخوارزمي هذا؟.

يستهل الخوارزمي كتابه تعريف ما نسميه اليوم " الحدود الأولية" لنظريته. هذه الحدود هي المجهول الذي أطلق عليه اسم "الشيء" أو "الجذر"، ثم مربع المجهول الذي هو "المال". وكلمة "الشيء" هي كلمة عامة تنطلق على كل ما له ماهية وهي أعم من كلمة "الموجودة"

كما سنرى مع الفارابي وابن سينا بعده، أما كلمة " المال" فهي تدل على ما يمتلك وما يكتسب من الذهب والفضة، ولهذا أخذ بها لترجمة اليونانية التي تعني قيمة العملة النقدية.عرف الخوارزمي كذلك العدد، وهو العدد المنطلق الموجب، ثم القوانين الحسابية الأولية وأخيرا علاقة التساوي.

أدخل الخوارزمي بعد هذه "الحدود الأولية" المفاهيم التالية: معادلة الدرجة الأولى، معادلة الدرجة الثانية، ثنائية الحدود وثلاثيتها الملازمة لهذه الضروب من المعادلات "الجبر والمقابلة" لرد المعادلة إلى صورتها القانونية، الحل الخوارزمي للمعادلة برهان صيغة الحل عن طريق الهندسة، أعني عن طريق تطابق المساحات، وسمي الخوارزمي هذه البراهين "بعلل" الحل.

من الطبيعي، بل من المتوقع، أن تتضمن هذه اللّغة الجديدة تراكيب وأساليب لصياغة الخوارزميات ولإقامة عللها، وأن لا تلجأ في اختيار مفرداتها إلى التعريب، ولعل الكلمة المعربة الوحيدة في كتابه هي كلمة "جنس" التي كانت في هذا الوقت وما قبله إحدى مفردات العربيّة، فالغالب على الخوارزمي عند اختيار مفرداته هو التخصيص، أعني الأخذ بمعنى جديد للفظ بتخصيصه كما رأينا مع الكلمات السابقة، أما عن التراكيب والأساليب الجديدة التي لم تعرفها لغة الأدب فهي تنتهي إلى لغة اتفاقية منتظمة، أعني إلى لغة في منزلة بين المنزلتين الطبيعية من ناحية والصورية من ناحية أخرى، فاللّغة الجديدة هي لغة طبيعية لا تخالف الأصول الوضعية التي استقرت عليها الفصحى ولا تتضمن أية وموز، ولكن التخصيص أعطى كلمة مضمونا اتفاقيا محددا، وركبت العبارات أيضا بطريقة اتفاقية ومنتظمة عليناأن نلجأ لها نفسها... في كل حال، ولننصت إلى الخوارزمي عند عرضه لإحدى خورزمياته لحل معادلة "مال وعسرة أجذاره يعدل تسعة وثلاثين درهما". يقول الخوترزمي:

"فبابه أن تنصف الأجذار، وهي في هذه المسألة خمسة، فتضربها في مثلها، فتكون خمسة وعشرين، فتزيدها على التسعة والثلاثين، فتكون أربعة وستين، فتأخذ جذرها، وهو ثمانية فتنقط منها نصف الأجذار، وخمسة، فيبقى ثلاثة، فهو جذر المال الذي تريده والمال تسعة"

وإذا تأملنا هذه العبارة وأسقطنا منها القيم العددية، ظهرت لنا بجلاء الصورة الاتفاقية المنتظمة لهذه التركيب.

وأدخل الخوارزمي كذلك بعض العبارات المختزلة مخالفا في ذلك الأسلوب اليوناني الأصل لصياغة المسائل والأمثلة والبراهين، فعادة ما يبدأ المسألة بإحدى العبارات التالية: "فإن قال"، "فإن قيل"، "فإن قال قائل"، "مسألة ".

وعادة ما يلجأ إلى صيغة المخاطب "إن أردت، أعلم أن، أن أحببت..." وكثيرا ما يبدأ الحل بعبارة مثل، "قياس ذلك"، كل هذه العبارات وأمثالها لا نجدها في النصوص المترجمة ولا في كتب الرياضيين اللذين تأثروا بالإرث اليوناني، وستكون لغة الخوارزمي هذه هي أصل لغة الجبر وفروعه على الرغم من التطور الهائل الذي سنذكر باختصار شديد ببعض سماته.

أخذ خلفاء الخوارزمي المباشرون بلغة جبره، ولجأوا إلى نفس القواعد في الاشتقاق، إلا أ،هم استعاروا ببعض العبارات من هندسة أوقليدس في أثناء العرض، وذلك لحرصهم على البرهان الهندسي للخوارزميات، وهذه الاستعارة لم تغير كثيرا من اللّغة الجبرية. وعل أهم ممثل لخلفاء الخوارزمي هو الرياضي المبدع شجاع بن أسلم المعروف بأبي كامل، فقد أضاف أ[وكامل فصلا جديدا إلى الجبر وهو ما سماه بالمسائل السيالة أو المسائل غير المحدودة والتي يعني بها "أن تخرج بصوابات كثيرة، بقياس مقنع ومذهب واضح"، وسيكون هذا الفصل من أهل فصول الرياضيات فيما بعد، وهو الذي سيسميه الكرجي فيما بعد "في الاستقراء".

بدأ الجبر كما بينا بلغة ناضجة أصيلة لا أثر فيها للعجمة، حرص فيها الخوارزمي على دقة التعريف وعلى صورنها المنتظمة حتى لا يكون هناك تقدير أو تأويل، وظل الأمر هكذا مع خلفاء الخوارزمي وتطور الجبر بعد ذلك ولغته معه، دون أن تفقد شيئا من فصاحتها على الرغم من تلقيحها بلغة الهندسة، أعني لغة كتاب الأصول لأوقليدس والمخروطات لأبلونيوس وكتب المسائل العددية لديوفنطس.

وإذا أمعنا النظر في كتب الجبر بعد الخوارزمي تبين لنا أن الجبر طور حسب نهجين، أولهما هو ما يمكننا تسميته "بحسبته" الجبر والثاني "بهندسة" الجبر. فقد سعى الجبريون من التيار الأول إلى تعميم العمليات الجبرية على المقادير الصم مما أدى إلى تجديد المادة . ظهر هذا المشروع هو الدراسة المنهجية لتطبيق قوانين علم الحساب، وبعض خوارزميات هذا العلم على العبارات الجبرية مفردة كانت أو مركبة حسب لغة العصر، أي وحيدة الحد، أو كثيرة الحدود، اقتضت هذه الدراسة بدورها تطوير فصل آخر من الجبر ألا هو وحساب التباديل والتوافيق.

ولازم هذه الدراسة أيضا – كما كان من المتوقع – دراسة بعض أشكال المقادير المركبة التي يزيد فيها عدد المجاهيل على عدد المعادلات، أي هذا الفصل الجديد الذي بدأه للعربية أبو كامل أعني المسائل السيالة.

فلم تعد لغة جبر الخوارزمي قادرة على استيعاب هذه الفصول الجدية

والتعبير عنها، وكان من الطبيعي إذن أن يتم تطوير وإغناء هذه اللّغة، وهذا ما تم.

استعار الكرجي لغة الكتاب العاشر من أصول أوقليدس وعممها، وكذلك عبارات أوقليدس في بعض الكتب الأخرى، ولفهم هذه الاستعارة نأخذ مثلا واحدا، يقسم أوقليدس الخطوط المفردة ثلاثة أقسام: الأول هو المنطق بالطول والثاني هو المنطق بالقوة، وهو الذي يتعرف بإضافته إلى مربع هو الثالث وهو ما سماه الموسط وهو الذي يتعرف بإضافته مال مال، ولا يشارك بعضها بعضا، ولإيضاح الفكر؟ هو منطق بالطول؟ منطق بالقوة إن كان؟ منطق بالطول؟ موسط إن كان؟ منطق. ولكن هذا لا يكفي بدوره ما يريد أن يذهب إليه الجبري، فالكرجي يريد أن يبحث في الخطوط والأعداد على السواء وليس في الخطوط فقط، هذه واحدة، والأخرى أنه لا يكتفي بهذا في الجبر لسعته، لهذا يكتب الكرجي:

"فأقول إن المقادير المفردة بلا نهاية، فأولها المنطق بالإطلاق مثل خمسة، والثاني المنطق بالقوة مثل جذر عشرة، والثالث المعروف بإضافته إلى كعبه مثل ضلع عشرين، والرابع الموسط وهو المعروف بإضافته  إلى مال ماله مثل جذر جذر عشرة، والخامس ضلع مال الكعب، ثم ضلع كعب الكعب، وعلى هذا ينقسم إلى ما لا نهاية".

من البين إذا أن الكرجي لا يكتفي بما أخذه من أوقليدس، بل يعرف بصورة عامة كل المقادير المفردة، وسيقوم بنفس العمل فيما يخص المقادير المركبة،

عمت هذه اللّغة كل الجبر الحسابي بعد الكرجي، وطروها في نفس الاتجاه الجبريون الحسابيون من بعده، ومن بينهم السموأل بن يحي المغربي وكمال الدين الفارسي وغياث الدين الكاشي ومحمد بن باقر اليزدي...إلخ

ومن جهة أخرى قام عمر الخيام ومن بعده شرف الدين الطوسي بتطوير لغة جبرية أخرى ألا وهي لغة الهندسة الجبرية، وذلك بالأخذ بلغة الجبر الحسابي وبلغة الهندسة وخاصة لغة القطوع المخروطية وبصياغات جديدة فرضها البحث وخاصة بعض العبارات التحليلية اللازمة للبرهان على وجود الجذور، مثل عبارة "العدد الأعظم" و"مقدار التفاوت" وغيرهما.

وتوضح لنا كل هذه الأمثلة كيف أخذ الجبريون بعبارات السلف – الخاصة بالقوى الجبرية والعمليات الجبرية لإثرائها بعبارات هندسية فسرت تفسيرا جبريا– كما هم الحال مع الكرجي وتفسيره للكتاب العاشر من أصول أوقليدس، والخيام والطوسي وتفسير مخروطات أبلونيوس خاصة.

وكان تقنين هذه اللّغة – أو اللغات – الجديدة هو الطريق الوحيد لتلافي العقبات التي تثيرها اللّغة الطبيعية للكلام عن المعاني الرياضية. فلا يمكن بحال في الرياضيات خاصة عزل المعاني عن اللّغة التي بها تصاغ، كما لا يمكن تطوير هذه اللّغة بعيدا عن المعاني التي يأتي بها البحث الرياضي.

وقبل أن أنهي كلمتي هذه أود أن ألفت النظر إلى الحالة الثالثة، وفيها نرى أثر البحث الواضح والعميق على الترجمة ولغتها، فقد حدث مرارا أن نقل إلى العربيّة أحد النصوص الأمهات واستعمل في حقل ابتدع وطور في العربيّة قبل الترجمة، وسآخذ على مثل نقل كتاب ديوفنطس الإسكندراني.

وسبق لي أن ذكرت ما قام به خلفاء الخوارزمي من بعده من تطوير باب جديد من أبواب الجبر، أعني المسائل السيالة أو غير المحدودة، ورأينا ما وصل إليه هذا البحث من رقي مع أبي كامل، ولقد أثار هذا البحث الجبري وما وصل إليه من نتائج الاهتمام بما بمكن الاستفادة منه من التراث اليونانيين في هذا الحقب.ولكننا نعرف أن رياضيي الإسكندرية، واليونان بل والعالم القديم بأسره لم يمكنه تصور هذا العلم الذي بدأ مع الخوارزمي. هذه واحدة، والأخرى أن كتاب ديوفنطس لا يأخذ على عاتقه بناء نظرية عامة للمعادلات الجبرية من الدرجتين الأولتين مثلا، ولكنه يعالج مسائل عددية مثل: "نريد أن نجد عددين مربعين يكون مجموعهما عدد مربعا" أو، " نريد أن نجد عددين إذا ضربناهما في عدد مفروض كان الذين يجتمع من ضرب أحدهما فيه عددا مكعبا ومن الآخر ضلع ذلك المكعب"... هذه المسائل العددية إن أولت تأويلا جبريا غدت من المسائل الجيرية السيالة.

ولم يكن لمثل هذا الكتاب أن يغفله من يبحث في المسائل السيالة، وكان إذا مع المتوقع أ، ينقل إلى العربيّة، وهذا ما قام به قسطا بن لوقا البعلبكي في الثلث الأخير من القرن الثالث، ففي خلال العقد الذي كتب فيه أبو كامل كتابه في الجبر في القاهرة، نقل قسطا في بغداد كتاب ديوفنطس من اليونانية إلى العربيّة، ولم بتردد قسطا في نقل هذا الكتاب بكلمات وبعبارات

الخوارزمي، مما يعني أنه قرأه قراءة جبرية صرفة تتنافى مع نية ديوفنطس وقصده، بل أ، قسطا عدل عنوان الكتاب أحيانا كن "المسائل العددية" إلى "صناعة الجبر".

وهكذا ترجم قسطا بـ "شيء" و بـ "مال" والتي تعني ضلعا أحيانا "بجذر"، ولم بتوان قسطا أن يترجم العمليات نفسها بكلمات الجبر، فعندما يقول ديوفنطس "زيادة ما كان ناقصا على كلتا الناحيتين" بكتب قسطا "الجبر"، "تجبير"... وعندما يقول ديوفنطس "إلقاء ما كان متساويا من كلتا الناحيتين "يكتب قسطا "المقابلة"، "قابل"...ألخ

ويتضمن إذا مثل هذا النقل الذي لحق بالإبداع ولا يتزامن معه، التفسير والتأويل، ولكن هذا النقل المتأخر قد أعنى المادة واللّغة أيضا، فلقد أمد الرياضيين بمسائل جديدة وفتح أبوابا ليس المجال هنا مجال ذكرها أما عن اللّغة فقد وفر لهذا الباب من الرياضيات تعبيرات جديدة أغنت مفرداته مثل عبارة "المساواة المثناة"، وستكون هذه اللّغة هي لغة الحقل في القرن الرابع وما بعده.

بينت لنا الحالات السابقة وما صحبها من أمثلة خطأ التقليدية، أعني ما يمكن تسميته بقانون الحالات الثلاث "ترجمة ثم تمثل ثم إبداع"، وأن الإبداع هو رفيق الترجمة أحيانا يسبقها أحيانا ويزامنها أحيانا ويلحقها أحيانا أخرى، وهو في كل الحالات الطريق الذي لا مفر منه لخلق لغة علمية، وكان هذا على تصاريف الأحوال هو النهج الذي تبعته نشأة العربيّة العلمية وتطورها.

# أهمية التراث العلمي واللغوي في وضع المصطلح الحديث ضمن خطة التعليم العالي

الأستاذ الدكتور: عبد اللطيف عبيد

إنه لمن دواعي سروري أن ألتقي بزملاء أعزاء في هذه الندوة، الكثيرين منهم ألتقي بهم لأول مرة، لنتحاور في مواضيع هامة يجمعنا الحرص على هويتنا وعلى انتمائنا العربي.

لقد مضى الآن أكثر من ثلاثين عاما على العديد من الاجتماعات واللقاءات والندوات الخاصة بتعريب التعليم العالي في الوطن العربي وعلى ما يحيط به من تساؤلات ومشاكل أبرزتها وجهات النظر المختلفة في هذه اللقاءات.

ان ربع قرن قد مضى على شعار «تعريب التعليم العالي عام 2000»، فهل حدث تغيير جذري طوال هذه الفترة؟ وهل كانت هناك فائدة من هذه اللقاءات والتوصيات التي صدرت عنها؟

ان نظرة واحدة على محاور ندوة اليوم تشير إلى أن ايجابيات كثيرة قد تمت في الفترة الماضية فغياب المحاور التقليدية التي وسمت الاجتماعات الماضية لدليل أكيد على أن موضوع تعريب التعليم العالي وضرورته لم يعد موضع نقاش ولا يحتاج للعديد من الندوات والتوصيات. أن الإجماع الذي توصلت إليه اللقاءات السابقة أكد على ان القرار في موضوع تعريب التعليم العالي هو قرار سياسي فقط. وان الصعوبات والمعوقات يتم إزالتها ضمن متابعة واعية وخطة تنفيذية شاملة، لذلك نلتقي اليوم من أجل دراسة بعض المستلزمات العملية التعليم العالي ولا شيء غير ذلك.

يلاحظ من الاجتماعات السابقة إن أغلب التركيز والتخوف من التعريب كان يدور حول تعريب الطب. فالطب نقطة الدائرة بين العلوم المختلفة وهو بما يملك من خصوصية وبما تتمتع به كافة علوم الصحة وتعددها وتفرعاتها والتصاقها بالعلوم الأخرى، وخاصة التصاقها بالحياة اليومية للبشر أعطت مثل هذه الأهمية للطب في مناقشات المؤتمرات السابقة.

لذلك سأتخذ من علوم الصحة ومن الطب محور حديثي لبيان ما أراه ضروريا وكنموذج لدفع العلوم الأخرى في مجال التعريب وسألجأ الى ما يفيدنا في هذا من تجربتنا في سورية والى تراثنا الطبي العربي.

سأعرض عليكم بعضا من خبرتنا التطبيقية والعملية.

بعد هذه المقدمة لابد لي من توجيه تحية من القلب وتحية تقدير واحترام لكل من ساهم وناضل وقدم التضحيات وعمل من أجل تعريب التعليم العالي.

1-1- اللغة العربية «لغة علم وبينها وبين العلم علاقة تكامل لا تنفصم ولا تنقطع، فاللغة بدون العلم لغو لا طائل تحته والعلم من دون اللغة أفكار وتصورات حبيسة لا ترى النور».

اللغة وليدة البيئة، والعلم أيضا وليد البيئة، ولذلك لا يمكن تجزئة أو تجزئة أو تقطيع البيئة الواحدة والفصل بين مكوناتها.

العمر المؤكد للغة العربية أنها تجاوزت الأربعة آلاف سنة وهي اللغة القديمة الحياة الوحيدة في العالم اليوم، وكلما مرت الأيام عليها وكلما اتسعت مجالات استخدامها واحتكاكها باللغات الأخرى، كلما اكتسبت جمالا وسحرا وأصبحت أرق وأرحب وأكثر عذوبة.

واستخدمت اللغة العربية لتطوير الكثير من اللغات وتجد بصماتها في العديد من البلدان المحيطة بالوطن العربي في آسيا وأفريقيا وفي الغرب. أنها لغة «نفوذة» ليست غازية ولا اختراقية، ويعتقد الآن أننا رغم التوسع في استخدام اللغة العربية فإننا لم نتمكن من استخدام سوى 40—50% من إمكانيات هذه اللغة ومن قدراتها.

إن اللغة العربية اليوم هي اللغة الثانية للكثير من الطلاب في الجامعات الأجنبية، بعد اللغة الآم، وهي لغة مرغوبة ومطلوبة في فرنسا وبلجيكا والولايات المتحدة وحتى الصين واليابان حيث تقيم الجامعات فيها أقساما خاصة باللغة العربية.

اللغة العربية اليوم لغة رسمية معتمدة في جميع المنظمات الدولية والمنظمات هذه هي منظمات علمية متخصصة ونوعية.

1-2- افتتح «المعهد الطبي العربي» في دمشق عام 1919 وأقدم أساتذتنا على الانكباب على دراسة تراثنا الطبي العربي وتجربة مصر ولبنان في تعريب الطب، وتمكنوا من اللغة العربية، وبعد ذلك من اللغة فألفوا الكتب الطبية وألفوا المعاجم باللغتين الفرنسية والعربية، ومن ثم حين أضافوا اللغة الانكليزية واقترحوا أيضا على تعريب المراجع العلمية المعتمدة ومازال الكثير من المعاجم هذه قيد التداول وقيد الاعتماد عليها.

درس الطب باللغة العربية الكثير من الطلبة العرب، كما أن الكثير منهم تابعوا الاختصاص في البلاد الأجنبية. وعادوا إلى بلادهم ولم يعرقل ذلك دراستهم الأساسية باللغة العربية والكثير من أطبائنا يعملون في دول أجنبية كثيرة وهم متفوقون في مختلف الميادين العلمية.

1-3- على الرغم مما يجري في الوقت الحاضر من سيطرة للطب الغربي فان العودة للطب التقليدي والاعتماد على «طب الإبر الصينية» أو «المعالجة بالأعشاب» أو «المعالجة الطبيعية» أصبحت ظاهرة واضحة سواء في الشرق أو في الغرب ومازال «الطب العربي» موضع ثقة وإيمان ومازال الأطباء يمارسونه في شبه القارة الهندية والباكستان وان عشرات الملايين من البشر يلجؤون اليه.

إن اللغة العربية اليوم هي اللغة الثانية للكثير من الطلاب في الجامعات الأجنبية، بعد اللغة الأم، وهي لغة مرغوبة ومطلوبة في فرنسا وبلجيكا والولايات ,المتحدة وحتى الصين واليابان حيث تقيم الجامعات فيها أقساما خاصة باللغة العربية.

في شبه القارة الهندية العديد من الأنظمة لممارسة مهنة الطب ومن هذه الأنظمة «النظام اليوناني» وتعريفه أنه الطب العربي. يتخرج أطباء هذه النظام بعد دراسة تتجاوز الخمس سنوات في مدرسة الطب ويعتمد التعليم على الكتب الأساسية في الطب العربي «كالقانون» لابن سينا» وكتاب «الحاوي» للرازي. لقد تطور هذا الطب ونما مع احتكاكه بالأنظمة الطبية الأخرى المعمول بها في الهند والباكستان. إن أسرا كثيرة مازال أفرادها يمارسون الطب العربي نتيجة توارث المهنة عن الآباء والأجداد ودون الحاجة للالتحاق بالمدارس الخاصة، ومازال «الحكيم» يعنون وصفته الطبية هو الشافي وان آخر طبعة كاملة من كتاب «الحاوي» صدرت منذ مدة قريبة في ولاية حيدر آباد الهندية.

1-4- سيطر الطب العربي أكثر من ثمانمائة عام حتى اكتشاف الجراثيم من قبل وثبوت صحة النظرية العربية للعدوى ان العرب هم مؤسسوا علم الأمراض السارية والأوبئة بلا منازع فأبوبكر الرازي هو «أبو الوبائيات العربي» فهو الذي أعطى التسميات وقام بالتشخيص التفريقي للحصبة والجدري وقام بأول بحث ميداني. كما إن ابن سينا قام بالتشخيص التفريقي للأنفلونزا (أنف العنزة) عن الأوبئة الأخرى وعن الأمراض التنفسية الأخرى.

لقد وفرت اللغة العربية التسميات العلمية النوعية للأمراض السارية المختلفة وللأوبئة ومازالت هذه التسميات معتمدة حتى الآن سواء من حيث التعريف والوصف لهذه الأمراض مثل السل–الجزام–الكوليرا–الجدري–الطاعون–الحصبة–الجرب– أنف العنزة (أنفلونزا) — البرداء (الرعداء) والبجل لم يكن في الغرب أي تمييز أو تفريق لهذه الأوبئة حتى نهاية القرن الثامن عشر، بل كانوا يطلقون على الأوبئة تعبير عام (البلاء) أول من عزل «هامة الجرب»

كانوا العرب وأول من تنبأ بوجود الجراثيم هم العرب (ابن الخطيب–ابن الخاتمة) وذلك قبل اكتشاف باستور للجراثيم بأكثر من 500عام.

أن التساؤل الذي يجلب الانتباه هل هناك طبيب في القرون الوسطى يمكن مقارنته بابن سينا أو الرازي أو العديد من الأطباء العرب كابن النفيس وهل يعكن مقارنة البيمارتان ي لبد لعبي بشافي والمصحات في الغرب؟

إن معلوماتنا عن الطب العربي مازالت محدودة جدا ولم تصل بعد إلى الكنوز الأساسية في الطب. إن أغلب معلوماتنا مازالت دراسات وصفية سردية فقط ولم تتطور إلى مستوى الدراسات التحليلية، أو الدراسات المقارنة.

**2–أهمية المراجع العلمية المعربة:**

1–2– المراجع العلمية المعربة ركن أساسي من أركان عملية التعريب للتعليم العالي وهي لا تقل في أهميتها عن المراجع المؤلفة، فكلا النوعين من المراجع تمثل خبرة متكاملة وخبرة ضرورية لعملية التعريب ولتطوير التعليم العالي ولذلك لا يمكن الفصل بين تعريب المراجع تمثل خبرة متكاملة وخبرة ضرورية لعملية التعريب ولتطوير التعليم العالي ولذلك لا يمكن الفصل بين تعريب المراجع العلمية وبين عملية التأليف.

2–2– التعريب ليس عملا جديدا على شعبنا وليس بدعة أو دليل تخلف أو عجز في اللغة أو قصور في التأليف بل على العكس هو مساهمة هامة وإضافية ومشاركة إبداعية في عملية تعريب التعليم العالي، وبالتالي جهود إضافية وخبرات غنية ومهارات لا حدود لها تضاف الى عملية التنمية.

إن تعريب المواجع العلمية مطلب ملح وأساسي ينسجم مع احتياجات المعاصرة ومع الاحتياجات بالانفتاح على العالم ومواكبه المسيرة العلمية المذهلة والمتسارعة وتجاوز لمرحلة التخلف والعزلة.

إن المراجع العلمية التي تترحم سنويا إلى اللغة الانكليزية أو الفرنسية أو الروسية أو الصينية أو اليابانية أو االإسبانية لا يمكن حصرها ولا يمكن حصر اللغات التي تترجم عنها .

2-3- إن المراجع العلمية المعربة ليست بالعمل اللغوي الخالص بل إنها عملية فن وإبداع تهدف إلى توطين اللغة العلمية المتوفرة لدى الآخرين وإيجاد وتوحيد المصطلحات العلمية. ان هذا التوطين يعني توحيد اللغة العلمية العربية في جميع أرجاء الوطن وتوحيد للمصطلحات أيضا. إن التفاهم والانسجام والتنسيق والتكامل هي بعض مزايا تعريب المراجع العلمية لدى الآخرين ويعني أيضا المزيد من التأثر والتبادل الفكري والعلمي ويصبح الاستيعاب والفهم أكثر رسوخا وأكثر سهولة في عملية التعلم والتعليم. وبذلك تخلق اللغة العلمية الواحدة المعاصرة تلبية لحاجات المجتمع.

2-4- لم يعد بالإمكان في الوقت الحاضر حصر المراجع العلمية المعربة أو المطلوب تعريبها، وكذلك لا يمكن حصر مصدرها أو تحديد اللغة كمرجع للتعريب.

إن أدوات أو وسائل أو مستلزمات التعريب لم يعد بالإمكان تحديدها نظرا لتعددها، ننكر منها: الأفلام العادية—أشرطة الفيديو—التجهيزات السمعية البصرية من أشرطة وشرائح وشفافيات، ولعل أهم المراجع العلمية ذات الإمكانيات الهائلة في مجالات التعليم العالي والبحث العلمي هي ولا شك البرامج الحاسوبية والتي يمكن أن توضع تحت تصرف المدرس والطالب والباحث والممارس. ان قدرات هذه البرامج قدرات لا حدود لها، سواء في توفير المعلومات أو التعريب أو توفير اللغة العلمية والمصطلح وباللغة العربية.

إن ما تقصده الأدبيات في تعوضها لموضوع المرجع العلمي المعرب هو ولا شك «الكتاب المرجعي» الذي هو الأساس والمرجع الأول للعلم وعلى مر الزمن بقي الكتاب رفيق العالم والطالب والمدرس والباحث.

2-5- يتعين العلم الحديث بخصائص عديدة، ننكر منها؛ خاصة التفرع السريع وخاصة الشمولية والتكامل مع العلوم الأخرى.

ما يكاد العلم الواحد آن ينشأ حتى يتفرع الى فروع كثيرة، وكل فرع ينقسم مرة أخرى إلى فروع وفروع تالية حتى أنه لم يعد بالإمكان حصر هذه الفروع أو إمكانية أن يلم أحد بأكثر من الجزء الصغير من علمه ومن فرعه وأصبح من الصعب أن تتوفر جميع الفروع العلمية في بلد واحد، ولذلك نقول إن العلم لا وطن له ولا احتكار في العلم والمعرفة ولا لغة واحدة قادرة على أن تكون المصادر الوحيد للموجع العلمي المطلوب تعريبه.

من جهة أخرى برزت ظاهرة التجاذب والتكامل بين العلوم. فالطبيب مثلا بحاجة إلى اختصاصي البيئة وإلى العلوم الكونية الأخرى، يحتاج للمهندس في المياه أو مهندس المدن، والمهندس الزراعي وعلماء الكيمياء والفيزياء والاقتصادي والاجتماع...الخ ليكون عمله ناجحا وقراره صائبا. ومن جهة أخرى فان هؤلاء الاختصاصيين يحتاجون للطبيب في ممارساتهم اليومية لوضع خبرتهم ضمن إطار حماية صحة البشر ووقياتهم من المخاطر.

لعل أبرز ما يؤكد ما تقدم ظاهرة المراكز العلمية الدولية وظاهرة المراكز العلمية المرجعية حيث تضم مجموعات من العلماء ومن أنحاء مختلفة من العالم ومن اختصاصات عديدة يعملون معا كفريق علمي واحد ويصدر عن هذه المجموعات أدبيات علمية موثوقة وكثيرا ما تكون اللغة العربية إحدى اللغات المعتمدة لنشر هذه الأدبيات العلمية، ومن هنا علينا توفير المراجع العلمية المعرية وعلى نطاق واسع.

إن الوضع الحالي خلق لغة علمية واحدة ومشتركة وخلق لغة حوار وتفاهم، ومصطلحات واحدة، وهذه اللغة ضرورية جدا في تعريب التعليم العالي لفهم لغة الآخرين وفكر الأخوين في مواجهة الصعاب ووضع الحلول والمقارنة بالحلول المنسجمة مع احتياجاتنا. هنا أيضا تبرز أهمية توفر مركز عربي للتعريب كمركز دمشق لرصد الطبعات، ورصد اللغة العلمية

والمصطلح والمراجع العلمية الصادرة خارج الوطن العربي، ومن مهام هذا المركز كمؤسسة رسمية المساهمة والحفاظ على اللغة العلمية العربية، وعلى المصطلح العربي الذي يحاول الآخرون فرضه علينا أمر لا ينازعه فيه منازع.

2-6- المراجع العلمية المعربة ضرورة يومية للمدرس في مختلف العلوم تساهم في اغناء معلوماته العلمية وتحديدها، المدرس بحاجة أيضا لتنمية مهاراته اللغوية والعلمية والتدريسية في إيصال المعرفة والمعلومة لطلابه مما يساعده على تطوير أساليب وأدوات التعليم العالي وتحديد المناهج لكي تتلاءم مع احتياجات التعليم القومية ولتلبية حاجات المجتمع في مختلف مجالات التنمية.

2-7- المراجع العلمية المعربة مصدر هام وأساسي في عملية البحوث والدراسات إذ لا يمكن فصل العلم العالي عن البحوث مطلقا. فالمشكلات التي يعاني منها المجتمع العربي مشكلات تحتاج الى حلول محلية منسجمة مع احتياجات المجتمع.

إن الخبرة المستفادة من المراجع العلمية المعرية ضرورية للاستفادة من خبرة الآخرين وكيفية وضع الحلول لديهم في الاوضاع المشابهة.

إن المراجع العلمية المعرية لا يستفيد منها فقط الاختصاصي النوعي، بل هي هامة لكافة الاختصاصيين في العلوم المختلفة، وذلك لخلق لغة علمية واحدة للعلميين كافة وضرورة لخلق لغة حوار وتفاهم مشترك.

2-8- أخذ المصطلح العلمي وقتا طويلا في المناقشات وجلسات الحوار الماضية، ولقد نشأ مع الزمن علم خاص وهو علم المصطلحات. إن الأوضاع الحالية في مختلف المجالات العلمية تفرض سرعة التدخل لإقرار وتبني المصطلح العلمي فكل يوم يدخل ما يقارب العشرين مصطلحا جديدا، ولذلك يلجأ المبدعون للاستعارة من الأسماء والألفاظ والكلمات التي يرغبونها

لنشر إبداعاتهم. ومثال على ذلك ما نلاحظه من مصطلحات في العلوم الحاسوبية مثل فأرة – النافذة – الإيقونة — الإدخال– التخزين— الإخراج – الشريط—الاستعداد...الخ.

هنا أيضا تبرز أهمية توفر المركز العربي للتعريب في ملاحقة من التطورات ذلك أن المراجع العلمية المعربة ذات أهمية كبيرة للإبقاء على الاتصال الدائم مع المراكز الدولية المعنية بالمصطلح ولا يمكن أن يقوم بهذه المهمة سوى المركز العربي للتعريب.

لدى منظمة الصحة العالمية مثلا مراكز علمية معتمدة لديها وفي مختلف أنحاء العالم لتسمية الأمراض ومراكز أخرى لتصنيف الأمراض وأحيانا كثيرة تجمع المنظمة العلماء في لجان متخصصة لوضع المصطلحات والتسميات كما حدث في موضوع (فيروس عوز المناعة البشري) أو في تسمية مرض: متلازمة عوز المناعة المكتسب (الإيدز).

**3— مستجدات وتحديات في مجال التعريب:**

3-1- تنامت في السنوات الأخيرة حركة تعريب المراجع العلمية خاصة منها المراجع الطبية وبشك يسبق لها مثيل في مختلف الاختصاصات. واكبت ذلك عملية نشر واسعة للأدبيات العلمية ومن يراقب حركة النشر والترجمة يلاحظ فورا إن الكتاب العلمي المعرب خاصة يلاقي رواجا ويأتي بالمرتبة الأولى في قائمة المبيعات، مما أدى إلى تضاعف حركة الترجمة والنشر. والغريب أن أكثر المراجع العلمية المعربة تصدر في بلدان عربية مازال التعليم العالي فيها يتم باللغة الأجنبية.

لم تأت حركة الترجمة والنشر عفوا، بل صدرت عن حاجة أساسية لأصحاب الاختصاص، وأيضا لطلب متزايد لأفراد المجتمع. إن البشر يطالبون يوميا باللغة العلمية

المبسطة وبالمصطلح السهل استيعابا وتداولا. فالبشر اليوم يعيشون ضمن مخاطر لا تحصى، كمخاطر البيئة ومخاطر السموم والكيماويات والأشعة والتجهيزات المعقدة والخطرة في المنزل التي تحتاج للفهم والاستيعاب حتى يمكن حماية البشر والأسرة والوقاية والأذى الذي يحيط بالإنسان أينما ذهب، فالمعلومة الطبية يحتاجها البشر والمعلومة عن البيئة والمعلومة الهندسية يسعى إليها الإنسان أيضا. ألا يجب أن يعرف الناس شيئا عن السلوكيات الضارة وعن مخاطرها؟.

إننا نتساءل أمام هذا الوضع؟ أية لغة وأية مصطلحات سيستخدمها من تعلم ودرس باللغة الأجنبية؟ وبأية لغة علمية سيقدم للناس المعلومات المفيدة لوقاية أنفسهم.

3-2- برزت منذ فترة عدة جهات تسعى لتعريب التعليم العالي وتعمل على توفير المراجع العلمية المعربة. هذه الجهات مخلصة في هدفها ومخلصة في أسلوبها وفي مسعاها لتوفير المستلزمات والإمكانيات للتعليم العالي.

إننا ننكر من هذه الجهات المخلصة مجامع اللغة العربية وبعض المنظمات الدولية خاصة منظمة الصحة العالمية وبقية الوكالات العلمية المتخصصة للأمم المتحدة نظرا لاعتماد اللغة العربية لغة تداول في هذه المنظمات. ننكر أيضا المؤسسات المتفرعة عن الجامعة العربية كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمركز العربي للمطبوعات والوثائق الصحية ومركز التعريب والترجمة والتأليف والنشر في دمشق ومكتب تنسيق التعريب بالرباط ووزارة التعليم العالي السورية، ووزارة التعليم السودانية وما يتفرع عنهما من دوائر وهيئات تهتم بالتعريب والترجمة.

إن جهود هذه المؤسسات وما أنجزته كافية لتعطي الدليل على أن تعريب التعليم العالي يعكن توفير مستلزماته بكل سهولة وبدون صعوبات فنية أو علمية أو تقنية.

3-3- إذا كانت المؤسسات السابقة قد قامت بجهد عظيم من أجل التعريب إلا أن هذا لم يمنع من بروز ظواهر سلبية وضارة، وهذه الظواهر من صنع مؤسسات أو من صنع أفراد:

3-3-1- لقد أقدمت بعض المطابع في بعض البلاد العربية وأمام الدعوة الحارة لتعريب التعليم العالي وتدريس الطب باللغة العربية على تكليف بعض طلاب الطب والصيدلة بترجمة بعض أمهات الكتب الطبية الأجنبية وبعض الدوريات، فحدث أن فقدت السلاسة ووحدة التسلسل اللغوي للنصوص. كما ضاعت الكثير من المصطلحات.

3-3-1- تصدر بعض المؤسسات وبعض المراكز العلمية والثقافية كتبا ومراجعا علمية معربة رفيعة المستوى وتوكل مهمة الترجمة فيها للتراجمة المهنيين دون اعتبار لأهليتهم العلمية أو لعلاقتهم بالموضوع العلمي المطلوب تعريبه، مما يؤدي إلى الوقوع في أخطاء مضحكة، بمشوهة كتب العلمي الأصلي وإضاعة للهدف الذي وضع من أجله، يكون ذلك بالطبع تشويها للغة العربية وللمادة العلمية وللغة الأجنبية أيضا.

3-4- أمام الحاجة المتزايدة للسوق العلمية وحاجة المواطنين للثقافة وللمعلومة العلمية من أجل الحماية والوقاية من المخاطر التي تحيط بالبشر، برزت بعض المؤسسات الهادفة إلى تبسيط العلوم ووضعها تحت تصرف البشر كما تدعي.

إن أدبيات هذه المؤسسات تصل إلى أبعد المناطق والحدود ولا تتورع عن استخدام اللغة العامية أو اللهجة المحلية، وبالطبع يكون المسعى والهدف هنا الربح المادي والسريع من وراء إغراقها للسوق بمراجع معربة فقدت اللغة العلمية من حيث اللغة والمصطلح العلمي.

3-6- من معالم ونتائج ظاهرة «العولمة» التي تطغى على العالم اليوم تأتي السيطرة اللغوية في مقدمة نتائجها وأهدافها في إضعاف اللغة العربية وإضعاف الرابطة القومية والتشرذم وتشويه اللغة العلمية والإساءة إلى المصطلح العلمي وتعدده وعدم تحديده، وتترافق هذه الظاهرة

مع إصدار طبعات عربية لكتب ومراجع عالمية وبالطبع فإن الترجمة والطبع والنشر والتسويق يتم من خارج الوطن العربي.

نضيف إلى ما تقدم ظاهرة الفضائيات التلفزيونية الناطقة بالعربية ظاهرة الإذاعات المشابهة التي تتمركز. خارج البلاد العربية. وبالطبع فإن تقيدها باللغة العربية وبالمصطلح العلمي الممتد أمر مشكوك فيه ولا يمكن الركون إليه نظرا لآن مثل هذه المؤسسات ليست تحت سيطرة عربية الاتجاه.

3-7- تأتى في مقدمة المجموعات الفردية الضارة والمعرقلة للتعريب مجموعة تتستر خلف الألقاب العلمية وتتحصن خلف المواقع الرسمية التي تحتلها لإفراز سمومها ضد اللغة العلمية العربية وضد المصطلح المعتمد منذ مئات السنين وتسعى لنشر البلبلة والفوضى وإيجاد مرادفات تدعي أنها تصحيح لغوي أو تصحيح لمعنى المصطلح المعتمد.

3-8- أمام هذه الصعوبات والمعوقات تبرز أهمية وجود مؤسسة عربية رسمية وعلى المستوى القومي كمركز التعريب والترجمة والتأليف والنشر في دمشق للتصدي لهذه الظواهر السلبية ولمواجهة التحديات التي تعترض عملية التعريب.

إن التجربة والخبرة والإنجازات التي حققها هذا المركز والإمكانات العلمية والغنية التي يمكن أن يوفرها تعتبر خير دليل على إمكانية التصدي والمواجهة لهذه التحديات.

إن توفير الدعم السياسي والعادي والتأييد الكاهل لدور المركز هو ما يكفل له النجاح.

إننا نقول بكل صراحة إذا لم يتم تعريب التعليم العالي، فإن الآخرين سيقومون بهذه المهمة بدلا عنا وسيفرضون علينا اللغة التي يريدونها والمصطلح الذي يرغبونه وذلك بما يناسبهم وبما يعود عليهم بالنفع والربح.

لعل أفضل إنجازات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ميدان التعريب والتأليف هو الحرص على إقامة أول مؤسسة عربية رسمية تعني بهذا الأمر وهذا هو أول عمل تطبيقي

عملي وميداني بعد عشرات السنين من الاجتماعات والمؤتمرات. إن عملية التعريب لم تعد موضع تساؤل ومناقشة ولم يعد هناك شك في أهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به المركز في حماية وتنمية اللغة العلمية العربية وتوفير المصطلح المعتمد والمناسب بشكل سليم وسريع، ولن يكون دور المركز هذا على المستوى المحلي العربي بل المهمة الكبرى التي سيتولاها هي التصدي ضد التدخل في شؤون اللغة العربية وفرض لغة غربية عامية لتشويهها.

4- دعم ورعاية مركز التعريب ضرورة قومية للأسباب التالية؛

4-1-المركز العربي للتعريب مؤسسة رسمية وقومية لا تسعى إلى الربح أو النفع المادي.

4-2- إن مركز التعريب مؤسسة عربية نوعية وليس مؤسسة قطرية أو خاصة لها أهدافها الواضحة في عملية التعريب ودعم التعليم العالي في الوطن العربي بتوفير المراجع العلمية ووضعها تحت تصرف أصحاب الحاجة.

4-3- المساهمة في إعداد الأطر البشرية والتنمية البشرية بتوفير الإمكانات والوسائل التعليمية التي تلبي احتياجات التنمية والمجتمع عن طريق انتقاء المراجع العلمية المعتمدة عالميا وتعريبها ووضعها بين أيدي الدارسين والباحثين وأصحاب الحاجة وهذا ما يحرض على نقل العلوم الحديثة من لغات عديدة ومن مصادر علمية مختلفة وبالتالي دعوة وتحريض لتوفير الكتاب العلمي العربي المؤلف.

يتوفر اليوم لكل اختصاص علمي مراجع أساسية أشبه الموسوعات وبلغات كثيرة وبمستويات مختلفة، إن التصدي لتعريب هذه المراجع لا يمكن أن يتم إلا من قبل مؤسسات علمية، ولا يمكن للأفراد أن يقوموا بمثل هذا العمل. والمركز العربي للتعريب هو الجهة المؤهلة الوحيدة للقيام بمثل هذه المهمة الخطيرة نظرا لتوفر الإمكانات لديه بتأمين الأفراد العلميين المؤهلين لمهمة التعريب.

لقد سبق وقدم المركز الدليل على ذلك بمبادراته في توفير المواجع العلمية الضخمة والتي لا يمكن أن يتصدى لتعريبها أفراد أو جهات أخرى.

لقد أقدم المركز على تكليف مجموعة كبيرة من الباحثين الجامعيين والمختصين لتعريب بعض المراجع الهامة، وقد تولى كل باحث تعريب جزء من المادة التي هو مؤهل لها والتي يقوم بتدريسها باللغة العربية ووضعت مجموعة العمل تحت إشراف أستاذ المادة وليساعده مشرف لغوي. هذا الأسلوب في التعريب وفر اللغة العلمية العربية السلسلة ووفر التسلسل العلمي ووفر بعض الألفاظ والمصطلحات العلمية العربية وجعل من المرجع المعرب سهل الفهم والاستيعاب والتداول ولا يمكن تفريقه على المراجع المؤلفة محليا.

هذا الأسلوب أدى أيضا إلى الاختيار الأمثل للمرجع العلمي المراد تعريبه. إن إلقاء نظرة سريعة على قائمة منجزات المركز العربي للتعريب في دمشق، تعطينا فكرة عن الجهد المبذول في ميدان التعريب وما يمكن أن يقدمه المركز مع توفر الإمكانات المادية والدعم المعنوي لتغطية احتياجات الوطن العربي من المراجع العلمية المعربة.

4-4- لقد أقدمت العديد من الوزارات والمؤسسات الرسمية العربية على القيام بمبادرات تشبه مبادرة المركز العربي للتعريب من حيث اعتمادها على مجموعات عمل وعلى المؤهلين باللغة العلمية العربية ونذكر من هذه المبادرات مبادرة وزارة التعليم العالي في سورية منذ السبعينات حيث أقدمت على تعريب مراجع علمية معروفة في العالم ولم يسبق أن تجرأ أحد على ترجمتها، ننكر منها كنماذج كتاب «االطب الباطني» لهاريسون والذي صدر بثلاث مجلدات ضخمة وكذلك كتاب «الرياضات العالية» للأستاذ السوفياتي سمير نوف والذي بلغت صفحاته 5428 صفحة وبالطبع ساهم في هذا العمل العشرات من المدرسين والأساتذة.

كما لابد من الإشارة إلى تجربة ناجحة لتعريب العلوم وتوفير المادة العلمية الحديثة ألا وهي تجربة مجلة «العلوم» الكويتية التي هي طبعة عربية لمجلة دولية أمريكية ويشمل ميدان هذه المجلة كافة العلوم وما يتم فيها من مستجدات.

إن هذه الدورية تعتمد على أكثر من باحث في تعريب المقال كما أنها تعتمد بالدرجة الأولى على من أن تأهيله العالي باللغة العربية وبذلك حافظت هذه المجلة على سلسلة اللغة العربية العلمية وحافظت على جودة اللغة، وأيضا على ضبط المصطلح السلس والقابل للانتشار. الأمل أن تبقى هذه المجلة على نفس المستوى.

وهنا لابد من الإشارة إلى الجهود التي تبذلها الكثير من المؤسسات العربية والدولية والعاملة في ميدان توفير المراجع العلمية إلا أن الكثير من المؤسسات العربية والدولية والعاملة في توفير المراجع العلمية إلا أن الكثير من هذه المؤسسات مازال يعتمد على المترجمين المحترفين وعلى المترجمين الذين لم يسبق لهم تأهيل علمي باللغة العربية مما يؤدي في أحيان كثيرة للوقوع في أخطاء وتناقضات في ضبط المصطلح وعدم وضوح اللغة العلمية العربية في أدبيات هذه المؤسسات.

4-5- إن المركز العربي للتعريب بما يضمه من قيادة متمدرسة في مجال التعليم العالي والتعريب وبما يحرص عليه من الاتصال والتواصل مع الجهات والمؤسسات والأفراد المعنيون بقضايا المراجع العلمية المعربة وتوفيرها في الوطن العربي وبما يملكه من معلومات عن قدرات وإمكانيات الأفراد والمؤسسات هذه لهو اقدار المؤسسات العربية، على تحديد المراجع العلمية المطلوب تعريبها لصالح التعليم العالي. كما أنه الأقدر على تسمية وتكليف من يمكن أن يقوم بمهمة التعريب كل في مجاله وبالأعداد وبالكميات التي يحتاجها التعليم العالي، والمركز قادر أيضا وضعن فترة زمنية محددة على تغطية كافة الاحتياجات في الوطن العربي.

4-6- لعل أخطر مهمة يمكن أن يقوم بها مركز التعريب في دمشق باعتباره مؤسسة رسمية عربية هي حماية عملية التعريب وحماية اللغة العلمية العربية والحفاظ على المصطلحات وضبطها والتقيد بها من قبل العابثين، ولا تقتصر هذه المهمة داخل الوطن العربي بل خارجه أيضا.

إن التصدي والمواجهة على كافة الأصعدة للجهات الأخرى العاملة في ميدان النشر والتعريب والتأليف لمختلف العلوم والتدخل لديها للحرص على سلامة اللغة العربية العلمية والمصطلح المعتمدة من قبل المركز.

إن الاختراقات أخذت بالتزايد سواء أكان ذلك عن قصد أو عن غير قصد فالمهمة أمام المركز ليس بالسهلة ولكن مع الدعم والمساندة وتوفير بعض الإمكانيات فإن الصعوبات تزول أمام همة المخلصين.

المراجع

-منظمة الصحة العالمية:

تقرير المؤتمر الإقليمي لتعريب التعليم الطبي في البلدان العربية —القاهرة 17 — 1990/206.

-الأستاذ شحادة الخوري:

دراسات مختلفة في مجال التعريب التعليم العالي واللغة العلمية العربية والمصطلحات منذ أربعين عاما حتى الأن.

—المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر: اعداد مجلة التعريب. – مؤتمر التعريب: دمشق 27 نيسان—3أيار1982. - منظمة الصحة العالمية:

MédecineTraditionelle et Couverture

.1983 des Soins de Santé – Geneve

**الصادرة عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر**

**حتى 30 / 6/ 1998**

| اسم الكتاب | تاريخ الإصدار | عدد الصفحات | السعر بالدولار |
| --- | --- | --- | --- |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 1- هندسة الفيزياء النووية | 1991 | 232 | 12 |
| 2- هندسة المفاعلات النووية – الجزء الأول | 1991 | 208 | 12 |
| 3-هندسة المفاعلات النووية –الجزء الثاني | 1991 | 448 | 20 |
| 4- الإشعاع النووى والوقاية من الإشعاع والتلوث | 1992 | 78 | 3 |
| 5- دليل التنمية المائية في الوطن العربي | 1992 | 608 | 18 |
| 6- الاتصالات بالألياف البصرية | 1992 | 728 | 20 |
| 7- معالجة الصور الرقمية | 1992 | 384 | 21 |
| 8- الجيوفيزياء التطبيقية | 1992 | 240 | 12 |
| 9- عروبة البربر | 1992 | 224 | 12 |
| 10- الأسس الفيزيائية لليزرات التقانية | 1992 | 240 | 12 |
| 11- الأسس الهندسية لإنشاء الليزرات التقانية | 1992 | 264 | 12 |
| 12- طرائق المعالجة للمواد غير المعدنية بالليزر | 1992 | 256 | 12 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 13- معالجة المواد غير المعدنية بالليزر | 1993 | 256 | 12 |
| 14- مناهج العلوم الاجتماعية – الكتاب الأول | 1993 | 454 | 14 |
| 15- مناهج العلوم الاجتماعية – الكتاب الثاني | 1993 | 200 | 10 |
| 16- نظم التطوير الطبي | 1993 | 336 | 18 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 17 المدخل إلى ميكانيك الكم | 1993 | 474 | 15 |
| 18- الاتصالات الراديوية المتنقلة –أسس التصميم | 1993 | 480 | 20 |
| 19-أنظمة الاتصالات الالكترونية المتقدمة | 1994 | 448 | 15 |
| 20- كهربة الريف | 1994 | 576 | 15 |
| 21- الاستشعار عن بعد وتفسير المرئيات | 1994 | 984 | 30 |
| 22- طب الأمراض المعدية والتغذوية | 1995 | 1200 | 32 |
| 23- المعالجات الراهنة في الممارسة السنية | 1995 | 624 | 25 |
| 24- الألات الكهربائية والميكروبة | 1995 | 480 | 18 |
| 25- التجاوب المغناطيسي النووي | 1995 | 232 | 8 |
| 26- حفظ اللحوم بالتبريد والتجميد | 1995 | 128 | 4 |
| 27- المعادلات التفاضلية – الكتاب الأول | 1995 | 288 | 12 |
| 28- المعادلات التفاضلية –الكتاب الثاني | 1995 | 176 | 8 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 29- الكيمياء التحليلية | 1996 | 760 | 30 |
| 30- الكيمياء الفيزيائية | 1996 | 1136 | 36 |
| 31- الكيمياء الحيوية المصورة | 1996 | 304 | 15 |
| 32-علم البيولوجيا – الجزء الأول | 1997 | 620 | 25 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 33- علم البيولوجيا – الجزء الثاني | 1997 | 704 | 20 |
| 34- الفيزياء المتقدمة | 1998 | 616 | 25 |
| 35- بحوث العمليات | 1998 | 640 | |

# واقع التعريب في البيولوجيا بوهران

***ع. بكي و ج . سعيدي***
***معهد البيولوجيا – جامعة وهران السانيا***
***مركز الأبحاث العامية بالمناطق الجافة***

## 1-لمحة تاريخية

بدأ الاستعمال الفعلي للغة العربية في البيولوجيا منذ السبعينات. إن حملة التعريب في الجامعة **جاءت** كرد فعل لقرار سياسي يطالب بإلزامية استعمال اللغة العربية في الميادين العلمية بصفة عامة وفي التعليم العالي بصفة خاصة.

فعلى مستوى جامعة وهران السانيا، تم فتح فروع معربة في العلوم الطبيعية في بادئ الأمر لتأطير طلبة الليسانس المتعاقدين مع المدرسة العليا لتكوين أساتذة التعليم الثانوي. وقد **مس** التعريب بعد ذلك طلبة دبلوم الدراسات العليا فبالتخصصين الموجودين آنذاك وهما علم الحيوان وعلم النبات.

## 2-الاستعانة بالمتعاونين ومشكل المصطلحات العلمية

**إن** نقص الإطارات المحلية المعربة والإسراع في تطبيق قرارات إلزامية **دون** التحضير المسبق، دفع بالدولة الجزائرية الى الاستعانة بإطارات أجنبية من دول عربية شقيقة. غير أن اختلاف مدارس ومنهجيات الإطارات الأجنبية خلق مشكل آخر يتمثل في تباين المصطلحات العلمية المستعملة من قبل هذه الإطارات. إذ ننتج عن هذه الظاهرة ارتباك بيداغوجي كبير وتدهور في المستوى العلمي.

## 3- بداية الجزأرة

إن تدني المستوى دفع ببعض الأساتذة الجزائريين الى الخيار بين أمرين: إما الاستمرار في الاستعانة بالأجانب على حساب المستوى العلمي، أو اللجوء لإطارات جزائرية غريبة التكوين عالية المستوى العلمي متوسطة المستوى اللغوي. **إن** رغبة هؤلاء الأساتذة في رفع التحصيل العلمي لدى الطلبة جعلتهم يلجؤون الى الاختيار الثاني، أي الى مستوى علمي رفيع على حساب أسلوب عربي متوسط في البداية.

لقد أثمرت مجهوداتهم، حيث تمكنوا من استدراك عجزهم اللغوي في ظرف لا يتعدى

السنتين ورفعوا المستوى العلمي بالمعهد. **إن** الطريقة البيداغوجية المتبعة والمتمثلة خاصة في إعطاء المصطلحات العلمية باللغة العربية واللغة الأجنبية أثناء التدريس، مكن الطلبة من الاتصال المستمر بالمستجدات العالمية فيعلم البيولوجيا.

**إن** هذه الإرادة كانت سببا في تعريب الكثير من أساتذة المعهد وجزأرة الكثير من التخصصات.

لقد اجتاز التعريب في معهد البيولوجيا مرحلة الدروس الى التجارب العلمية والتأطير والنشر. هناك مالا يقل عن مائة مذكرة تقدم سنويا باللغة العربية وفي أربع تخصصات علمية هي: علم الأحياء الدقيقة، البيوكيمياء، علم الحيوان وعلم النبات. بالإضافة الى هذا لا تخلو الملتقيات العلمية حاليا من مقالات علمية باللغة العربية مما يدل على أن التعريب فبمعظم الجامعات الجزائرية خطى خطوة كبيرة. والدليل على ذلك **أن** بعض المقالات العلمية لباحثين جزائريين قد نشرت في **ذ**ات سمعة عالمية.

## 4- الخلاصة

**إن** استعمال اللغة العربية في العلوم التجريبية بصفة عامة مرهون بتوفر الوسائل والإمكانيات المتاحة. وبالإضافة للإدارة يجب على الإطارات المعرية **أن** لا تكون ضيقة الأفق وذلك بان تحسن لغات الاتصال العالمية لتسخيرها في خدمة اللغة العربية ورفع مستواها العلمي.

**إن** الاستمرار **في** تعريب كل الفروع العلمية بجامعاتنا يتوقف على ما يأتي:

-توفير المراجع وترجمتها؛

—توحيد المصطلحات العلمية؛

—عقد ندوات، ملتقيات ودورات تربصيه للأساتذة بالدول السباقة في تعريب العلوم التجريبية.

# العوامل الخارجية لتطوير اللّغة العربيّة

د. عبد الجليل مرتاض

سأحاول في هذا العرض أن أرسم الخطوط العريضة والمحاور الأساسية لعوامل التنمية اللغوية في العربية في شكلها الخارجي، لأني أراها مشخصة فيذويها الاوائل وتاريخها ومراحل تطورها ومسارها وفي رجالاتها الذين خدموها وهذبوها عبر التاريخ العلمي لها.

**1-الإبداع جزء من التنمية اللغوية:**

مفهوم التنمية اللغوية عندنا مفهوم شامل رغم أنه يتصل باللغة اتصالا وثيقا، وذلك لا لشيء سوى لان اللغة بوتقة تنصهر فيها كل مظاهر التنمية الصناعية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية الى جانب مظاهر الفكر الخلاق والإبداع الأصيل.

وتعتبر اللغة أعظم وسيلة مساعدة على الإبداع الفعلي والتبليغ العملي، بل كل إبداع مهما كان نوعه لا ينطلق أصلا إلا من اللغة، ولقد اعتاد الناس أن يخدعوا فيجعلوا لكل فن من الإبداع وسيلته البليغية التي تعبر عنه، وهذا خطأ جسيم في هذا المفهوم، لأن النحت أو النقش والزخرفة والرسم... لا تستطيع الخطوط والألوان والسوائل وحدها تبليغها للناس رغم إيحاءاتها التي لا تنكر فضلا عن صعوبة أو تعذر إحضارها في كل حين... كما أن الإبداع العلمي في الذرة وغيرها لايمكن تبليغه برسوم غفل أو مرموز لها بحروف، وهذه الرسوم الهندسية لها لا ترجع الى عجز اللغة بقدر م اتعود الى غياب اللغة لدى المبدع لحظة الإبداع فتصير الرسوم كأنها جزء من اللغة..

ومن الأمثلة على غياب اللغة وقت الإبداع تعدد هذه المصطلحات العلمية لأن اللغة لم تصحبفي كل حال هذه الأصناف من الإبداعات بل تتأخر أحيانا أو غالبا عن الشيء

المبدع، وهذه الظاهرة ليست خاصة بالفن والعلم وحدهما، بل قد تصدق على اللغة في حد ذاتها **إل** يسود لدى علماء لغتنا **أن** هذه المترادفات لاسم واحد **أو** المصادر والمتعددة لفعل واحد،... ترجع غالبا الى تفسيرات اجتماعية وجغرافية أو لهجية، وهذا من إحدى الوجهات قد يكون صحيحا، ولكنه ليس هو الرأي الوحيد الذي يجب **أن** يظل سائدا فينظر يأتنا اللغوية مادام المسمى أي ما يبدع يسبق حتما الاسم، ولذا فإن المجتمع اللغوي المتفرق في مناطق جغرافية والمستعمل للغة واحدة، لا يسمي مدلولا واحدا في لحظة واحدة مما يجعل هذا الوليد يأخذ أكثر من إشارة واحدة فور حضور اللغة، وكل هذه الإبداعات الفنية والعلمية ماهي **إلا** نمط وأنماط من اللغة، ولذا فلا يمكن استيعاب أي شيء أو تكوين أية حضارة.. **إلا** باللغة.

ولسنا بحاجة الى التذكير بأن الشعوب ما تقدمت وازدهرت إلا يتقدم وازدهار لغتها،

وما تختلف إلا بتخلف لغتها هذا التخلف الذي تعد اللغة بريئة منه كل البراءة، بل يرجع الى عوامل خارجية ليس ذكرها هنا من باب موضوعنا.

**2—التنمية اللغوية مرتبطة بالكل**

والتنمية اللغوية ينبغي **أن** تتم في كل متجانس مع ممارسيها والباحثين بها وفيها، حتى وان اختلفت طرائف البحث، إلا **أن** الأهداف يجب **أن** تكون في نقطة الالتقاء واحدة بين كل أبنائها المتعاملين معها وبها في اطار رسمي ووحدوي، لأن شعوب اللغة واحدة حتى وان تباينوا ايديولوجيا وسياسيا فإنهم لا يختلفون كثيرا في مصير لغتهم المشترك ونظرتهم إليها حتى، وإن كانت الايديولوجية المتباينة قد تشكل خطرا على تنميتها

وسمعتها، ولكن في النهاية لن يكون هناك **أي** خطر مزمن من هذه الناحية، لأن اللغة ليست ملكا لأحد بل هي ملك للمجموعة، إذ بوسع أحد **أن** يتحكم في رقاب شعب ولكنه لا يستطيع **أن** يتحكم في رقاب جملة واحدة منها، ولئن سلط جبروته على حظر جانب معين من سلوك متكلميها فإن اللغة هنا لن تزيد إلا تنمية وانفجارا بواسطة الطبقات الشعبية وعباقرتها الذين اعتادوا سبرها والغوص على خصائصها.

ويبدو أنكل لغة إنسانية تتخذ طريق تنميتها في حدود طاقتها وقدرتها، فهي أشبه ما تكون بغلاف مالي مفتوح لإنجاز مشروع مغلق، ومن ثم كان التداخل اللغوي العالمي والاقتراض للمصطلحات العلمية والفنية والسلوكية في حكم ما يسمى بالتفاعل الحضاري الإنساني.

**3-التنمية اللغوية والتعريب؛**

وباب التنمية اللغوية مفتوح أبدا كما أشرنا أمام كل التيارات العلمية والثقافية لاسيما فيوقت تطورت فيه المواصلات السمعية البصرية، وتعممت فيه العلاقات الدولية، وتداخلت فيه الاحتياجات الحتمية المشتركة كالتغذية والقروض والتعاون والتصنيع ونحو هذا وهنا يكمن الخطر إذا لم نكن السباقين الى تنمية لغتنا بأنفسنا وإلا فقد بقينا في موقف دفاع منهزم ومشلول، لأن التعريب يجب أن يكون مرحلة انتقالية لتعويض غياب تنميتنا اللغوية في الماضي الذي لم يكن بأيدنا، وعلى هذا فينبغي أن نفكر من الآن في آفاق مستقبل هذه اللغة

بواسطة مجامعها اللغوية والعلمية لننتقل من عملية التعريب التي كادت تصير مرضا عضالا **في** عقول أبناء الوطن العربي الى معاملة لغتنا معاملة عادية مع حماية

وصيانة كل ما اكتسب فيها لاسيما الثابت والصالح أي المستعمل منها، لأننا تخشى أن نظل منشغلين بعملية التعريب هذه والتي لاتعد في نظرنا إلا عملية استراتيجية شبه دائمة، لأن ما نعربه اليوم قد يموت غدا بفضل ما يخترع يوميا من عشرات المصطلحات في العالم، والتي قد تنسخ أو تميت الكمات السابقة.

إذن، لنفكر في استراتيجية دائمة وقارة غير التعريب مع التفتح المستمر والإبقاء على الترجمة العلمية طبعا.

**4-التنمية اللغوية ومجتمعها؛**

ومن المطلع عليه مبدئيا ان اللغة تنمى في اتجاه مجالين اثنين لكونهما متجدين ومتكاملين، وقائم الواحد منهما على الآخر وهما العاملان الخارجي والداخلي، وهذان العاملان كلاهما يتفرع الى عوامل أساسية وجزئية غير منتهية بزمان ولا مكان ولا أفراد لأن المنظومة اللغوية ليست منظومة ذاتية فقط، رغم ما لها من مميزات ذاتية فعلا، بمعنى انها منظومة ذاتية ولكن يستحيل عليها أن تقوم بذاتها، وبالتالي فإنها لا تنتمى في مجال واحد فقط، ومن حيث المبدأ لا يجوز لنا أن نسمي أحدهما أساسيا وأخرهما ثانويا فهما بالتنمية اللغوية كالجسد والروح للإنسان لا يقومان إلا معا.

وإذا ما افترقنا فلن يكون هناك منظومة لغوية بالمعنى الشائع للغة بل لن يكون ثمت مجتمع بالمفهوم الشائع للمجتمع.

والملاحظ حنى الآن أن الهوة لاتزال سحيقة بين تنمية لغتنا في الوطن العربي ميدانيا وبين تنميتها نظريا، فهي في الأول يشكي منها قلة مصطلحاتها الحديثة، وفي الثاني لا

أحد يقدر أن يجزم عن وصفها؛ اين هي منا أو أين نحن منها؟ وقد يحلو للبعض الأخر منا ان يشير الى غرابتها عنا أو غرابتنا عنها، لأنها لا تعايشنا ونحن لا نعايشها وإذا كنا نقبل مكرهين غرابتنا نحن عنها وعدم معايشتنا إياها في جميع احوالنا، فإننا نرفض بكل اباء اشارة غرابتها عنا كما لا نلومها في ضعف معايشتها لنا بسببنا نحن لا بسببها هي كلغة.

## 5-**التنمية اللغوية في ظل منشئها البعيد:**

والذي نعرفه أوليا عن العربية أنها تكونت أول ما تكونت ميدانيا رغم الأوضاع التاريخية والاجتماعية التي ميزت ممارستها قبل الإسلام خاصة فيما يتصل بالتجانس التنظيمي للقبائل العربية وكذا الانضباط القبلي العام المهدد في كل مرة بالانهيار أو العصيان زيادة على الانفصال السياسي والإداري والجغرافي والعصبي.... فأي اتصال بين ممالك عربية كالغساسنة في الشام الموالين لبيزنطة، وأخرى في الحيرة حليفة للساسانيين، ودولة عربية جنوبية بلغت ما بلغت من التحضر والعمران، وقبائل بدوية في قلب الجزيرة والحجاز لم يكن خانعة لهذا السلطان أو ذاك؟.

رغم هذه العوامل وغيرها فان العربية ظلت هي العربية عندهم، ولم يسمحوا إلا الألفاظ زهيدة تدخل لغتهم، فهم كانوا يشتقون وينحتون ويقيسون منها ما يشاؤون، ولم يصلنا أبدا أي

مظهر من مظاهر الشك فيها أو التشكيلي منها، علما بان الاستعمال اللغوي يساوي السلوك الحضاري والثقافي في كل عصر ولدى كل آمة أصيلة تمجد كيانها وتغار على مقوماتها.

إن تاريخ التنمية للغة العربية لاشك أنه مرتبط بنشأتها وتوظيفها في الممارسات

الوقتية لها في مجالي الفن والحياة، غير أنه من السابق لأوانه الاعتراف بصعوبة تحديد هذه التنمية تحديدا زمنيا مقبولا، وذلك لعدة أسباب، أهمها عندي.

1- استحالة تحديد اللغة اللسانية الأم تحديدا علميا حتى الآن رغم ميول جل الآراء العلمية النزيهة الى العربية.

2- طمس معالم هذه اللغة العتيقة تسجيلا أو انعدامها كتابيا إلا ما قبل وندر من نقوش غير مقنعة ومتضاربة مع ما وصلنا من تراثها المتوارث حفظا وسماعا.

3- صعوبة تحديد العصر الفصيح بعد استقلالها عن الساميات واتخاذها شكلا لغويا على النمط الذي وصلنا.

ولعلي لست بحاجة أكيدة الى إيراد ما يعرف المطلعون من روايات قديمة عربية تشير إشارات عابرة أو متعمقة الى هذه اللغة بيد أن واجب البحث يراودني على القول بأن المؤلفات اللغوية العربية المبكرة والتي سبقت زمانا وعملا المؤلفات الأدبية والنقدية لم تشر الى هذه المسألة، وكأنها كانت لديها أمرا مسلما به حتى كانت المؤلفات الفقهية المتأخرة نسبيا، ولعل خيرا ما فعلوا لان اعمالهم تلك كانت انجازات علمية تطبيقية في اللسان العربي.

وأقدم إشارة واضحة في هذه المسألة—ومن غير تفقه—ما نجده في طبقات ابن سلام التي جاء فيها قول يعزى الى يونس بين حبيب مفاده أن ((أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه اسماعيل بن إبراهيم[1] ويفسر ابن سلام هذه العربية بأنها اللسان الذي نزل به القرآن وما تكلمت به العرب على عهد النبي (ص) ((وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا))[2].

وما وصلنا من أخبار عن العربية القديمة من أنساب واشعار لا يتجاوز—حسب النظرية

العربية القديمة–معد بن عدنان الذي يوما الى وجوده قبل الميلاد بحوالي عشرة قرون، ولم يذكر معدا—فيما نكر ابم سلام—غير لبيد وأن مرداس[3] مصرحا:((فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرا) )[4] .

ونحن نشم من قول ابن سلام أنه لا يريد العربية كظاهرة اجتماعية صوتية ملفوظة بل كظاهرة فنية مكتملة في تلك الصورة القوية التي يمثلها الشعر الجاهلي ثم نصوص القرآن الكريم، أي لا يقصد التاريخ للعربية التي نشأتها وبلورتها أغمض من أية لغة سامية أخرى، وفي هذه الحيرة اللامتناهية يشير أحد الباحثين:( (ربما كانت العربية بدعا بين اخواتها اللغات السامية، وذلك لأننا نعرف من امر تاريخ اللغات شيئا يفوق ما نعرفه من بدايات العربية، أننا نعرف مثلا كثيرا من البابلية الأشورية والاكادية، كما نعرف قدرا عظيما من اللغة الإرامية ولهجاتها، وقل مثل ذلك عن نصوص اللغة العبرانية وسائر اللغات السامية الأخرى ما خلا العربية....))[5] .

هذا وأن الأثار اللغوية التي تترجمها النقوش المكتشفة المبعثرة على صخور هنا وهناك في شمال الحجاز وغيره يصعب على الباحث أن يعتمدها للوصول الى معرفة اللغة العربية الأولى بالدقة[6] ( ) علما بأن هذه النقوش العربية الشمالية المبكرة ((وصلتنا في الفترة الزمنية بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي، وليست هذه النقوش اقدم شيء وصلنا بالعربية...))[7] .

غير أن النقوش الأقدم من هذه الفترة والتي تحتوي على سمات عربية مالا تجدي نفعا في الإفصاح عن طبيعة اللغة العربية التي نتوق توقانا الى معرفتها، ثم ان النقوش الشمالية من ثمودية وصفوية ولحيانية والتي تشترك كلها في خصائص متقاربة تجعل

((الباحثين يدرجونها في اللهجات العربية المبكرة))[8] كتبت بالخط العربي واقدم نقش عثر عليه مكتوبا بالخط العربي العالي لا يتجاوز تاريخه سنة 512م[9] بينما يرجع اقدم النقوش اليمنية المكتوبة بالمسند الى أوائل القرن التاسع قبل الميلاد، وأحدث ما وصلنا منه يعود الى أواخر القرن السادس بعد الميلاد[10] .

وكان للمسند اثر حضاري ودور أولي في تنمية العربية الأولى رغم تباينها كلهجات شمالية وجنوبيه مختلفة اختلافا لا يصل إلى درجة التوازي بينها، حتى خارج بلاد العرب نفسها كالآثار الموجودة منه في كل من مصر وجزيرة ديلوس اليونانية وبلاد الحبشة[11] فضلا عن تدوين الممالك العربية الشمالية به حضارتها وصفقاتها.

غير أنه أصبح مؤكدا مما لا يدع مجالا للشك أن القرن السادس الميلادي شهد مجموعة سكانية وسط شبه الجزيرة العربية وفي اطرافها وحدودها من الجهات الأربع، تتكلم

لغة واحدة متآلفة في كل هذه الامكنة الجغرافية رغم تنافرهم فيما بينهم عصبيا واجتماعيا، ورغم البقايا اللهجة القبلية التي لاتزال مبثوثة في التراث العربي الأدبي.

ولعلك ترى معي أن ربط التنمية اللغوية بهذه الفترة كلغة وظيفية لشؤون الحياة أكثر منها لغة فنية مسالة لا يمكن تجاهلها حتى وان جهلناها. لنقص النصوص من جهة وتعذر استنطاق بعضها من جهة ثانية، لان أهم ما في اللغة استعمالها دون السماح لأنفسنا بمحاسبتها أو محاسبة أصحابها في تلك الفترة السليقية البعيدة، ودون أن يغرنا كثيرا قول أبي عمرو بن العلاء: ((ما لسان حمير واقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا )).[12] لان أبا عمرو الذي كان أوسع العلماء علما في عصره بكلام العرب ولغتها وغريبها لا يريد إلا الفروق العامة التي عاينها بين لغتي الشعر الفني والقرآن من جهة وبين

بعض مظاهر لهجة حمير وأقاصي اليمن من جهة أخرى، أو يقصد بها البقايا اللهجية الحميرية العتيقة مقارنة لها بالعربية التي كانت في زمنه والا فكيف نفسر رواية أبي عمرو نفسه اللغة عن بعض أهل اليمن ومن الغلمان، ووصفه لبعضهم بالبراعة في العلم والأدب؟ من ذلك قوله في أخذ اللغة:((رأيت باليمن غلاما من جرم ينشد عنزا، فقلت: صفها يا غلام فقال: حسراء مقبلة، شعراء مدبرة، ما بينغثرة الدهسة، وقنوء اللدبسة، سجحاء الخدين، خطلاء الأثنين، فشقاء الصورين، كأن زنمتيها تتوا قلنسية، يالها أم عيال، وثمال مال))[13] .

وقال في مكان آخر:(( كان لرجل من مقاول حمير إبنان يقال لاحدهما: عمرو، وللآخر، ربيعة، وكمانا قد برعا في الأدب والعلم))[14].

ثم أننا لا ننسى أن هذه الظاهرة تمت في غياب دراسة افقية أي تنمية داخلية للغة، ولم تستطع هذه الدراسة فيما بعد رغم شموليتها وصرامتها أن تحد من هذه الظاهرة بل نجدها قد استفحلت نظرا لضخامة العوامل الخارجية وتعددها في البلاد العربية الإسلامية الجديدة مما أدى الى ظهور هذه اللهجات العامية التي نلاحظها في الوطن العربي بل على مستوى كل قطر واحد من الأقطار العربية، إن لم نقل على مستوى كل ولاية واحدة من كل قطر، ولذا فليس عجبا أن يصرح اليوم احد من عمان مثلا:((ما لسان طرابلس واقاصي

―――――――――――――――――――――――

شرح الكلمات:

حسراء: مقبلة قليلةُ شَعرْ المُقدّم من رأسها.

الغُثْرة : غُبْرة كَدِرة– الدُّهسة : لون كلون الدَّهاس من الرمل لايبلغزن يكون رملاوليس بتراب ولاطين – القُنُوء : شدة الحمرة – الدبسة : حُمْرَة يعلوها سواد – سجْحَاء الخدين: حَسَنَتَهُما – خطلاء: طويلة الإذنين مُضْطَرِبَتَهُما–فشقاء : منتشرة متباعدة – الصُّوران: القرنان –الزُّنْمَتان : المتعلقتان ما بين لَحْيَي العنزاء االتتوان– ذُوابتا القَلَنْسُوة : واحدتها تَتْو (الشرح من المزهر : 548/2)

شمال لبنان اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا)) إذا كان تصريحه يعني به الموازنة بين العاميتين في هاتين المنطقتين.

**6-التنمية اللغوية في ضوء خطابها الشفوي الشعبي:**

ان آثار النقوش المشار إليها آنفا لا تمنعنا من أن نطلق على التنمية اللغوية عند العرب قبل الإسلام وبعده بقليل بأنها( (تنمية تواصلية وعملية مباشرة ومسموعة) ) وهذا لا يعنيان هذه التنمية اللغوية التي كانت تقوم على التواصل الشفوي كانت تنمية شبه فوضوية أو كانت تقوم على الصدفة بدعوى ما قد نعثر عليه من هفوات لسانية عامة وردت لدى جل الفحول اللذين يعدون أول مصدر ثقة لهذه التنمية في الوقت الذي يعلم فيه كلنا بطبع ذلك المعبر العربي على سجيته دون قاعدة تزعجه ولا عالم ينبهه الى جانب ان المعبر لم يكن يبني ويصنع بمعزل كلي عن المؤثرات العامة الخارجية لمحيطه.

ولم يعد اليوم صعبا علينا أن نجزم بان تلك التنمية اللغوية الشاملة قبل نزول القرآن وتسجيله وبداية عصر التدوين والتي لم تكن تخلو أحيانا من بعض الفوارق اللهجية القبلية الموروثة عن عهد ما قبل العربية القديمة، كانت تخضع في تنميتها العامة ومن الداخل لمنهجية تواصلية بدوية واحدة سواء اعتبرنا مقتضيات هذه المنهجية التواصلية عفوية ام اصطلاحية أم تعليمية أصاغر عن أكابر... حتى وان كنا نتجنب قصدا الدخول في خضم مثل هذه المتاهات الفلسفية اللغوية العقيمة.

ومن المؤكد في هذه التنمية أنّها كانت تنمى عندهم ميدانيا أفقيا وعموديا في الآن ذاته، بمعنى أنّها لم تكن تنمى مستقلة عن الواقع المعيش والتجربة اليومية والوظائف الممارسة

والمعاينة في المحيط البيئوي الاجتماعي الذي يحتاجه الكائن العربي لضرورات وجوده واستمراره،,٠.

واعتقد أن الأمثال الشعبية تقفنا على أصدق الميادين اللغوية ومجالاتها ومميزاتها، وإذا ما سمح لنا هذا العرض البسيط ان نفحص كتاب الأمثال لابي فيد مؤرخ بن عمرو السدوسي(195 هـ) فإننا قد نجده أبين مثال على خصائص واتجاهات هذه التنمية التي كانت ترتبط ارتباطا غير منفصل بالعادات اللسانية الشعبية العامة في العربية الفصحى غالبا، وبالعادات اللسانية الشعبية القبلية المحلية أحيانا، وبالتوظيف اللغوي الاحتياجي في كل حال، كما أنّها لا تبتعد في مجملها عن القصص الشعبي الدال محتواه على العبرة والذكاء أو الغفلة وظروف تلك المعاناة الدالة على قساوة الطبيعة والحكمة والفضيلة أو الرذيلة، ومن ذلك مثلا قولهم:

1) اقدح وأنت مسترخ، إقد حبد فلى في مرخ[15]

وهو مدح لما يشعل به النار التي تعد أمرا ضروريا للإنسان في طبخه ودفئه وسراه ليلا في الظلام، فلا عجب أن ينوه بها المجتمع العربي القديم ويمدحها ويحث على اختيار أحسن العيدان واكتشاف أجود الأشجار التي تساعد الزناد حتى يتم أذكاء النار للضيف النازل وللجائع الملهوف وللمقشعر بردا،... بسرعة فائقة. فجاء ا'لأعشى وضمن هذا المثل منميا اللغة بفضله من الداخل:

زنادك خير زناد الملوك، وافق منهنّ مرخ عفارا

ولو كنت تقدم في صخرة بنع حصاة لأوريت نارا [16]

ووصفوا النبع بأنه أقل الشجرنارا، ولذلك ضمنه الأعشى بيته للمبالغة وتعظيم

ممدوحه، وجاء الأخر، وهو إبن حرد التغلبيّ فضمنه بيته دلالة على ضعف الزّند من كثرة الاستعمال إذا ألّح عليه القادح[17]

يعلّلو الأيام ينقصن عمره كما تنقص النّيران من طرف الزّند وتقول العربفي نفس

الموضوع المحوري: ((ورت بك زنادي)) و ((ورت بك ناري)) و ((أوريت بك زنادي))،

فجاء الشاعر المطبق اللساني الأول للعربية وقال[18]:

ورت بكعب بن زهير ناري ساعة تبدو أسوق العذارى

عقال الأسود بن يعفر لبني محلم ذاكرا فضلهم عليه وأنجادهم للمستند[19]

قل لبني محلّم يسيروا بذمة يسعى بها مذعور

لا قدح بعد اليوم إن لم توروا

ويعرف الجميع أن حياة العربي كانت تعتمد–فيما تعتمد عليه–كثيرا على الصيد، فوصفوا الفرس الماهر، والرامي الحاذق، وهو شيء لا يخفى على أي–مطلع على الشعر الجاهلي، كما أطلقوا أسماء على الحيل والحفر التي كانوا يهيئونها للقنص، من ذلك الزبية الخاصة بصيد الأسد، والقترة والناموس والبرأة لصيد الوحش، فجاء أبو النجم ووصف القترة:[20]

بات إلى قترته طليحا كالسيد يخفى شخصه والرّيحا

والنفس العالي والشبيحا يأخذ فيه الحية النّبوحا

ثم يبيت عنده مسدوحا مهشم الهامة أو مذبوحا

في لجف غمّدة الصّفيحا وخشب سطّحه تسطيحا

والطين من كفّيه والتمسيحا

وقال ايضا فيها:

في قترة لجّف من أقبالها وظاهر الطين على أخلالها

بات مع الحيات في اهوالها تحكي لها القرناء من عوزالها

جرّ الرّحى تجري على ثقالها

وقال فيها غير هذا هو وسواه من الشعراء.

كما أن الأحداث التاريخية أو الدينية لم تكن تمر عليهم مرّ السحاب ثم تنسى أو تهمل بل كانت تظل راسخة تحكي لجيل تلو جيل فيوظفها فحولهم وخطباؤهم الصاقع وحكماؤهم البلغاء لأبنائهم تذكرة وعبرة وتربية، من ذلك أن بكر ناقة النبيّ صالح –عليه السلام— الذي عقره قدار من ثمود ظل يوظف ويضمن أشعارهم وأمثالهم، فقالت العرب:((اصابتهم راغبة البكر)) كناية عن هلاك قوم، فقال الأعشى:

بادوا فلما أن تآدوا قفّى على إثرهم قدار

وقال زهير معلقته:

وتنتج لكم غلمان أشام كلّهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقال آخر:

وقلت لقيس: إنك اليوم كائن علينا كما قفّى قدار على إرم

وبقي هذا التضمين يوحي للشعراء حتى ما بعد الإسلام كما في بعض شعر الأخطل:

وإن تذكروها في معد فإنما أصابك بالثرثار راغبة البكر

وكانوا يستغلون وقائعهم وإسارهم لتوظيفها ونسج الحكايات فيها، من ذلك ان قبيلة عنزة أسرت حاتم طيء، فغزا رجالها، وترك حاتم مع النساء والرجال الضعفة فقالوا له:

أتحسنت غير؟ فقال؛ إذا لم عالبشير، وإنما قالوا له؛ اتحسن تفتل الحبل؟ لأنه يقال عندهم أغرته (الحبل) اذا فتلته، ثم قالوا بعد ذلك؛ افصد لنا، فقام الى ناقة من نوقهم فعقرها فأوجعوه ضربا قائلين؛ أهكذا الفصد فأجابهم: هكذا فزدي (بالزاي) إنه أي هكذا فصدي أنا، لان الفصد تعني أيضا ملء المصير دما ومن داج بعير أو فرس ثم يشوي فيؤكل حتى قالوا مثلهم الشهير:((لم يحرم من فصد له)) [21]. وقد يروى بالزاي وبقي هذا المثل حيا حتى ما بعد مجيء الإسلام حيث وظفه جرير ( مستغلا إياه في آلة التعريض لأنّ هذا أدنى الكرم عند العرب إذا لم يكن له مندوحة منه، فضلا عن استغلالهم للأحداث اليومية المجربة عمليا سواء أكانت بسيطة أم عظيمة.

ونموا لغتهم في مجال الفلاحة والفواكه وما يتصل بهما من انواع وسحاب وبذر وقطف وسقي وصناعة، فيقولون:( ( أوشم البرق) ) ويطلقون هذه الصفة على العنب الأسود إذا لان وهم أن يطيب (أوشم العنب) وذلك إذا لان بعض الحبة من العنقود وتلون، وبعضها لم يلن ولم يسود بعد، وهو شيء واحد، بينما لا يقولون هذا للعنب الأبيض لأنه لا يحدث لونا سوى لونه، ولكنهم يقولون فيه؛ أرق إذا لان بعضه وبعضه غير لين[22] ؛ ويقولون: اشد حمرة من مصعة والمصعة ثمرة العوسج وهي شديدة الحمرة، وقال ابن عنمة (شاعر مخضرم)[23]:

ان كان كري واقدامي لفي جرذ وسط العواسج اجنى حوله المصع

أما القصص الشعبي الذي يمثل اصدق وازهي صورة للأدب الشعبي لديهم، وما تمخض عنه من عادات لسانية شعبية محلية. فيقفنا عند القوم نثرا وشعرا ومثلا وحكمة ونقدا للمجتمع وطبائعه على شيء عجب قد يصرفنا عن الإيمان بأن العرب لم يعرفوا هذا

الصنف من الآداب على لسان الحيوانات والطيور والجماد إلاّ بعد أن ترجم إليهم كتاب الهند، والذي نؤمن به من صرف ولا تأثير أن العرب لو قدر لهم أن يعرفوا التدوين والكتابة في ذلك العصر لكانوا أسبق الأمم الى مثل هذه الأنواع الخالدة الفصيحة من الآداب.

وتمثيلا على هذا الضرب من التنمية اللغوية وما تأثرت به من تراكيب بليغة، فاني أنمذج بمثل مكون من كلمتين وهو:((خامر يحضاجر)) ثمّ نتابع أشكال البناء والحكايات

حوله، ويقصد ب(( حضاجر)) الضبع وذلك لعظم بطنها من قولهم: وطب حضجر، للعظيم الملآن وبقال لها: حضاجر حين تأكل الحمض وتشرب، فجاء أحد الرجاز وقال:

حضاجر لا تقرب المواسم

ثم قالوا لكل رجل واهن:((خامري حضاجر)) وهما يحكونه على لسان الضبع ((إنّها أخذت حملا لرجل فذهبت به الى غارها فأكلته هي وصاحبة لها، ثم أصبحت فتشرقت بفناء غارها ووضعت رأسها في حجر صاحبتها تفليها، فأقبل صاحب الحمل ومعه الرمح، فقالت اختها: هذا رجل مقبل، فقالت الضبع تنشد شعرا:

لو أن ذا المقبل من خطابي من بعض من يعجبه شبابي

وهمشي بالليل واكتسابي

فلما داتا منها الرجل، ومعه الرمح خرقت، وغمضت عينها، وقال كن حلما كنه، فطعنها فقتلها.

وذكروا أنّها التقطت خشفا، فطلبته الظّبية فوجدته معها فقالت الظّبية: ولدي، وقالت الضبع؛ ولدي، فاختصما الى الضبابي الحسيل، وكان حكم السبّاع، فقالت كل واحدة منهما: ولدي فأعطى كل واحدة منهما كفّ قمح، وقال: كلاه حبّة حبّة، وارقبا النجوم فإذا

أصبحتما فأخبراني أين سقطت النجوم؟ فأما الظبية فأكلت حبة حبة كما أمرها ورقبت النجوم، وأمّا الضبع فرنها قمحته ونامت. فلما اصبحا قال للضبع؛ اين سقطت النجوم؟

قالت: ذهبت خدع مذع ذا طار وذا وقع، وقال للظبية؛ كيف ذهبت الذجوم١٠اء قالت؛ ذهبت غورا مورا غير بنات نعش شتون طورا، فدفع إليها ابنها.

وهي التي ابصرت الظبية على حمار فقالت؛ أردفيني فاردتها فقالت؛ ما أفره حمارك! ثم سارت يسيرا فقالت: ما أفره حمارنا! قالت لها الظبية؛ انزلي، قبل أن تقولي؛ ما أفره حماري! فأنزلتها....))[24]

والقصص المنسوجة حول الضبع متنوعة، وإنما احببنا أن نسوق هذه الأمثلة لنقف على خصائص هذه البنية اللغوية العامة في مثل هذه النصوص التي لم يبق لنا منها إلاّ نتف قليلة وقصيرة، حيث كان الشعر أوفر حظا وأغزر مادة ونوعا من البنية النثرية، حتى وان كان العلماء والاخباريون يميلون الى أن ما وصلنا من الشعر أيضا' لا يمثل إلاّ مادة يسيرة مما كان عندهم—كما سينار-.

إن هذه التواصلات الشفوية غير الفنية ليس بوسع أحد في غياب تراث موروث كتابة وتسجيلا ان يحصرها في غير الأغراض الأدبية الموروثة حفظا وسماعا، وبمثل هذه التواصلات الفنية الشفوية التي عملت أثرها المباشر في تنمية اللغة العربية دلالة ومفردات ونصوصا وحقيقة ومجازا الى جانب السمو الفني والإبداع الأصيل للشعر، ذلك المصدر المعوّل عليه أساسا منذ بداية تقعيد القواعد وتفسير القرآن الكريم، والذي لايزال يفرض نفسه علينا حتى اليوم لان الشعر العربي رغم تطوره شكلا ومضمونا وخاصة منذ فجر عصر النهضة الأدبية فان هذا التطور المتفاوت تقديرا وتقويما بين الناس لا يستطيع

أن يقوم مقام ذلك الشعر القديم الذي ظل ولايزال مصدر إعجاب وتقدير لدى العرب وغير العرب، وما السبب في ذلك إلا لأنه يشكل نقطة الإبداع المركزي الأصيل والطبع العربي القويم.

**7-ظهور النماذج المنميّة للغة العربية**

وتحديد قرن ونصف أو قرنين لهذا المصدر التنموي للعربية قبل حلول الإسلام أمو يتعلق ثقة وغربلة وسبر النقدة للنصوص الغنية التاريخية أكثر مما يتعلق بهذا المصدر باعتباره نمطا معينا من الأداء الفني والتأليف الشفوي لنص أدبي في قالب مضمون محدد وفي إطار شكل تستحوذ عليه ألوان من النمنمة والزخرفة المطبوعة صناعيا خاصة وان ابن سلام يصدر كتابه بقوله:((نكرنا العرب وإشعارها والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب،... فاقتصرنا من ذلك على مالا يجهله عالم، ولا يستغنى عن علمه ناظر،...))[25]. ثم يصرح بأنه اقتصر على أربعين شاعرا من الفحول المشهورين[26]؛ في الوقت الذي يعترف بأنّ الشعر في الجاهلية عند العرب كان ((ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون، وإليه يصيدون))[27].

وينسب إلى عمر بن الخطاب أنّه قال:((كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه))[28] ، ((فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام، وجاء الفتوح، واطمأنت العرب الأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، ألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقّل ذلك ونهب عليهم منه كثير) )[29]

والغريب أن قول ابن سلام قول فيه شيء من الارتباط، إذ هنا صرّح بأن العرب لم يؤولوا الى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب، ودون أن يعارض في الوقت الذي يصرّح مرتين على الأقل بأن الشعر ((قد تداوله قوم من كتاب الى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية وليس لاحد—إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على أبطال شيء منه–أن يقبل من صحيفة، ولا يروى من صحفي))[30] ويصرّح في موضوع آخر:(( وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول، وما مدح هو وأهل بيته به، صار ذلك الى بني مروان أو صار منه))[31]، إلاّ إذا كانت هذه الكتب لا يعلم أصحابها ما فيها كقول الأول:

زوامل للأسفار لا علم عنده من جيدها إلاّ كعلم إلاّ باعر

لعمرك ما يدري المطي إذا غدا بحمالها وراح ما في الغرائر[32]

أما أبو عمرو بن العلاء الذي يعد أبرز مصدر لتنمية العربية والذي قيل فيه ((لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد، كان ينبغي لقول ابي عمر وبن العلاء في العربية ان يؤخذ كله))، فقال:((ما انتهى إليكم معا قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم

علم وشعر كثير))[33]

ومما يؤكد قول ابي عمرو قول انس بن مالك:((قدم علينا رسول الله (ص) وما في الانصار بيت إلاّ وهو يقول الشعر))[34] وهذه الشهادة لمدينة غلبت عليها الحضارة ولين العيش فما بالنا بالبادية؟ وقال الشعبي:((ما أنا لشيء من العلم أقل مني رواية للشعر ولو شئت ان أنشد شعرا شهرا لا اعيد بيتا لفعلت))[35] .

والذي يمكن قوله قطعا ان مصدرا من المصادر لم يعمل على تطوير العربية وتنميتها والحفاظ عليها قبل نزول القرآن مثلما عمل ذلك الشعر فهو لم يترك مجالا من القول أو الوصف إلاّ وولج ميدانه وصفا وتبليغا وتأريخا،.. كما لم يدع موضوعا خاصا أو عاما يتصل بالعرب وحياتهم الدنيوية والتأميلية والدينية والنفسية إلاّ وقد شحذه وألح عليه حتيع صاغة وطوعه فصارت بفضله هده اللغة مطواعة ذات قابلية معدة للتعبير عن كل ما يعترض حياة العربي من علوم وتجارة [3736]

بها من فضائل ورذائل والى اقتحام ميادين لها علاقة ما بسلوك الإنسان العربي وتصرفاته وآهاته وآماله وتطلعاته، وهنا كسبت العربية تأليفات معجمية جديدة دلّت على قدرة هذه اللغة التي لم يعد الشك مطروحا فيها بقدر ما صار السؤال يخيم ويحلّق على أصحابها الذين أضحوا بالنسبة إليها أشبه بالغرباء، وكأننا أمسينا مثل ذلك الوجل الذي أراد أن يسال بعض العلماء بقوله:(( أسألك عن شيء من الغريب)) فأجابه:(( هو كلام القوم، وإنّما أنت وأمثالك فيه غرباء))[38]، بل ليتنا كنا كذلك غرباء فلا نلوم ولا نلام. وأين نحن من قول الرشيد للاصمعي: يا أصمعي ان الغريب عندك لغير غريب؟ فكان جوابه: يا أمير المؤمنين، الا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما؟..

إننا لا نستطيع أن نكون كلنا اصمعيين، ولكن لا احد بحول بيننا وبين ما تعلم الاصمعي واستنته وتلامذته، فابن خالويه الهمداني الذي يذكر بأنه جمع خمسمائة اسم للأسد ومائتين للحية وجمع غيره امثال حمزة الاصفهاني ما يزيد على أربعمائة للدواهي )[39] لا يعد مبالغة في شيء، والمستشرقون لم يخفوا اعجابهم حينا ودهشتهم حينا آخر بمن فيهم

المحتقرون للعرق السامي بصفة عامة، وفي هذا يقول رينان المعروف بعصبيته على الساميين:((أن لغويا من العرب كتب في متن اللغة رسالة نكر فيها خمسمائة اسم للأسد[40] الى جانب المترادفات الوفيرة في العسل والسبق وأسماء النبات والحجر،... بينما نكر المستشرق الألماني هامر بير جستول انه أحصى الكلمات التي تتعلق بالحمل في أدب اللغة العربية فوجدها تبلغ 5744 كلمة، ولذلك فان رينان الفرنسي لا يخفي حيرته قائلا:((إن مما يثير تجبي أنّ لغة كااللغة العربية قد نشأت في بلاد صحراوية كبلاد العرب تصل إلى درجة الكمال في خيام البدو))[41]ثمّ قال ((من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية وتصل الى درجة الكمال وسط 1الصحاري عند أمّة من الرحل، تلك اللغة التي

فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، لا نكاد نعلم من شانها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة) ) [42].

وليس سهلا أن تصدر شهادة عالمية مجن أرنست رينان الذي حط من قدر الساميين وتفكيرهم ومواهبهم، بل صارت اللغة العربية لدى بعضهم مضربا للخلود بخلود القرآن، من ذلك ان ((جون قرن)) كتب قصة خيالية ((بناها سياح، يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها، ولما أرادوا العودة إلى ظاهرو الأرض بدا لهم أن يتركوا هنالك أثرا يدل على مبلغ رحلتهم فتقشوا على الصخر كتابة اللغة العربية، ولمّا سئل جون قرن عن وجه اختياره للغة العربية. قال: إنها لغة المستقبل، ولا شك أنه يموت غيرها وتبقى حية حتى

يرفع القرآن))[43] ، وليس عسيرا علينا أن ندرك ذلك الإدراك البعيد ما عناه جون قرن بقوله:((حتى يرفع القرآن)) وكأنّي به يشير إلى الآية الكريمة((إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون))

وخلاب هذه المسألة في التواصل الإعلامي الشفوي المسموع أن التنمية الداخلية كانت تستجيب في كل حال لمحيط عوامل التنمية الخارجية، فتتفاعل التنميتان انطلاقا من حكمة قيلت أو حكاية رويت أو أمثال ضربت أو أبيات شعرية مستملحة غريبة أعجب بها اللغويون يعد الإسلام فألقوا فيها وحولوها الى مؤلفات طوال، كما نجد ذلك في كتب المتقدمين والمتأخرين من أعلام اللغة والنقد والأدب.

**8-استمرار الشعر في التنمية اللغوية ما بعد الإسلام:**

ولم تنحصر أهمية هذا المصدر في تنمية العربية ما قبل الإسلام وحسب. بل استمرت هذه الأهمية وتقويت شوكتها ما بعده، لان نزول القرآن رغم تأثيره. اللامحدود في بعض الشعراء المخضرمين إلى درجة إن بعضهم لم يعد يفوه بيت واحد، فإنه لم يحل دون استمراره بل على العكس اظهر لمعتنقي الدين الجديد أنهم لا يفهمون شريعة هذا الدين في غياب هذا المصدر اللغوي الثري باعتبار أن القرآن نزل ((بلسان عربي مبين)) أو كقوله تعالى:((إنا جعلناه قرآنا عربيا))

وعلى هذا، لما جاء الإسلام عني بهذا المصدر عناية لم يظفر بها من قبل في أي عصر من عصوره، حتى أنه ليعزى إلى النبيّ (ص) أنه قال:(( أعربوا في كلامكم تعرّبوا

في كتابة الله))[44] ، بصرف النظر؛ ما المراد هنا بالإعراب إلا أنه حث مباشر للحفاظ على هذا المصدر الذي كان يشكل الصيغة الفنية والقالب البنيوي العام للعربية، وينسب للسيدة عائشة أنها قالت:((رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم))[45]

ولعل متتبعا لكمتي هذه يعتقد أنّي أتحدث عن الشعر من أجل الشعر، وكأنّ الناس لا يعرفون أهميته أفضل مني، والحق أني أتكلم عن هذا العامل لكونه مرتبطا بتنمية العربية أكثر من سواه من العوامل قبل نزول القرآن وإقامة التأليف والدواوين ثم لأنه يمثل العربية التاريخية لكل العلوم اللغوية التي أسست ورسمت فيما بعد، حتى ان ابن عباس لقال:((إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه الى الشعر، فإنه ديوان العرب، وكان يسأل عن القرآن فينشد الشعر و سئل عن الزنيم فقال؛ هو الدعي الملصق ألم تسمع الى قول الشاعر؛ زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الاكارع

وسئل عن قول عز وجل: ((والليل وما وسق)) قال: وما جمع، ألم تسمع الى قول الواجز: اتل لنا قلائصا حقائقا مستوسقات لو يجدن سائقا

وكان يفسر قوله:( ( فإذا هم بالساهرة ) ) قال: بالأرض، ألم تسمع إلى قول أمية بن أبي الصلت الثقفي: وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم))[46]

وعلى هذا، فإني انظر الى هذا العامل في سياق هذا الحديث نظرة علمية صرفا لا نظرة أدبية أو فنية عامة، وكانت هذه النظرة الأولى للعلماء المسلمين فيه ولذلك فلم يخجلهم

ولا يمنعهم ورعهم أن يحتجوا بأفحش بيت غزلي أو أقذع بيت هجائي وصولا الى إقامة قاعدة أو توضيح كلمة في الشريعة، وقل مثل ذلك بالنسبة للقراء والعلمغيين (علماء اللغة).

وحسب إطلاعنا ان ابن عباس يعد بحق أول مطبق لساني من الناحية الدلالية على الأقل نافع بن الأزرق وصحبه قد فرضوا عليه هذه المنهجية التي تفسر القرآن بمصادقة من كلام العرب وكان كما سئل نافع أبنعباس عن معنى كلمة في القرآن، فإنه لا يقتنع ويسال: هل تعرف العرب ذلك؟ فيجيب إبن عباس: نعم وينشد استشهادا به على التفسير[47]، فيقتنع الرجل، واستمر على هذا النهج الدلالي المعجمي الموازن حتى أتى على شرح حوالي خمس وثمانين ومائة مادة لغوية، وهذا ما يعرف بمسائل نافعبن الأزرق.

**9- دور القرآن في تنمية وتطوير العربية:**

ثم كان القرآن الذي يعد عاملا حيا وميدانيا لسانيا معجزا. ودل دلالة قاطعة على قوة العربية في التبليغ وطاقتها العالية والديناميكية. فجمع اخبار الأولين، ومنافع الدنيا والآخرة

وجزاءهما وعقابهما،' ماديا ومعنويا، وظلت لفته تتحدى نهارا العصور والاستعمار والمشركين، فلم يفلحوا في تعويضها لأنه محكوم بالوهن والضعف أمام القرآن، ولذلك فإن قول جون قون السابق ليس من قبيل الصدفة أو الخيال.

وكان القرآن حافزا ومحفزا لا مثيل له جعل كل الطبقات من العلماء والمختصين يدرسونه ويتدارسونه ثم يؤلفون ويبدعون ويذللون السبل لتنمية لغوية شاملة لاحقة في كل

الفنون والعلوم، حيث صنفوا المثير في مشكله وتفسيره، وغريبه ومعانيه ونزوله ومجازه (بمعنى الاصطلاح القديم)... وهلم جرا [48]، فالقراء عنوا بضبط وتحرير كلماته، وأحصوا حروفه وكلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته،... مما سمح لولادة عدد هائل من المصطلحات الجديدة في العربية،... وحسبنا تمثيلا على هذا أن نعرض عليكم بضعة سطور فقط في مذهب حمزة بن حبيب (156هـ) وهشام (245هـ) في الوقت على الهمزة؛((أعلم أن حمزة وهشاما كانا يقفان على الهمزة الساكنة والمتحركة إذا وقعت طرفا في الكلمة بتسهيلها ويصلان بتحقيقها، فإذا سهلا المضمون ما قبلها ابدلاها واوا في حال تحريكها وسكونها نحو قوله ((لؤلؤا)).. ولم يأت في القرآن ساكنة، وإذا سهلا المكسور ما قبلها أبدلاها في الحالين ياء نحو قوله عز وجل:((وهيئ لنا)) وإذا سهلا المفتوح ما قبلها أبدلاها في الحالين الفا نحو قوله عز وجل؛(( ان يشأ ))،... والروم والإشمام ممتنعان في الحرف المبدل من الهمزة لكونه ساكنا محضا فإذا سكن ما قبل الهمزة وسهلاها القيا حركتها على ذلك الساكن واسقطاها ان كان ذلك الساكن اصليا غير الف نحو قوله تعالى:((المرء)) و((دفء))، فإذا كان الساكن زائدا للمد وكان ياء أو واوا أبدلا الهمزة مع الياء ياء ومع الواو واوا وأدغما ما قبلها فيهما نحو قوله ((النسيء)) و((ثلاثة قروء)).... الخ)[49].

أية لغة جديدة ثانية أو ثالثة... هذه في قلب لغة واحدة؟ هل لو قيض لأصحاب المعلقات أن يبعثوا أو تعوض عليهم كلمات من هذا النص يفهمونك؟ أننا نجيب قطعا: لا،

ولنا ادلة علمية تاريخية تنفي هذا [50] ثم كيف استطاع اولئك القراء المسلمون ومن بعدهما الفقلغيون والنفدة،... اختراع واستنباط هذه الالاف من المصطلحات الحيّة والخطيرة في زمن وجيز في الوقت الذي نقف فيه نحن اليوم مشدوهين أمام ما يقتضي همنّا العصر للدلالة على مصطلحات جافة وعقيمة—وبالقياس إلى المصطلحات الأدبية وغيرها—كادت تعقدنا وتشككنا في أنفسنا وفي لغتنا؟؟.

بينما اشتغل النحاة والفقلغيون بما ورد في القرآن من أسماء وأفعال... وتوسعوا في شواهده تطبيقا عليه، حتى انه ليقال أحصوا من هذه الشواهد ثلاثمائة ألف بيت من الشعر، ناهيك كلام العرب الآخر،... والتفت المفسرون إلى ألفاظه ومعانيه،... واتجه الأصوليون إليه يستنبطون منه الأحكام والأدلة العقلية... كما اتخذه الخطيب والواعظ مبدأ ونهاية خطابته وعظاته لما فيه من وعد ووعيد وتحذير وتبشير،... واعتمد عليه المؤرخ والجغرافي والفلكي والبحري وعالم الطبيعة'... في استخراج الحقائق وتبسيط النظريات اما البلاغي والأديب والشاعر فاكثر القرآن فيهم لا يحتاج إلى إشارة أو دليل، كما أن القرآن نتج عنه ظهور هذه القراءات المتعددة له والمعترف بها دينيا لدى جمهور العلماء المسلمين بعد ميلاد الحديث الشريف ((انزل القرآن على سبعة أحرف))[51] وهذه القراءات فضلا عن الدور الأكاديمي الذي دعمت به العربية تعد أهم مصدر لها ومن الداخل لأنها تتناول العربية ذاتها رغم الشواهد الخارجية التي رافقتها.

ثم انّ العرب لم يعتادوا هذا الضرب من البناء في عربيتهم حتى أن بعض الأعراب كان أكثر كلامهم شعر؛ [52] فلما كان القرآن أيقظهم وهداهم إلى نمط جديد من التعبير لبداية عد جديد من التفكير والتحضر والتعامل لمواجهة العصر الجديد والحياة الجديدة، وما كان

ليقدر لهم أن يثبوا تلك الوثبة التاريخية لولا تلك التنمية اللغوية الشاملة والفعّالة، لأنّ العرب في جاهليتها كانت ((على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم))[53] فلما جاء الإسلام نقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع اخرى مثل المؤمن والمسلم والكافر والمنافق والفاسق والسجود والصيام والصلاة والزكاة...[54]، فتعد هذه الكلمات ومثيلاتها العربية تنمية ازدواجية في عامليها الداخلي والخارجي ومن خلال العربية نفسها، هذه التنمية التي لم تعهدها من قبل ولا من بعد، وظهر بعد ذلك بقليل ما يسمى في العربية بالمصدر اللغوي والصناعي.

**10—آثار الخط العربي في التنمية اللغوية:**

وليس من حقنا أيضا أن نتغافل عن اثر القرآن وتدوينه منذ عهد الخليفة الأول أبي بكر في تطوير الخط العربي الذي اهتم به المدونون والكتبة للمصاحف والمترجمون والمعربون اهتماما جعل هذا الخط يصبح في فترة قصيرة مدارس فنية عجيبة، ووصلت هذه الخطوط أو الأقلام في المشرق وحده الى ستة عشر قلما، بينما ذكر ابن الصائع (548هـ) أن عددها نحو ثلاثين قلما[55] وتعددت أدوات الكتابة ولوازمها لاسيما التفنن في صنع الأقلام وفق ما يتلاءم وكل خط.

ولم يؤثر الخط العربي في تنمية النهضة الأدبية والعلمية لدى العرب وحدهم فحسب بل تعداهم بفنياته وجماله إلى إعجاب الأوروبيين به إعجابا جعلهم يكتبون به شعارات دينية تتناقض مع دينهم ومعتقدهم، حيث ظهرت الكتابة ((العربية في صناعاتهم رغم جهلهم لها

وعدم فهم نصوصها، وتوجد عملة سكها((اوفا)) ملك مرسية (757—796هـ) وهي تقليد تام لدينار عربي، وبها الكلمتان ((الملك اوفا)) بالحروف اللاتينية، وحولها كتابة عربية منقولة نقلا دقيقا نقرأ بها الشهادتين: (( لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون)) [56] كما ظهر اثر هذا الخط واضحا على صلبانهم وفن تصويرهم وعلى عباءات تتويجهم، مثل عباءة تتويج الملك روجر الثاني في صقلية... [57]؛ هذا في الوقت الذي تتعالى فيه أصوات مشبوهة من هنا وهناك داعية دعوات منهزمة الى كتابة العربية بالحرف اللاتيني، اقتداء ببعض الشعوب الإسلامية المؤلفة قلوبهم التي تراجعت، مع أنّ هذا التراجع عن الخط العربي لاتخاذ الحرف اللاتيني لم يغير من حالها شيئا أكثر مما لو أبقت على خط دينها وتراثها الإسلامي...

### 11- الفتوحات الإسلامية وصلتها بالتنمية اللغوية:

ومن عوامل التنمية الخارجية للعربية أيضا الفتوحات الإسلامية الواسعة والسريعة رغم ما كان لها من آثار متفاوتة على العربية بعضها سلبي وآخرها إيجابي، فالسلبي يتجلى في بداية ضعفها وظهور لهجات عامية مطعمة من اللغات المحلية المفتوحة وفقد السيطرة والمراقبة في تحركاتها ونطق الأشخاص مشرقا ومغربا وآسيويا وأوروبيا بها، أما الإيجابي فيتخلص في سعتها واستخدامها وتعدد الناطقين بها اختياريا وإقبالهم ذلك الإقبال الرهيب على تعلمها، لآن عدم الضغط على الشعوب المفتوحة مستوحى من الدين

نفسه هذا الدين الذي لم يكن يجبر شعبا ذا دين سماوي لاعتناقه إذا ما هو دفع الجزية، كما أنه لم يرغم قط معتنقا إياه من تعلم هذه اللغة وغم أما لغة دينه الجديد ولكن المسلم نفسه وبصورة تلقائية كان يجز في نفسه أن يبقى بينه وبين قرآنه وأحاديث نبيه حاجز اسمه الترجمة بلغته التي يفقهها.

## 12- أثر الترجمة في التنمية اللغوية:

أما عامل الترجمة من اللغات الأجنبية فقد كان عونا كبيرا على النمو اللغوي خاصة وأنّ العرب قد ترجموا أول ما لم يكن عندهم معروفا أو واسع المعرفة كالمنطق والفلسفة والطبيعيات والرياضيات،... هذه المعارف حتمت على المترجمين المهارة أن يولدوا العربية ويطوعوها، بفضل الجهود السابقة.

وكانت السريانية قبل الإسلام وبعده بقليل هي لغة السيادة في الشوق حتى ساد الشعور بأنّها ((أصلح اللغات الشرقية للتعبير عن المعاني الفلسفية والعلمية)) [58] ولم تنطلق الترجمة انطلاقتها الجادة إلاّ على عهد المنصور الذي شجع المترجمين وأجزل لهم العطاء وازدهرت في عهد الرشيد لكنها لم تبلغ ذروتها في عصر المأمون الذي يرجع إليه الفضل في إنشاء دار الحكمة ببغداد واستقدم علماء وباحثين أجانب عن العروبة والدين ليؤجرهم ويغريهم ماديا ومعنويا لترجمة ما كان شائعا من معارف ذلك العصر في الإغريق وبلاد فارس والهند.

لقد دخل اللغة العربية بفضل هذه التراجم مصطلحات علمية غزيرة ولكن فضل العربية في حد ذاتها لم يكن منعدما لأنه لولا قدرة استيعابها لهذه الثقافات التي كانت تمثل الرقي

الحضاري الزاهي في ذلك العهد لما استطاعت أن تسع كل تلك المعارف للتعبير عنها بأساليب جديدة وعصرية تتلاءم ومعطيات تلك الثقافات الفلسفية والعلمية الأجنبية، وفي هذا المعنى يقول نولد كه المستشرق الألماني ((إن من الخطأ الشائع ان نظن ان العربية فقيرة لا تصلح لبحث الأمور المعنوية، فعلى العكس يندر أن نجد لغة أخرى كاللغة العربية تصلح لأن تكون وسيلة للتعبير عن الفلسفة القديمة وأصول حكمة الأولين)) [59] وفي تأثر البلدان المفتوحة بالعربية وازدرادها للغات الأبية العظيمة يقول نفس العلامة: ((إن اللغة اليونانية أم تؤثر الحياة الفارسية إلا تأثيرا سطحيا، ولكن العربية قد أثرت فيها كل التأثير، فتدينت إيران بالدين العربي والأخلاق والعادات العربية)) [60] حتى وان كنا نأخذ عليه قوله: ((الدين العربي)).

إن هذه الترجمة وما سبقها من معارف علمية عربية فإسلامية جديدة رفعت كثيرين من الباحثين العرب والمسلمين إلى استحداث ما يسمى اليوم عندنا بـ (( البحث العلمي)) حتى وان كان شتان ما بين بحث تحدوه الرغبة في المادة، ويبق بحث تتمنى المادة أن تهرع وراءه يرضى الالتفات إليها، بمعنى ان البحث كان من أجل حب البحث خدمة للحضارة الإنسانية والمجتمع، هذه الخدمة التي نجدها بصفة خاصة معبرا عنها بنزاهة وببلاغة غير مجازية في كتابة الأستاذة الألمانية ((زيغويد هونكة)) في كتابة المصنف ((شمس الله تسطع على الغرب)).

إلا أن هذه الترجمة ما عتم أن خمدت شيئا فشيئا بعدما استوعب العرب النظريات العلمية التي سبقت نشوء إمبراطور يتهم وبعدما حل الإبداع والاختراع محلها، وتجاوزتها الأحداث العلمية وبعدما سقطت بغداد وحلول عصر الضعف وظاهرة انحلال الوجود العربي في المشرق وفي المغرب.

وكان علينا أن ننتظر عصر النهضة لتنشط الترجمة من جديد ويعيد التاريخ نفسه، بيد أن هذه الترجمة لم تنح منحى سابقتها من حيث النوعية المتخصصة بل راحت تترجم كل ما دبّ وهبّ بما في ذلك الفنون الأدبية والأشعار في الوقت الذي كنا ومازلنا أحوج ما نكون إلى ترجمة كتب علمية وتكنولوجيه، فضاعت جهود كبيرة وأموال طائلة فيها لا ضائل وراءه إذا ما أخذنا عاهل الأولوية والتنمية السريعة بعين الاعتبار.

### 13- مفهوم التنمية بين الترجمة والتعريب:

ومع ذلك فيمكن القول بأن العرب قد فرقوا منذ الوهلة الأولى بين الترجمة من جهتين التعريب من جهة أخرى، وبين الدخيل من زاوية ثالثة، حيث اعتبروا هذه العوامل ليست بأقل اهمية من عوامل الاشتقاق والقياس والنحت والقلب ولإبدال في إنماء اللغة العربية الى جانب التدوين والنصيف طبعا، ولم يطيلوا الحديث كثيرا عن التعريب لإيمانهم بأن التعريب عملية لغوية علمية ليست أكثر، يقوم بها لغويون مختصون.

ننحن إذا تصفحنا مثلا كتاب سبيويه الذي يعد أقدم وأصح كتاب لغوي علمي، فأنا نجد صحبه، يرسم ما يمكن تسميته اليوم بتعليمة لغوية علمية واضحة ودقيقة لا تتجاوز ثلاث صفحات[61]، مركزا حديثه فيها على ما قد يلحق الاسم الأجنبي المعرب من تغيير أو

حذق آو إبدال أو زيادة معللا في كل مرة وممثلا لكل نوع، وختم تعليمته بقوله ((هذه حال الأعجمية، فعلى هذا فوجهها))[62]

أما نحن فقد؛ أطلنا الحديث عند أكثر من اللازم. وكأننا لسنا بعرب. حتى صونا نرتاب في أنفسنا؛ هل نحن نريد أن نعرب أم نتعرب؟ كعا اضحينا لا نميز كثيرا بين الترجمة من جهة والتعريب من جهة ثانية وكأنهما شيء واحد فتداخل المفهومان في أذهاننا ناهيك عن الدخيل، وليتنا قفينا آثار أسلافنا لإزالة مثل هذه الإشكالات.

وأخطر من هذا التعريب المزدوج على مستوى المؤلفات العلمية والرياضية المدرسية والجامعية، والتي تصادفنا بكثرة حتى لدى بعض الدول العربية التي تزعمت التعريب منذ عقود، حيث تكتب المعادلات والرموز والمصطلحات بالحرف اللاتيني الذي حروفه أقل من الحروف العربية والتعبير عنها بالعربية، ولعلنا لسنا بحاجة الى التساؤل: ما الأعوص والأحزن؟ التعبير بالرموز أم التعبير عن هذه الرموز وتبليغها؟ هذا مع عدم اقتناعنا للتعلات التي يتعللون بها في هذه المسألة.

وقد يرى البعض ممن لا ينظر بعيدا أن هذه مسألة شكلية ليس غير، والحق أنها قضية جوهرية لأنها تتعلق بثقة الطالب والمواطن في لغة آبائه وأجداده، وبتنمية اللغة من الداخل واثرائها بمصطلحات لا حصر لها، وبخدمة التعريب الذي يعتبر عملية لغوية كلية شكلا ومحتوى، فضلا عن فساد الفكر، وقتل الخلق وبث روح الإتكالية دوما على كل ما هو أجنبي حتى في الرموز والاشكال.

فالمنهج القديم منهج علمي وسديد، وكان يعني واجهتين:

التعريب للمصطلحات الأجنبية بالطريقة اللغوية التي أومأ أليها سيبويه أو إحلال العربية محل اللغات الأجنبية، وهذه هي العملية التي سادت– أو بدأت على الأقل– منذ أمر عبد الملك من مروان التاريخي بتعميم استعمال اللغة العربية في جميع الخدمات كالبريد ودواوين الخراج، ثم ما لبثت الأقاليم الإسلامية الأخرى أن تعربت في فترات متفاوتة كبلاد مصر والأندلس وأقطار المغرب.

وكان التعريب في أقطار المغرب أسهل من أي قطر آخر—ماعدا الشام والعراق— فتحة العرب، لأن اللغة الكنعانية دخلت هذه الأقطار منذ حلل الفينيقيين سنة 814ق م ثم تحولت الى لغة بونيقية اتخذت هويتها مع اللهجات المغربية، وعلى هذا فإن العربية لم تدخل هذه البلدان من باب ضيق أو غريب، فكيف لو اضفنا إحدى النظريات التي تزعم بأنّ أفريقيا الشمالية قد تكون المواطن الأصلي للساميين الأولين؟

**14–التنمية اللغوية على ضوء التعريب في الجزائر**

ومنهجية التعريب لدينا في الجزائر لاتزال تحترم هاتين الواجهتين القديمتين، لأنهاتعني بالتعريب إحلال اللغة الوطنية التي هي العربية محل اللغة الأجنبية، كما يعني التعريب عندنا التفتح على الحضارات الإنسانية المتقدمة وتكوين المصطلح المناسب لكل ما هو أجنبي، ونحن نستبشر خيرا بكتبنا العلمية التي تحاشت الى حد ما الرموز بالحرف اللاتيني، ولعل مجمع اللغة العربية الناشئ سيحدد أكثر وضوحا هذه النظريات، ويقول فيها قوله علميا

وعمليا، كما عودتنا الإرادة السياسية في الجزائر خاصة منذ عام 1980 اثر قرارات اللجنة المركزية الداعية الى تعريب العلوم الاجتماعية كلها في الجامعات والمعاهد العليا خلال أمد قريب وهذا ما تم فعلا، بينما اعتمدت التعريب العمودي أي التدريجي في الفروع العلمية والتكنولوجية، الشيء الذي نمّى العربية في هذا القطر تنمية أصيلة وأثراها بمصطلحات معجمية جديدة في ظرف قصير رغم مآثر الاستعمار السوداء والشائكة، وأما دون الجامعي فإن تعريبنا بدأ أفقيا ما بعد الاستقلال، وفي أوائل السبعينات، ومنذ ظهور قرار: 16 أبريل 1976 الخاص بالمدرسة الأساسية صار هذا التعريب عموديا ومنتظما.

وعلى مستوى الوطن العربي يعتبر محمد على أول رائد مسؤول في هذه العملية إذ أمر منذ عام1826 بتعريب كليتي الطب والهندسة محاربة لسياسة التتريك، لكن منذ السبعينات من نفس القرن استعيض عن العربية بالغة الإنجليزية[63]، بينما تم تعريب الطب في دمشق منن عام 1919 وهي نفس السنة التي شهدت ميلاد أول مجمع عربي، غير أن اعتماد العرب على اللغتين الفرنسية والانجليزية وحدهما غالبا بدل الترجمة من لغات حية أو متقدمة أخرى جعل تبعيتنا التكنولوجية المزمنة ثقافية وسياسية أكثر منها علمية محضة.

**15-رأي في شروط التنمية اللغوية العربية:**

وباختصار، لن يكون هناك أي تعريب-في نظرنا-كاملا إلا إذا توفرت شروط أهمها فيما أرى:

1- الإرادة السياسية قبل الارادة العلمية

2- التنسيق العلمي والتنفيذ العملي

3- اعتبار التعريب عملية إستراتيجية انتقالية حتى نكون دوما عالة على غيرنا.

4- الإيمان بتعريب فكرنا قبل تعريب لساننا وثقافتنا، لأن الفكر ملكنا، والثقافة عنصر مشتبك بيننا وبين سوانا من الأمم والشعوب.

5- عمليات التقويم المستمر والمراقبة الصارمة.

6- العامل الحضاري والتكنولوجي الزمني ينبغي أن يكون ثانويا أو مؤقتا لا أساسيا أو ((كمسمار جحا)) كعا نقول بعاميتنا.

7- التنقيب في التراث المهيأ قبل الإقدام على الترجمة أو التعريب.

8- شحن الكلمات العربية المهملة حتى الأن شحنا يقترب من المعنى العام لما هو مستعمل ومخترع في آن واحد، لأن لغتنا لا تزال تختزن سبعين ألف كلمة، كما ذلك الشيخ أحمد الأسكندري[64] مما ليس مستعملا.

### 16-المجامع اللغوية والتنمية في العربية:

إذا كانت الأذهان قد غامرتنا فكرة إنشاء مجمع لغوي عربي نحو سنة 1870 فإن أول مجمع ألماني ظهر عام 1617 بينما ظهر المجمع اللغوي الفرنسي عام 1734[65].

ومنذ إنشاء مجمع اللغة العربية بدمشق وهو يؤدي رسالته العلمية فقام بإنشاء كلية اللغة العربية منن عام 1924، ونشر الثقافة بين الخواص والعوام، وأسس المجلات، وحقق وطبع مخطوطات تراثية ساهمت في إيقاف العربي على تراثه الغني والعلمي، وألف المعاجم وكتب المصطلحات.

أما مجمع اللغة العربية بالقاهرة فقام منذ وجوده بعدة أعمال علمية وثقافية عامة لما كان يتمتع به أعضاؤه من ثقافات قوية وواسعة ومتعددة، فعني بالمصطلحات العلمية، وشكل لجانا من العلماء والمختصين في كل الاختصاصات العلمية العصرية، وحسبنا أن ننكر أن عدد المصطلحات التي أقرها هذا المجمع تجاوزت خمسين ألف مصطلح في علوم مختلفة، ونشر فيها سبعة عشر مجلدا [66] الى جانب اصداره بعض المعجمات العلمية المتخصصة مثل معجم الجيولوجيا سنة 1965، ومعجم الفيزياء النووية سنة 1974 والمعجم الجغرافي عام 1975، وقام منذ سنوات بإعداد معاجم أخرى في الطب والبيولوجيا لطبعها ونشرها[67] علاوة عن الكب التي حققها ونشرها في التراث العربي الإسلامي وعن الأبحاث العلمية الأكاديمية التي كان نشرها تباعا في مجلة المجمع.

أما في العراق وبعد محاولات متعددة ومنذ عام 1921، فقد تأسس هذا المجمع عام 1947، وشمر المجمع عن أفكاره وجهوده، واستطاع أن ينثر في ظرف قصير أكثر من عشرين مجلدا الى جانب ما حقق ونشر من كتب علمية وتراثية،... واحدثها مجمع اللغة العربية الأردني الذي ظهر عام 1976،... ثم مجمع اللغة العربية الأردني وآخرها مجمع اللغة العربية الجزائري خلال هذه السنة.

وما نسجله هنا تشتت بعض جهود أعضاء هذه المجامع التي كان هدفها العميق واحدا، ولذا فينبغي أن تكون النتيجة واحدة لان المصير القومي مشترك أرضينا أن سخطنا فالمتربصون باللغة العربية الدوائر لا يرضيهم أن تأخذ مكانتها العلمية والعالمية، وعلى المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي المقام حاليا في الرباط أن يؤدي دوره في مجالات التنسيق حتى تتضافر الجهود المبعثرة من هنا وهناك لتصير في النهاية جهدا واحدا.

وذكرنا دور المجامع اللغوية في التنمية لا ينسينا أن نومي من قريب الى مؤسسات علمية وثقافية وجمعيات أسست؛ فمنها جمعية المسلمين الجزائريين التي انشأت صحفا ومجلات وأقامت مدارس في هذا القطر الذي كانت كلمته مكبلة ولغته حراما يعاقب عليها قانون الاستعمار... ومع ذلك جابهت بكل شجاعة أدبية وجهود عصامية كيد الفرنسة والمسخ والتشويه في عهد قويت فيه شوكة الاستعمار وأساليبه الثقافية الفعالة أمام شعب سلط عليه الجهل والتخلف... وهناك معاهد عربية مختصة أنشئت في هذا القطر أو ذاك مثل معهد المخطوطات العربية، ومعهد الدراسات العربية العالية ومقراهما القاهرة،

والمعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط، ومركز اللغة العربية بالرياض... واتحاد المجامع العلمية واللغوية العربية، فضلا عن الدورات والندوات والمشاريع لتحديث اللغة العربية وإثرائها مثل الإنماء العربي ببروت، وكنا المؤتمرات التي كان أولها سنة 1961 بالرباط وثانيها في الجزائر العاصمة عام 1973، وخامسها وآخرها حتى الآن في بغداد عام 1978.[68]

والخلاصة التي وقفت عليها بعد إطلاعي على هذه الجهود المبذولة خلال هذا القرن ان الباحثين العرب يعترف لهم بكل فضل لأنهم خدموا هذه اللغة بصدق وحماس، وساهموا مساهمة عظيمة في تنميتها،... ولكن السؤال المطروح؛ هل استغلت هذه الثروة الهائلة من المصطلحات ووظفت في مجالاتها العلمية والتقنية؟ وهل قام مكتب التنسيق المقام في الرباط بدوره الفعال بين الدول العربية في توحيد المصطلح أم أننا نتجه إلى لهجات قبلية جديدة من المصطلحات؟.

على أي حال، إن هذه المجامع والمؤسسات والاتحادات نريد. لها المزيد من العناية بها وتنشيطها وتشجيعها، من لدن الأفراد والحكومات حتى تقوم بدورها الطلائعي في تنمية العربية تنمية عصرية تقوم على الإبداع والتأصيل أكثر مما ترتكز على الترجمة والتعريب.

**17—أهم ما تصطدم به التنمية اللغوية في الوطن العربي؛**

وليس من المنطق حصر كل العوامل الخارجية التي تساهم في التنمية اللغوية سلبا وإيجابا، ولكني فيما أعتقد قد أشرت الى معظمها وأخطرها، غير أنّ هناك عوامل أخرى لا يجوز لي أن ادعوها عوامل ثانوية، وهي التي قد يصبح بعضها في وقت من الأوقات ولدى جيل من الأجيال أساسية، ومن أبرزها فيما يبدو لي:

1- الإعلام اللغوي
2- التمدرس
3- التشخيص للغة

4- التساهل اللغوي المفرط في بث الرسالة أو تقبلها

5- المسرح والسينما، وهما كارثة العرب في عربيتهم.

ومرض هذه العوامل إذا لم تؤخذ فيها صرامة لغوية عاجلة فإنها ستأخذ اللغة الى الحضيض رغم الجهود العلمية والإرادات السياسية والفكرية المبذولة في فائدتها.

**18-التسامح اللغوي خطر على التنمية اللغوية:**

ومما هو ملاحظ ومؤسف أن العوامل الخارجية اصبح من العسير بل من المستحيل من الأن أن تراقب وتزجر، فحملة العربية وحفظتها وجماعها والمقعدون لها من جميع الطبقات منذ صدر الإسلام حتى عهد نشوء الدويلات كانوا يراقبونها وقد يعاقبون أو يعزلون مسؤولين من أجل وقوع أحدهم في لحن لغوي ما واتخذ بعض الخلفاء المسلمين إجراءات من اجل أن تظل العربية سليمة اثر حدوث العلاقات اللغوية العربية الأعجمية بعد الفتوحات الإسلامية بل نستطيع أن نقرر أن هذه المراقبة ظهرت منذ العصر الجاهلي من خلال بعض المناظرات الشعرية التي وصلتنا أو بعض الهفوات العروضية التي كان يتورط فيها جبلة بعض الفحول من الشعراء البدو.

ولذلك فما ان ظهر علم النحو في العرب منذ العقد الخامس من القرن الأول الهجري حتى اهتم الناس به أي اهتمام ومدحوه ووصفوه بأنه أفضل العلوم-بعد كتاب الله - فيه يعرب الكلام ويقرأ القرآن وعليه تروى الأخبار والأشعار، وبه يزين الموء كلامه ويحلى لفظه)) العاهل[69] ومدحه أحد الشعراء[70]:

الفحو يطلق من لسان الألكن والمرء تعظمه إذا لم يلحن

فإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها منها مغيم الألسن

وقاوم اللغويون بشدة وعنق لغويين وقاسيين كل انحراف عن السلوك اللغوي العام أثناء توظيف قاعدة أو جهة من جهات الكلام جنوحا عن القواعد العامة، فزرعوا الانضباط الفني واللغوي في الشعراء المخضرمين والإسلاميين اللذين يعتد بهم في الاجتماع للعربية ولا أحد منا لا يتذكر المشادات العنيفة بين الفرزدق وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، لان المحدثين القدماء من فطاحل العربية رغبوا أن يقيسوا على اشتقاق غيرهم حتى ولو كان في ذلك القياس ما ينافي مطرده وكثرته، من ذلك ما حكاه الخليل بن أحمد من أن رجلا أنشده[71].ترافع العز بنا فارفعنعا

فقال له الخليل: ليس هذا شيئا، فقال الرجل: كيف جاز للعجاج أن يقول:

تقاعس العز بنا فأقعنسسا

ولا يجوز لي؟

وأول ملاحظة بين ((ارفنعغا)) و((اقعذنسسا)) تبين لنا الخطأ الصوتي الجسيم الذي وقع فيه هذا الرجل، حيث جمع بين حرفين حلقيين متتابعين، ثم إن الهفوات اللسانية التي سبقت تقعيد القواعد كان مغفورا، لان العربي كان ينطق على سجيته دون مرشد ولا وازع علمي، ومع هذا لا يفهم أن الشاعر العربي كان مطلق الحرية اللسانية والفنية في توظيف الكمات وربطها بالمضمون المراد التعبير عنه،

فهذا سويد بن كراع يصف نفسه وهو مقتحم على أبواب الشعر[72]

أبيت بأبواب القوافي كأنها اهدي بها سربا من الوحش نزعا

اكالئها حتى اعرس بعدما يكون سحيرا أو بعيد فأهجعا

إذا خفت أن تروي علي وددتها وراء التواقي خشية أن تطلعا

وقال ديين الرقاع [73]

وقصيدة قدبت اجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافة منآدها

**الاحالات:**

---

[1]- طبقات الشعراء لابن سلام 9/1

[2]- السابق ص: 10

[3]- السابق ص : 10

[4]- السابق ص: 11

[5]- مجلة مجمع اللّغة العربية ص: 7 عدد 2

[6] - الآداب السامية ص: 107

[7]- العربيّة عبر القرون ص: 29

[8]- السابق، ص: 31

[9]- السابق، ص: 32

[10]- تاريخ اليمن تقديم ص: 202

[11]- السابق ص:203

[12]- طبقات الشعراء لابن سلام 1-11

[13]- السابق ص: 14

[14]- قصدنا القرائة في هذا الكتاب الذي يعد من أقدم ما وصلنا في الموضوع

[15]- الأمثال ص: 38

[16]- السابق ص: 38

[17]- السابق ص: 38

[18]- السابق ص: 38

[19]- السابق ص: 39

[20]- السابق ص: 41 - 42

[21]- راجع سر صناعة الأعراب 56/1

---

[22]– الأمثال ص: 55

[23]– السابق ص: 63 – 64

[24]– السابق ص: 46– 47

[25]– طبقات الشعراء لابن سلام 3/1

[26]– السابق ص: 24

[27]– السابق ص: 24

[28] السابق ص: 24–25

[29]–السابق ص: 24–25

[30]– السابق ص: 4

[31]– السابق ص: 25

[32]عيون الأخبار م1 / ج2 / 130

[33]– طبقات الشعراء لابن سلام ص: 25

[34]– العقد الفريد /5/ 283

[35]– السابق ص" 275

[36]– مقدمة ابن خلدون ص: 581

[37]– سورة الطور: 30

[38]– الفاضل للمبرد ص:5

[39]– الآداب السامية ص: 119

[40]– السابق ص: 133

[41]– السابق ص: 136–137

[42]– القياس ص: 19

[43]– السابق ص: 14

[44]– الفاضل للمبرد ص: 4

[45]– العقد الفريد 274/5

[46]– الفاضل ص: 10

[47]– معجم غريب القرآن ص: 236

[48]– يراج ع الفهرست وبن نديم ص : 36–42

[49]– السابق ص: 37

[50]– أنظر فقذ كتاب العين للخليل بن أحمد أو فهرس كتاب سيبويه وانظر أيضا

[51]– فضائل القرآن ص:28

[52]– العقد الفريد 491/3

[53]– فقه اللغة لابن فارس ص: 78

[54]– السابق ص: 78 – 81

[55]– خطوط المصاحف ص: 46 – 47

[56]– السابق ص: 32

[57]– السابق ص: 32–33

[58]– الآداب السامية ص:135

[59]– السابق ص: 135

[60]– السابق ص:ى 138

[61]– الكتاب 303/4–307

[62]– السابق ص: 307

[63]– مركز دراسات الوحدة العربية ص: 51

[64]– الآداب السامية ص: 133

[65]– القياس ص:21

[66]– الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري ص: 39
[67]– السابق ص: 40
[68]– السابق ص: 60–62
[69]– الفاضل ص: 4
[70]– السابق ص: 4
[71]الشعر والشعراء ص: 16
[72]– السابق ص: 17
[73]– السابق ص: 17

**المراجع:**

1– اصلاح المنطق لابن السكيت
تحقيق شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف (مصر)
2–الإنصاف في مسائل الخلاف : ابن الأنباري
تحقيق عبد الحميد محي الدين : المكتبة التجارية الكبرى (مصر)
3–أفصح المسالك: ابن هشام ط: 1949
تحقيق محي الدين دار السعادة (مصر)
4–البحر المحيط: ابن حيان الغرناطي ط: 1328 هـ مطبعة السعادة (مصر)
5–الإيضاح في علل النحو: الرجاجي تحقيق: مازن الكبارك دار العروبة القاهرة
6–البيان والتبيين الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي القاهرة

7- تاريخ اليمن القديم: عبد القادر بافقية، ط: 1973 مطبعة الحرية بيروت

8- التيسير في القراءات السبع : الداني، اسطنبول ط: 1930

9- الجمهرة ابن دريد، ط: 1351 هـ حير باد طبعة بالأوفيست

10- الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، ط: 1971

11- الخصائص: ابن جني

تحقيق محمد النجار دار الهدى، بيروت

12- ديوان حميد بن ثور الهلالي – صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني الدار القومية القاهرة

13- ديوان زهير، ط: 1964 الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة

14- ديوان امرئ القيس، تحقيق: أبو الفضل ابراهيم دار المعارف مصر

15- ذيل الأهالي والنوادر، أبو علي القالي، دار الفكر، بيروت

16- سر صناعة الاعراب: ابن جني، ط: 1954

تحقيق: لجنة من الأساتذة مطبعة مصطفى البابي الحلبي

17- شذور الذهب: ابن هشام

تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر

18- شرح ابن عقيل، ط: 14 / 1965 مطبعة السعادة مصر

تحقيق: محي الدين عبد الحميد
19- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ط: 1/ 1951 القاهرة
تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون
20- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: الأتباري
تحقيق عبد السلام هارون: دار المعارف مصر
21- الشعر والشعراء: إبن السلام، دار النهضة العربية بيروت
23- طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي، ط: 1973
تحقيق: أبو الفضل، دار المعارف مصر
24- العقد الفريد: ابن عبد ربه، لجنة التأليف وترجمة (أحمد أمين وصاحبه)
25- الفاضل: المبرد، ط: 1956
تحقيق عبد العزيز الميمني/ دار الكتب العربية
26- الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس ط: 1964
تحقيق: د.مصطفى الشويمي- بيروت
27- الهرست ابن النديم، الطبعة المصرية
28- قاموس الألفاظ والإعلام القرآنية: محمد إسماعيل إبراهيم ط: 1/ 1961
دار الفكر العربي

29- الكامل: المبرد
تحقيق أبو الفضل والسيد شحاتة نهضة مصر، القاهرة
30- الكتاب، سيبويه،
تحقيق هارون الهيئة المصرية للكتاب
32- مجالس تعلب، تحقيق هارون، دار المعارف مصر
33- المقر: ابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار وعبد الله الجبور بمطبعة المعادي بغداد
34- مروج الذهب: المسعودي دار الأندلس، بيروت
35- مغني اللبيب: ابن هشام/ تحقيق: محي الدين مطبعة المدني القاهرة
36- المفضليات: المفضل الطبي: تحقيق: شاكر وهارون مطبعة المدنس القاهرة
37- الموشح: المرزباني، تحقيق محمد علي البجاوي، ط: 1965 دار النهضة مصر.
38- نزهة الألباء: ابن الأبناري ط: 1970/2 تحقيق: روم لغلهايم ط: 1964 المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
39- نور القبس: المرزباني واختصار اليغموري

40- القياس في اللّغة العربية، محمد الخضر حسين الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط: 1986 الجزائر

41- بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، عبد الجليل مرتاض ط: 1988/1 مؤسسة الأشرف – بيروت

42- اللّغة العربية عبر القرون: د. محمود حجازي، دار الكتاب العربي القاهرة

43- الآداب السامية، محمد عطية الأبرشي ط" 1984/2 دار الحداثة، بيروت

44- الجهود اللّغوية خلال ق: 14 هـ د. عفيف عبد الرحمان ط: 1981

45- ضرائر الشعر، ابن عصفور تحقيق إبراهيم محمد ط،2 دار الأندلس،

46- المفصل في علم العربية، الزمخشري، ط: 2 دار الجبل، بيروت

47- ديوان النابغة الدبياني: تحقيق: د. شكري فيصل، دار الفكر، بيروت

48- ديوان عبد الله بن قيس الرقياط ط: 1980 دار بيروت للطباعة والنشر

49- العين، الخليل ابن أحمد تحقيق: د. عبد الله درويش ط: 1967 مطبعة العاني بغداد

50 العمدة: ابن رشيق، تحقيق محي الدين ط: 1963/3

51المزهر: السيوطي تحقيق: جاد المولى وصاحباه، مطبعة عيسى البابي الحلني مصر

52- مقدمة ابن خلدون: مطبعة مصطفى مصر
53- النوادر: أبوزيد الأنصار المطبعة الكاثوليكية ط: 1894
54- اللغة الشاعرة: عباس محمود العقاد
55- نقد الشعر: قادمة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى الخانجي مصر
56 – التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية: مراكز دراسات الوحدة العربية ط1 1982 بيروت
57- طبقات الشعراء: ابن سلام، تحقيق شاكر ط: 1974 مطبعة المدني القاهرة
58- كتاب الأمثال: أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي
59- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، لبيب السعيد، دار الكتاب العربي، للطباعة والنشر، القاهرة
60- عيون الأخبار: ابن قتيبة دار الكتاب العربي – بيروت
61- لسان العرب: ابن منظور ( طبعة مصورة عن طبعة بولاق) الدار المصرية للتأليف والترجمة
62- فضائل القرآن: ابن كثير ط: 1966 دار الأندلس بيروت.

# التعريب والشخصية الوطنية

الأستاذ/ عبد السلام ضرغام

ما من شك في أن لكل شعب شخصيته المتميزة الخاصة، وأنه مالم ينجح في إقامة هذه الشخصية بجميع ابعادها في واقعه المعيش يبقى ناقص الاستقلال سهل الذوبان في الكيانات الأخرى الأكثر محافظة على شخصيتها..

ومن البديهي أن تكون اللّغة هي حجر الاساس في كل شخصية تريد الثبات والصمود والبروز والتألق، لأنها ببساطة وسيلة التعبير عن أفكار ومشاعر الأفراد والجماعات، وأداة التفاهم والتواصل بين الأجيال، والوعاء الذي يحفظ خبرات الأمة وآدابها وإبداعاتها ويعطيها بالتالي قوة الدفع لبناء المستقبل وتحقيق الرقي والتقدم.

## وضع اللّغة العربيّة في الجزائر أثناء العهد الاستعماري

لقد ظلت الجزائر منذ الفتح الإسلامي محافظة على الثقافة العربيّة الاسلامية التي انصهرت في بوتقتها وساهمت في إثرائها بكثير من الإنتاج الفكري والإبداع الغني والمؤلفات القيمة، فازدهرت اللّغة العربيّة في هذه الديار وأضحت لها مراكز إشعاع كبرى في مختلف أرجاء «الجزائر كتلمسان ووهران وبجاية ومسيلة ومازونه وقسنطينة وغيرها»، كما كانت الوسيلة وأداة التعامل في كل المجالات الإدارية والعلمية والعسكرية، وكانت جميع الوثائق الرسمية للدولة الجزائرية تصاغ بالعربيّة، ومن بينها تلك الوثائق المتبادلة بين الأمير عبد القادر وقادة الغزو الاستعماري ومراسلات الداي حسين والاتفاقات والمعاهدات الثنائية التي أبرمتها الجزائر في تلك الحقبة مع مختلف الأطراف الدولية، والتي لا تدع مجالا للشك في حقيقة اللّغة العربيّة كعنصر أساسي لا ينفصل عن الشخصية الوطنية الجزائرية.

ومن المعروف أن عملية الاحتلال عام 1830 رافقتها حرب شعراء على عناصر الهوية الوطنية الجزائرية ٠ن دين وثقافة ولغة، فتحولت وفق ذلك المساجد إلى كنائس وثكنات، وتم التضييق على تعليم اللّغة العربيّة وتعطلت دور العلم والثقافة وأتلفت المكتبات،

وذلك كله في محاولة لمحو الشخصية الجزائرية ومسخ معالمها لإلحاقها بشخصية المستعمر الذي يدرك تمام الإدراك بان الأمر لا يستقيم له إلا بالقضاء على هذه الشخصية.

وفي خضم الحرب المعلنة على معومات الأمة الجزائرية، عملت أدارة الاستعمار كل ما في وسعها من اجل أن تحط من شأن اللّغة العربيّة بدعوى أنها لغة ميتة لا طائل من اعتمادها في الحياة اليومية للمواطن. غير أن الشعب الجزائري الذي يدرك بسجيته أهمية العامل اللغوي في الحفاظ على هويته في معترك تحديه الاستعمار، راح يعبئ إمكاناته للإبقاء على تعليم لغته بين أبنائه كتعبير عن مقاومته المسخ ومواجهة حملات التشويه، وقد قامت بهذا الدور بالدرجة الأولى كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة عبر كل المدن والقرى. وكنا بعض الزوايا التي يتهافت عليها الطلاب لتعلم علوم الدين ومبادئ البلاغة والنحو والصرف، وأحيانا المنطق والرياضيات.

هذه المقاومة الذاتية للمجتمع الجزائري، كانت وراء ظهور الحركات الإصلاحية المتفرقة التي لم تستبعد المقومات الأساسية للشعب الجزائري في مناهضتها للاستبداد والتسلط، وقد أسفرت في العقد الثالث من هذا القرن عن بروز حركة واسعة حملت لواء تعليم اللّغة العربيّة بطرق أكثر عصرية وشمولية، تتمثل في (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي قامت بحملة تحسيسية لأهمية تعليم اللّغة العربيّة وبناء المدارس الحرة لحماية اللّغة العربيّة من الضياع، فاستجاب الشعب الجزائري لهذا النداء، وتم بناء

العشرات من المدارس في مختلف أنحاء البلاد، وجند المئات من المعلمين، وأوجد نظام محكم لتسيير هذه المدارس قبل أن يتأسس المعهد الثانوي (عبد الحميد بن باديس) بقسنطينة إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية..

ومع بداية العقد الخامس شرعت الجمعية في إرسال بعثات طلابية الى معاهد وجامعات البلدان الشقيقة كمصر والعراق وسوريا والأردن والكويت بهدف إعداد الكفاءات اللازمة للمدارس الثانوية التي تزمع الجمعية الاستزادة منها بمجرد إعداد إطاراتها، دون ان

ننسى جامع الزيتونة وفروعه بتونس وجامع القرويين بفاس اللذين ظلا قبلة لطلاب العلم الجزائريين يتوافدون عليهما لتلقين علوم الدين واللّغة، ثم العودة الى الوطن للتدريس في المدارس الجزائرية.

وأمام استعادة الشعب الجزائري في الدفاع عن هويته اللغوية الثقافية، عمدت إدارة الاستعمار إلى إدراج كل معلم أو متعلم للّغة العربيّة ضمن القائمة السوداء التي يعتقل صاحبها ويزج به في السجن لمجرد ظهور حوادث تستدعي منها الزجر، وعندما اندلعت ثورة التحرير، سارعت إلى غلق هذه المدارس والى تعقب معلميها وطلبتها الذين التحقوا في أغلبهم بطلائع المجاهدين ليشكلوا النواة الأولى لجيش التحرير الوطني قبل أن يلتحق بهم زملاؤهم تلاميذ المدارس والجامعات الفرنسية عام 1956.

ومع اندلاع الثورة رفعت جبهة التحرير الوطني شعار إعادة الاعتبار للّغة العربيّة، وعم تعليمها سائر وحدات جيش التحوير، وقامت بإلزام من يعرف اللّغة العربيّة تعليمها لمن لا يعرفها، وشجعت كتاتيب تحفيظ القرآن، وركزت على المعتقلات والسجون التي تحولت على يدها طوال سنوات الكفاح الى مراكز لتعليم اللّغة العربيّة ونشر الوعي الوطني، وقد تحققت في ذلك نتائج مشرفة أكسبت الكثيرين قاعدة الانطلاق في بناء مستقبلهم العلمي بعد استغلال البلاد..

ولو استمرت قوة الدفع للتعريب على تلك الوتيرة لبلغت العملية منتهاها في السنوات الأولى من الاستقلال، غير أن تبدل سلم الأولويات وتمحور الاهتمام حول بناء الدولة كان من بين الأسباب التي أدت الى تأجيل تطبيق شعار التعريب وتعوضه للابتزاز والمزايدة لسنوات أخرى لاحقة..

**الاستقلال الوطني ومبدأ التعريب الشامل**

إن المعركة التي دارت لمدة قرن وثلث بين الشعب الجزائري والاستعمار الفرنسي كانت بالدرجة الأولى معركة حول الشخصية الجزائرية بكل أبعادها الدينية واللغوية والثقافية. وعلى الرغم من أن المعركة حسمت بطرد الأجنبي الدخيل ودحضه، إلا أنه يصعب في ضوء الوقائع الاجتماعية السياسية التي أعقبت الاستقلال القول بآن الشعب الجزائري استكمل كل عناصر سيادته برحيل آخر جندي فرنسي، من أرضه، ذلك لأن البلاد عرفت غداة الاستقلال هجرة جماعية للكفاءات والخبرات الأجنبية، واضطرت تحت وطأة الفراغ المهول الذي تركته في مختلف دواليب الإدارة والاقتصاد للاستعانة مؤقتا بالرصيد البشري القليل المكون باللّغة الفرنسية لملء ذلك الفراغ، وشرعت في الوقت ذاته في التعريب التدريجي للمنظومة التربوية التي على أساسها يتحدد مستقبل البلاد، واستعانت من أجل هذا الغرض بالمتعاونين الأشقاء، وأنشأت ميكانيزمات جديدة كالمجلس الأعلى للتعريب واللجنة الوطنية للتعريب أيضا، والتي عقدت أول ندوة لها عام1975،

غير أن نجاح المسعى كان جزئيا ومحصورا في قطاعات دون أخدى، وقد تبين بأن الصراع اللغوي والتناقض الفكري اصبح يتعمق من بوم إلى آخر بين فئتين، الأولى تسند حركة التعريب وتدعو إليه كحتمية تاريخية لا يكتمل استقلال البلاد بدونه، والثاني مناهض لهذا الطرح بدعوى أن اللّغة مجرد وسيلة تعبير، وانّ استبدال اللّغة الفرنسية (المتقدمة) حضاريا باللّغة العربيّة (المتخلفة) سيفقد الجزائر مكانتها ودورها في المجتمع الدولي، وقد كشف هذا الصراع الذي احتدم خصوصا في السبعينات والثمانينات الجانب الخفي في استراتيجية الاستعمار الفرنسي التي نجحت في تشكيل بعض النفوس الجزائرية بتشكلها الكولونيالي. وأضحت تنوب عنه القيام بما عجز عن تحقيقه طوال فترة الاستعمار، وهؤلاء هم اللذين وقفوا دوما في وجه التعريب، ويتوخون نفس الأهداف الكولونيالية التي ترمي إلى اقتطاع الشعب الجزائري من أصوله الحضارية لاستمرار هيمنتها عليه.

فقد كتب الفرنسي (روجيه كان) في جريدة لوموند الفرنسية عام 1979 دراسة تحت عنوان (من سيتكلم الفرنسية عام 2000) وأدرج الجزائر ضمن الإستراتيجية الفرانكفونية. وأورد بأن هذه الأخيرة تقاوم جيدا التعريب بالمغرب العربي، وبأن تعليم الفرنسية في الجزائر قد ازداد بشكل ملحوظ منذ الاستقلال، ووصف اللذين يتكلمون باللسان الفرنسي في العالم بأنهم يمثلون الفرق العسكرية المسلحة للفرانكفونية، كما كتب الصحفي الفرنسي (بول بالنا) الذي قضى في الجزائر سنوات كمراسل لجريدة لوموند مقالا بمناسبة الذكرى العشرين لاستقلال الجزائر اورد فيه بان عدد الأطفال الذين يتعلمون الفرنسية في الجزائر قد تضاعف عشرين مرة عما كان عليه في عهد (الجزائر الفرنسية)،

وأبدى استغرابه من كون الحكومة الجزائرية لاتزال مصرة على رفض الاعتراف بالازدواجية اللغوية وبالفرانكفونية مع أن الجزائر— كما يزعم — تعتبر البلد الفرانكفوني الثاني في العالم، وقد فات (بول) بأن في فرنسا حركة على رأسها شوفينمان – وزير الدفاع في حكومة روكار الاشتراكية — قادت منذ 1981 حملة واسعة للدفاع عن اللّغة الفرنسية ضد تهديد اللّغة الإنجليزية، وكانت الموضوعية العلمية تقتضي منه دعوة الجزائرية إلى التشبث بلغتهم وحمايتها، والقول بشأنها على الأقل كما قال المستشرق الفرنسي (لوي ماسينيون): « لندفع العرب إلى احترام عربدتهم، هذه الآلة العضوية الصافية والصالحة لنقل اكتشافات الفكر عبر الدول، فلا نحيلها مسخا مقلدا للغاتنا الآرية.. »، وهو كلام فيه الكثير من الموضوعية، لأن اللّغة أيا كانت هذه اللّغة، هي ليست كما يدعيه المندمجون في الإستراتيجية الفرانكفونية ببلادنا مجرد رموز واصطلاحات وأداة اتصال صماء بين أفراد هذا المجتمع أو ذاك، وإنما هي نظام نفسي وفكري وقيمي قائم بذاته، ومن شانه أن يكون عاهل ثراء وغنى في الفكر الإنساني، ثم أن اللّغة العربيّة التي حملت الحداثة للعالم، وأسست علم الرياضيات، وساهمت بفعالية في تطوير العلوم، وأقامت أول مستشفى في التاريخ، وبنت

حضارة لا ينكر عظمتها إلا الجهال والحاقدون، وتتوفر على أرصدة هائلة في مختلف حقول المعرفة الإنسانية، من الحماقة والإجحاف الإدعاء لها بالنقص والقصور، وجعل ذلك مدعاة للتنكر ومواصلة اغتصاب دورها الطبيعي بين أبنائها بحجة أنيا دون اللّغة الفرنسة تعبيرا واستيعابا لروح العصر، لأن مقياس التقدم والتخلف لا تمثله أولا اللّغة المجردة بقدر ما يحدده العنصر البشري، صاحب هذه اللّغة أو تلك، ولأن التاريخ البشري لم يحدثنا أبدا بان أمة من الأمم حققت نهضة ذات بال.

بلغة غير لغتها القومية، والأمثلة على ذلك اليابان وكوريا والصين وغيرها من البلدان التي حققت ما حققته من تقدم ورقي بفضل اعتمادها على لغاتها الوطنية في بناء مجتمعاتها، والتي تقابلها في الطرف الأخر الكثير من البلدان في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية تتبنى اللغات الانجليزية والفرنسية والإسبانية، ومع ذلك بقيت ترزح تحت أغلال التخلف والفقر والجهل، وتفسير ذلك أن اللّغة مهما بلغته من درجة التطور فإنها لا تستطيع بمنأى عن العوامل الحضارية الأخرى أن ترقى بشعب متخلف أو تحدث فيه نهضة حقيقية، لأن ذلك يعر عبر توطين علوم وتكنولوجية العصر وتأصيلها في الواقع، وهو ما لا يتحقق إلا باللّغة القومية التي هي وحدها المؤهلة بالطبيعة لهضم الإنتاج العلمي التكنولوجي وتمثله في آن، أما اللّغة الأجنبية فمهما بلغ رقيها فليس لها قدرة القيام بهذا الدور مما يبقي المجتمع المستعمل لها مستهلكا ليس إلا.

وباعتبار هذه الأهمية التي تكتسبها اللغات في حياة الأمم، فإن المفكرين والساسة يجمعون على ضرورة سيادة اللّغة القومية على سائر مناحي حياة المجتمع، فـ (هوشي مينه) يقول في وصاياه لشعبه؛ « حافظوا على صفاء اللّغة الفيتنامية كما تحافظون على صفاء عيونكم..»، والكاتب الفرنسي المعاصر (جلبير كونت) يقول :« إن اللّغة هي الجنسية نفسها، هي الوطن حيا ومنغّما في ذات كل واحد منا..»، وعليه فإن بلدانا كثيرة دأبت على

إقامة الهيئات والأكاديميات وعلى إصدار التشريعات لحماية لغاتها وإثرائها، ومن ذلك التشريع الفرنسي الخاص باستخدام اللّغة الفرنسية الذي صدر في جوان 1975، وتقضي بعض أحكامه بمعاقبة المخالفين له عقوبة تصل حد الحبس، واعتبر ذلك كإجراء ضروري لصيانة اللّغة القومية من الأخطار التي تتهددها من اللّغة الانجليزية على وجه التحديد.

وإذا كان هذا هو شأن اللّغة لدى الأمم التي تعتد بنفسها وتعتز بهويتها، فإن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة في ساحتنا الوطنية، هو كيف أن نفرا ممن رضعوا الثقافة الفرنسية في ظروف تاريخية ظلوا أسرى أطروحتهم المغلوطة والمتناغمة مع منطق منظرّي الفرانكفونية العالمية، وأصبحوا بما يحملون من فكر وينتهجون من سلوك حماتها اللذين أوكلت لهم مهمة بعثرة جهود الجزائر في استعادة لعتها، رمز سيادتها وعنوان هويتها؟.

**التعريب بين المبدأ والتطبيق**

ظل التعريب الشامل مبدأ أساسيا في كل المواثيق الوطنية سواء أثناء الثورة أو بعد الاستقلال، فبيان أول نوفمبر، ووثيقة الصومام وميثاق طرابلس، ومؤتمرات جبهة التحوير الوطني كلها تجمع على أن استقلال البلاد لا يكتمل إلا بإحلال اللّغة العربيّة مكانتها الطبيعية في المجتمع الجزائري العربي المسلم، كما صدرت من أجل هذا الفرض بعض التشريعات الخاصة بالإدارة والتعليم، منها الأمر الذي صدر تحت رقم 62/63 بتاريخ 2 أفريل 1968 الذي يقضي بإجبارية معرفة اللّغة الوطنية على الموظفين ومن يماثلهم، والموسوم وقم 59/63 الذي ينص على أن شغل أية وظيفة في إدارات الدولة والجماعات المحلية والمؤسسات العمومية يتوقف ابتداء من أول جانفي1971 على معرفة كافية للّغة العربيّة، ثم ميثاق التربية الذي نشر ضمن أموية رئاسية بالجريدة الرسمية في أفريل1976، والذي أعلن أن لغة التعليم ينبغي أن تكون العربيّة في سائر مراحل التعليم وسائر المؤسسات وأن اللّغة الفرنسية كأيّه لغة أجنبية أخرى سيتم تدريسها كلغة فقط... غير أن واقع الحال هو أن التعريب في ظل غياب ميكانيزمات تطبيقه ظل متململا ومحصورا في مجالات دون

أخرى ومتوقفا على المبادرات الشخصية، وأيضا عرضة للمزايدات والأهواء..، ومن هذا المنطلق جاء قانون التعريب الصادر في ديسمبر 1990 من قبل المجلس الشعبي الوطني وأتى بقواعد إلزامية تنص في مجملها على تكريس مبدأ اللّغة العربيّة في الإدارة ومؤسسات الدولة المركزية والمحلية وفي النشريات الرسمية للبنوك والشركات والأحزاب والجمعيات وفي المعاهدات والعقود، وأكدت المادة 25 منه على إنشاء الأكاديمية الجزائرية للّغة العربيّة من أجل إثراء هذه اللّغة شكلا ومحتوى..، وحتى تبلغ العملية أهدافها المسطرة عزز القانون الجديد بمجموعة من القواعد الجزائية التي تعاقب المخالفين بغرامات مالية متفاوتة، وحدد تاريخ 5 جويلية 1992 كأجل أقصى لاستكمال التطبيق.

غير أنّ ردود الفعل التي جاءت عقب صدور هذا القانون كانت متباينة تباين القوى الفاعلة في الساحة الوطنية الثقافية والسياسية، ففي الوقت الذي هلل له أنصار اللّغة العربيّة بوصفه إجراء لوضع الجزائر في سياقها التاريخي والحضاري الصحيح، نجد أطرافا أخرى كعادتها تشهر حربا شعواء ضد هذا القانون الذي وصمته بالارتجالية والافتقار إلى الخلفية العلمية الضرورية، وأبدت أسفها الشديد على ضياع مكسب تكنولوجي هائل للجزائر، هو اللّغة الفرنسية لغة العلوم والحضارة (..)، وقد وجد هذا الاتجاه صدى واسعا في الصحافة الفرنسية ووسائل إعلامها التي قدمت موضوع التعريب على أنه محاولة للانتحار وتدمير الذات الجزائرية، فصحيفة لوموند اعتبرت القرار بمثابة ورقة أيديولوجية رابحة في يد الإسلاميين ومن أسمتهم بالجهويين في الحملة الانتخابية التشريعية التي يجري الإعداد لها آنئذ، وأشارت إلى الأخطار المستقبلية التي تنطوي عليها هذه الورقة، أما (آلات ديكو) — وزير الفرانكفونية– فقد صرح في القناة الفرنسية الثانية بأن هذا القانون يخدم الأصولية في الجزائر، وأبدى شديد أسفه عن الخسارة التي ستلحق بالجزائر إن أقدمت على تطبيقه..، وعمدت جل القنوات الفرنسية، من خلال بعض الجزائريين المأجورين، إلى إيهام الرأي العام بما يتضمنه هذا القانون من (غبن) اجتماعي و(حيف) ثقافي على المواطن الجزائري المنسجم مع اللّغة الفرنسية المستعملة في بلاده(..).

وإذا كانت وجهة النظر الفرنسية هذه لها ما يبررها من الناحية العقائدية والنفسية، وتتناغم مع الحساسية المفرطة لفرنسا إزاء لغتها ومستعمراتها القديمة، فإن موقف بعض العناصر الجزائرية المتشبعة بروح الثقافة الفرنسية يدعو إلى وضع علامة استفهام كبرى أمام ما عمدت إليه في الخفاء والجهر من أساليب لإعاقة تحقيق هذا الإنجاز الوطني الهام، وقد استغلت الظروف الخاصة التي عاشتها الجزائر بعد تشريعيات 1991 لتمعن في المماطلة والمراوغة وخلق الأعذار إلى أن حلّ الأجل الأقصى لتطبيق هذا القانون الوارد في المادة 36، فاضطرت السلطة المتمثلة في المجلس الأعلى للدولة آنئذ إلى إصدار مرسومين يوم 4 يوليو1992 يتعلقان بهذا الموضوع، الأول جاء تحت رقم 20/92 ينص في مادته الأولى على تمديد الأجل الأقصى المنصوص عليه في قانون استعمال اللّغة العربيّة إلى غاية توفر الشروط اللازمة، والثاني يحمل رقم 303/92، وهو يؤكد سريان مفعول هذا القانون ويلزم جميع المصالح العاملة في كل قطاعات النشاط الوطني الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي والدبلوماسي بتوظيف كافة الإمكانات المتوفرة لديها من أجل تطبيق الترتيبات الواردة في القانون رقم 05/91..

ورغم ذلك فإن المناوئين للتعريب المهيمنين على دواليب الإدارة والاقتصاد أصروا على تجاهل المغزى الذي يشتمل عليه الموسومان وحملوا ذلك على أنه، تجميد لقانون استعمال اللّغة العربيّة وانتهزوا الفرصة للإعراض عن تطبيقه بدعوى عدم توفر الإمكانيات، وبذلك نجحوا لسنوات أخرى في تحييد هذا القانون قبل أن يرفع عنه الخطر في المدة الأخيرة ليخطو خطوة أخرى في طريق التجسيد الشامل رغم ما يكتنف ذلك من عراقيل داخلية وخارجية تتوخى أولا وأخيرا إبقاء الجزائر في دائرة الفرانكفونية.

وباختصار فإنّ قانون تعميم استعمال اللّغة العربيّة الذي جاء لتصفية الازدواجية اللغوية والانتقال من مرحلة الصراع اللغوي إلى مرحلة العطاء الفكري والتيكنولوجي للشعب الجزائري، هو صيرورة تاريخية لامناص منه في مجتمع عربي يصبو إلى الإنعتاق والتقدم،

ويبقى عامل الزمن هو وحده الأهم في هذه المسألة التي يجمع الباحثون ورجال الفكر وساسة الأمم العظيمة على حيويتها في كل مشروع تنموي حقيقي، ويقولون باستحالة إحداث النهوض الاجتماعي وتحقيق التقدم بلغة غير اللّغة القومية، لأن الأمر ببساطة يتوقف على هضم وتمثل الخبرات وعلوم العصر، وهو مالا تستطيع القيام به سوى هذه اللّغة التي هي العنصر الأساسي للشخصية الاجتماعية والوعاء الذي يختزن هذه الخبرات ويوطنها ويعيدها خلقا جديدا.

ومن هنا فإن القول بضرورة الإبقاء على اللّغة الفرنسية في الحياة العامة للشعب الجزائري بدعوى مؤهلاتها العلمية المتفوقة.

هو أولا دعوة إلى تكبيل المجتمع الجزائري وشل قدرات الإبداع والخلق فيه وإقامة الحجر عليه ضمن حدود هذه اللّغة الغريبة التي وإن حصل بها بفعل طول العهد لاستعماري بعض الهضم لعلوم العصر، فلن تكسبنا أبدا القدرة على تمثلها وتأصيلها في الواقع، ثم أن هذا القول ثانيا دعوة مغرضة لعدم تطبيق قانون صادر عن أعلى هيئة تشريعية في البلاد في وقت يدعو فيه الجميع إلى ضرورة احترام القانون وجعله فوق كل الاعتبارات، ولاشك أن المجلس الأعلى للّغة العربيّة المخول قانونا بإنجاح تطبيق هذا القانون، له كل الوسائل المادية والمعنوية والقانونية لتعميم تجسيده في كل القطاعات، وعلى الجميع أن يبدي الحس المدني المطلوب في مجتمع يرنو إلى بناء الديمقراطية ويلح على ضرورة احترام كل قوانين الجمهورية.

# اللغة العربية والإعلام واقعها وآفاق تطورها

الدكتورة/ مها قنوت

جاء في اللسان: «اللّغة؛ اللسن، وحدها أنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فعلة من لغوت اي تكلّمت[1] . ولهذا فقد كان الوجود البشري ملتحما باللّغة، فاللّغة ظاهرة إنسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس في كل لحظة وترافق المجتمعات في أطوارها التاريخية والمتلاحقة، فيصيبها ناموس التعبير الحتمي الذي يجعلها أداة صادقة للتعبير باللفظ والرمز والإيحاء عن حياة المجتمعات العقلية والحسية ومعيارا دقيقا لرقيها أو انحطاطها في ميدان الثقافة والعلم والحضارة، واللّغة كما أثبت التاريخ أية لغة... لا تعرف التحجر وهي قادرة على العمل قدرة كاملة وهي لا تفتأ تتغير شكلا وبنى. تتغير ظروفها وأصواتها أو صيغتها وبناؤها أو من ناحية معناها فقد تنقل الكلمة من معنى  أخر أو تضيف  معناها معنى أخر جديدا أن تترك الأول.

وقد كان وما يزال تطور لغة ما مرتبطا بتطور الأقوام التي تنطق بها، واللّغة والتطور. عنصران متلازمان وهما سمة المجتمعات منذ أقدم العصور ولا سبيل لتفضيل لغة على أخرى وإنما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعة لتنمية اللغات وإثراء تراثها التعبيري.

فالأمم البدائية لغتها بدائية وغير معقولة ومفتقرة  العديد من العبارات والألفاظ التي تؤدي المعاني الحسية والمجردة، فهي لغة محدودة، وكلما ازداد تفكير المجتمع اتساعا وثقافته نموا تطورت لغته وازدادت قدرتها على التعبير وإعطاء كل سمة لفظا مناسبا[2].

وقد أتاح التطور المتسارع للحضارة والحياة بتقنياتها وتكنولوجياتها وسائل متعددة لارتقاء التعبير في كل لغة ولقدرة اللّغة على التعبير عن دقائق الأحكام العقلية في صورها النظرية والتطبيقية. كما أتاح اللألفاظ المعنوية المجردة طاقات جديدة مالت بها نحو وضوح أكثر وتخصص أدق، واصبحت الكلمات غنية بالمدلولات بفضل القدرة على الاتصال الجماهيري الواسع. وتبرز هتا طاقة الإعلام دالة كبيرة على الوسيلة الحضارية العملاقة والتي تصل العالم أجمع بشبكة خطوط دقيقة تختصر الكون في أجهزة سمعية صغيرة أو شاشات تطل بنافذتها الصغيرة على المجرة والكون، « والإعلام هو التعبير الموضوعي عن

عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت»[3] معتمدا في هذا اللّغة أو الاتصال اللغوي بوظائفه المتعددة كالوظيفة الإعلامية من حيث إن الغرض من الاتصال اللغوي هو توصيل المعلومات وإبلاغ الحقائق، كما يحدث في الاتصال الإعلامي بوسائله المختلفة، والوظيفة التعبيرية إذ قد يتخذ الاتصال طابعا تعبيريا كما في الفن والأدب بوجه عام بهدف التعبير عن المشاعر أو التحريك لمشاعر أو اتجاهات الشخص المتلقي. إن عصرنا هو عصر الثورة العلمية والتكنولوجية وهو كذلك عصر الوسائل الجماهيرية الحديثة... لقد بلغ التواصل أقصى مداه بين الناس وأضخم أبعاده، فقراءة الصحف والمجلات، وأجهزة الإذاعة والتلفزيون تدخل الكلمة المنطوقة في كل بيت وتؤثر في نفس الوقت على تفكير مئات الألوف من الناس بل ملايينهم كما تؤثر على شعورهم وإراداتهم وسلوكهم. ومديرو الإعلانات في الشركات العالمية الكبرى يستغلون الكلمة في الترويج ويلجؤون كل الوسائل اللغوية الممكنة لإقناع القراء أو المستمعين بالإقبال على شرائها، والسياسيون في مختلف أنحاء العالم يتنبهون يوما بعد يوم قوة تأثير الكلمة وسلطانها على النفوس[4] فإذا ما تبين لدينا أثر الكلمة واللّغة في الناس جميعهم من خلال وسائل الإعلام... فلعلنا نتوقف قليلا عند وسائل الإعلام وواقع اللّغة العربية فيها، وما نرنو إليه للحفاظ على لغتنا العربية عبر وسائل الإعلام، ووظيفة اللّغة التي يؤديها الإعلام مؤثرا في المتلقين سلبا أو إيجابا.

ولنا في ذلك أن نقسم الأقنية الإعلامية ثلاث: الصحافة– الإذاعة–التلفاز.

إضافة السينما والمسرح والإعلانات. لكننا سنتوقف عند الأهم منها وهي فن الصحافة.

الصحافة: أثبتت الدراسات التي أجراها مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية في القاهرة أن *65%* من المتعلمين تعليما ابتدائيا يقرؤون الصحف وترتفع هذه النسبة بين المتعلمين تعلما قانونيا فتبلغ 75% وتصل هذه النسبة *95%* من بين المتعلمين تعليما عاليا. آما في

سورية، فقد بلغ عدد المتعلمين تعليما ابتدائيا ويقرؤون الصحف 46% وترتفع هذه النسبة 68% بين المتعلمين تعليما قانونيا ويصل 65% بالنسبة للمتعلمين تعليما عاليا. فالكلمة المطبوعة تصبح في الوطن العربي مدرسة للمثقفين اللذين ينقطعون عن الدراسة المتصلة بحكم نظم الحياة ومشاغلها، حيث تصل بينهم وبين مناحي اهتماماتهم الثقافية وتكون بمثابة الحصة اللغوية اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية، والصحيفة بذلك تيسر لهم باستمرار حياتهم اللغوية ومتابعة هذا المد الذي بدؤوه في التعليم. ولعل الصحافة العربية قد قدمت نوعا من التجديد في حركة اللّغة العربية في مطلع هذا القرن عاملين رئيسيين أحدهما هو الكسب الخارجي أي ما يتسرب إليها من لغات أخرى عن طريق الترجمة ثم يتأصل فيها ويصبح جزءا ثابتا منها. يقول الأستاذ أنيس مقدسي « قلّما نجد لغة لم تتأثر كثيرا أو قليلا بسواها فلابد من أن يكون في لغتنا العربية ألفاظ استقرت فيها على توالي العهود فأصبحت بمنزلة الفصيح من كلامنا نستعملها في نثرنا وشعرنا دون أن نحسبها غريبة عنّا»[5].

وربما كان للصحافة تعامل خاص مع اللّغة العربية ذلك أن اللألفاظ في الصحافة قيمة وقتية ومحدودة باللحظة التي تستعمل فيها، فاللفظ له معناه الواحد في الوقت الذي قيل فيه كالتعابير التي تروجها الصحافة في مرحلة ما من الزمن كقولهم: ركب رأسه : أي سار متعسفا لا يلوي على شيء، وتجول في البلاد: بدل جول فيها، واكتشف الأمر: أي كشفه وأظهره لأول مرة، وحكم على المجرم بالإعدام: أي بالموت. والإعدام أصلا فقد المال فحولوه فقد الحياة.

وربما أضافت الصحافة اللّغة كثيرا مما لم تعرفه اللّغة من قبل مستخدمه النحت والقياس والاشتقاق. فالمأساة للرواية المسرحية المؤلمة، الهاتف للتليفون، والعضوية أي الانتساب جمعية أو حزب، والدراجة هي ترجمة للبيسكلات، وغسل يديه من المسألة أي تبرأ منها، وأخذ المبادرة أي سبق غيره في أمرها، وانتهاك صارخ للحقوق أي واضح وشديد.

والاشتقاق الاسمي: فقنن من القانون، قنن الطعام تناوله حسب قانون محدد، مول من المال، تطور من التطور فنظام التطور هو التقدم من طور طور.

ويظهر مما تقدم: «أن لغة الصحافة لا تختلف في منهج تطويرها للغة عما يريده اللغويون وحواس اللّغة ورغم أن الصحفي مطالب بتكييف أخباره ومقالاته وفنونه التحريرية وفقا للقوالب الصحفية المنشورة فإن عليه أن يحوص على القواعد المصطلح عليها في النحو والصرف والبلاغة وما إليها. وإذا كانت لغة الصحافة تحرص على مراعاة القواعد اللغوية المصطلح عليها فإنها تحاول كذلك أن تحرص على خصائص أخرى للأسلوب لم ينكرها المجمعيون وحواس اللّغة من بساطة وإنجاز ووضوح ونفاذ مباشر وتأكيد وأصالة وجلاء واختصار[6].

لكن مسؤولية الصحف أمام اللّغة العربية مسؤولية كبيرة فعليها تقع مسؤولية الإسهام في تعميم المفردات التي تقرها المجامع اللغوية وما تقرره من قواعد لتسهيل اللّغة، فلغة الصحافة سرعان ما تعمم المصطلح العلمي أو الأدبي أو ما يتعلق بمصطلحات الفنون والفلسفة وأنواع الحضارة الأخرى.

ولغة الصحافة في هذه الفنون التحريرية وما يتفرع عنها، تعمد عرض معلوماتها عرضا مباشرا وموجزا وسريعا، ويفضل استعمال الجمل القصيرة الإيضاحية التي يتعلمها القراء عادة في المخاطبة معنونة بعنوان دال على الخبر ومطابق لحقيقته منطلقا في ذلك للإجابة على أسئلة هي: من وماذا ومتى وأين ولماذا ضمن قوالب رئيسية هي قالب العوض وقالب القصة وقالب الوصف وقالب الحديث.

يقول الدكتور عبد العزيز شرف: « إن الفعل القصير النشيط يتلاءم بشكل طيب مع الكتابة الصحفية الحديثة وجميع الصحف تستهدف تيسير المطالعة للقارئ بغية التقليل الحد الأدنى من الجهد الذي يبذله لذلك فهي تفضل اللفظ القصير على الطويل والجملة القصيرة على الطويلة»[7] .

إلا أن ما يقع فيه الصحفيون من الأخطاء قد يكون كبيرا من مثل استخدام حروف الجر في مواضع تخالف المعاني الأساسية فيقولون مثلا: استبدل السيء بالحسن ويقصد الكاتب أن الفاعل ترك السيء الحسن، غير أن إلحاق حرف الجر (الباء) بالمطلوب قلب المعنى إذ المفروض أن تلحق الباء المتروك وهو السيء فيقال استبدل الحسن بالسيء أي تخير الحسن بدلا من السيء. وقد جاء في الكتاب العزيز « أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير».

-بعض الأخطاء تقع بسبب من آثار الترجمة الحرفية وبعضها يقع من اضطراب الأزمان في الخبر الواحد كأن يقال: «السيد الرئيس... يتلقى مخابرة هاتفية مساء أمس... أو في العاشرة من صباح اليوم تبدأ الانتخابات...»

-الفصل بين المضاف والمضاف إليه كالفصل بينهما بالمعطوف والمعطوف عليه: رفع مدير وموظفو وعمال شركة الألبان مطالبهم...

-تتابع الإضافات كقولهم: إن وزراء تخطيط دول معاهدة وارسو سيعقدون اجتماعهم...

—كلمات تدل على غير المقصود، مثل: ليقوموا بواجباتهم والصواب بالواجب عليهم، لأن واجبي هو ما يجب لي عليك، والواجب علي هو ما ينبغي علي القيام به.

—الكلمات الركيكة، مثل يتمركزون والصحيح يركزون، ويؤكد على كذا والصواب دون

على، ومثل الإكثار من كلمة/هذا/ في الخبر مفردة مبتدأ لا خبر له بل ولا معنى لها البتة.

**خلاصة:** فللصحافة دور في تجديد اللّغة العربية ولتخريج العبارات تخريجا إعرابيا ولغويا في حدود خصائص اللّغة العربية وذوقها الأصيل، وربما أظهر الصحفيون براعة ممتازة في الأداء والمقدرة على التعبير حتى أدخلوا دائرة اللّغة العربية مئات الألفاظ بفضل

الصحافة. إما ابتكارا وإما بالترجمة وإما باستعمال المجاز والاستعارة توسعا في دلالات الكلمات وإما بالوضع الموحي الذي يجيء عفو الخاطر ويكون مطابقا لقواعد وأحكام اللّغة من اشتقاق وتعريب مثال: علم الآثار، مؤسسة ثقافية، أطر، إطار، وزارة ائتلافية، محكمة الاستئناف، مؤهلات، مبادرة، بعد وأبعاد بالمعنى النسبي، بلاغ رسمي، بيئة علمية، التيارات الفكرية، النخبة المثقفة، حركة ثورية، جبهة وطنية، جدول أعمال، جريدة، الغرفة التجارية، مقالة افتتاحية، الفنون الجميلة، فوضوية، حفل استقبال، أدب مقارن، هيئة سياسية، توتر العلائق، ضرب على الوتر الحساس، وجهة نظر، العصر الوسيط، موسوعي، مواقف مشرفة.

فإذا أردنا الانتقال إلى قناة أخرى من أقنية الإعلام فسنتوقف عند الإذاعة والتلفزيون، ولاشك أن الإذاعتين المرئية والمسموعة بما لهما من خصائص وإمكانيات من أهم وسائل الاتصال الجماهيري في العصر الحاضر وأكثر نفاذا إلى البيئة الاجتماعية والثقافية والأخلاقية للمجتمع، فكل منهما تقوم بتزويد الجماهير بزاد ثقافي وفني واجتماعي وتشترك بصورة واضحة في تشكيل الملامح الحضارية للمجتمع عن طريق تقديم المعارف وتفسيرها والتعليق عليها وتسهم في تغيير العادات السلوكية وتعديل القيم الأخلاقية من خلال تقديم الأنماط الإنسانية وفي تكوين الذوق الفني والحضاري من خلال الاختيار والمفاضلة. ولئن كانت الصحافة قد دفعت باللّغة المشتركة خطوات واسعة إلى الأمام على النحو المتقدم، فإن الإذاعة والتلفزة وهي صحافة مسموعة، ستكون عظيمة الأثر في زيادة الثروة اللغوية بين عامة الشعب وفي توحيد نطق المفردات وفي التقريب بين اللهجات وليس من المستبعد أن تنجح في إحلال الفصحى المبسطة محل العامية السائدة، ومن ثم فإن لغتهما تتميز عن لغة الصحافة في أن ألفاظ الأولى تصبح رموزا صوتية بدلا من أن تتخذ شكل رموز بصرية وعلى ذلك فإن لغة الاذاعة أقل التزاما بالشكليات من الكتابة الصحفية ذلك أن لغة الإذاعة هي لغة الاتحاد الحقيقي بين لغة الكتابة ولغة الحديث.

على أن الإذاعة لا تقوم على اللهجات المحلية وإنما تقوم في أغلب الأحيان على اللغات الغالية الواسعة الانتشار وهي بعينها اللّغة المشتركة أو اللّغة العربية الفصحى[8] .

ونتيجة لذلك تميزت لغة الإذاعة بالوضوح والاقتصاد والسلامة حتى يمكن أن تصل الجمهور الغفير وتمكنه من المشاركة في تتبع المضمون. ومن جهة أخرى كان على هذه اللّغة المناعة أن تراعي أصول الإلقاء الإذاعي الأمر الذي يقتضي تقدير القيمة الصوتية للألفاظ والتدقيق في استخدامها وفي معرفة وقعها الحقيقي على الآذن وفي الاقتصاد في عدد الألفاظ المطلوبة. وعلى هذا فالإذاعة استطاعت أن تعمم اللّغة المشتركة بين المستمعين وأن تجعلها مرنة ولاشك أنها قد ارتفعت بالمستوى اللّغوي بين طبقات الشعب كافة وزادت في الثروة اللّغوية لديهم وفي توحيد نطق المفردات وفي التقريب بين اللهجات، ولاشك أنها أسهمت في التقليل من الفرق بالتدرج القائم بين الفصحى واللهجات العامية.

وقد أصبح التلفزيون من الوسائل المعينة على التدريس بل أن بعض الأمهات الأمريكيات يقررن أن أبناءهن يستفيدون من التلفزيون كوسيلة تسلية وأداة من أدوات الاستشارة. وفي دراسة أخرى قررت الأمهات أن التلفزيون يزيد من قدرة أطفالهن اللغوية وخاصة في المفردات، ويعلم صغار الأطفال الكثير عن الحياة وكذلك أظهر تطبيق اختيار ستانفورد أن الأطفال اللذين توجد لديهم أجهزة يتفوقون عن غيردم بنحو عام عقلي، واستطاع بعض الأطفال أن يتعرفوا على أسعار السلع وأشكالها من عرضها في الإعلانات[9] . واعتمادا على ما للإذاعة العربية من أهمية في اللّغة كان لابد أن تتميز بسمات عامة أهمها:

1- قصر الجمل والعبارات ذلك أن المستمع أو المشاهد لا يستطيع أن يقف من الكلام المذاع موقفه من الكلام المكتوب.

2- تجنب الحشو اللفظي، لأن الحشو يشوش استقبال الرسالة الإذاعية أو التلفازية ولذلك يجب الابتعاد عن الجمل الاعتراضية وأسماء الموصول التي قد تعود على الفاعل أو غيره. وتجنب استخدام كلمتين متشابهتين في النطق ومختلفتين في المعنى في جملة واحدة.

3- الوضوح واستخدام الألفاظ المألوفة.

4- التكرار لأنه سمة لغة الإذاعة والتلفرة لأن الملتقي لا يستطيع أن يعود مراجعة الكلام كما في الصحيفة.

5- أن يكون الكلام مضبوطا نحويا ولغويا وأن يسهم المتلقي في بيان علامات الترقيم بين اجزاء الكلام معتمدا تقسيم وتوزيع الصوت.

من هنا فقد طرح د.محمد سيد محمد[10] سؤاله حول الوسائل الإعلامية المعاصرة هل تخدم اللّغة أم تفسدها، منطلقا من أبعاد متعددة، أولها أن الاستعمال الخاطئ للّغة سواء كان داخل وسائل الإعلام أو خارجها فهو يفسد الفكر الوطني ويعطل من قدرات الناس الذهنية.

والبعد الثاني هو البعد التاريخي للمسألة يعني ارتباط لغة الإعلام في كل فترة تاريخية بالواقع الحضاري واللغوي الذي يعيشه المجتمع فعندما تمر المجتمعات بفترات سيئة من تاريخها ينعكس ذلك على لغة الإعلام. والبعد الثالث هو البعد الديمقراطي، أي مدى الحرية: المتاحة في المجتمع للرأي والتعبير. والبعد الرابع هو البعد المهني وهو الذي يتجلى من خلال الممارسة الإعلامية، وفي هذا البعد تبدو نقاط رئيسية تبين لنا مدى النفع أو الضور الذي تقدمه وسائل الإعلام للغة من خلال الممارية والعمل الإعلامي، أولها الاشتقاق الذي يثري اللغة، والنقطة الثانية هي الأخطاء الشائعة المتكررة في وسائل الإعلام مثل: وضعت الوثائق فوق بعضها، الصواب: وضعت الوثائق بعضها فوق بعض وغيرها، مما ورد سابقا[11].

ولذلك، فقد كان مهما أن تحرص اللّغة الإعلامية على مراعاة القواعد اللّغوية المصطلح عليها وعلى خصائص أخرى في الأسلوب وهي البساطة والإيجاز والوضوح والنفاذ المباشر والأصالة والجلاء والصحة والسلامة ذلك أن اللّغة الإعلامية لا تهدف إلى مناشدة حاسة الجمال لدى القراء بل على العكس من ذلك، تستهدف اتصالا ناجحا أساسه الوضوح والسهولة، فكل كلمة في اللّغة الإعلامية يجب أن تكون مفهومة من جمهور المستقبلين.

بيد أن هناك أصواتا تبحث في الفصحى والعامية إذ رأى بعضهم أن التوجه إلى الجماهير العربية من خلال الفصحى وحدها هو أشبه بصرخة في الفلاة لا تجد لها من مستجيب وأكد هذا بعضهم: أنك إذا أردت أن تسمعك الجماهير حقا وتستجيب لندائك فلا مفر لك من التضحية برونق الفصحى ومن مخاطبة هذه الجماهير باللّغة التي تحيا بها حياتها اليومية وتعبر عن انفعالاتها وتشرح من خلالها أحاسيسها وهكذا يقف كل فريق متمسكا برأيه مستندا إلى حجج لا يجد المرء مفرا من الاعتراف بقوتها، وأستطيع أن أقول آنه إذا كان هناك أي حل لهذه المشكلة فإن أقرب الأجهزة إلى تحقيق هذا الحل هو الإذاعة المرئية ففي استطاعتها أن تستخدم في برامجها المختلفة لغة عامية ممزوجة بالفصحى مزجا يزداد قوة بالتدريج وأن تتعود الجماهير العربية على أن تألف سماع الفصحى والتعبير عن نفسها من خلالها وذلك بان تضع خطة مدروسة للغة المستخدمة في برامجها حتى الترفيهية منها وكلنا يعلم أن هناك عامية تتضمن كثيرا من التعبيرات الفصيحة وأن هناك لغة متوسطة لا هي بالعامية الخالصة ولا هي بالفصحى الكاملة، مثل هذه اللّغة إذا استخدمت على نطاق واسع وازداد نصيب الفصحى فيها بالتدريج كانت كفيلة بأن تعيد اللسان العربي وحدته دون عتاء كبير[12] . ولعل الدكتور فؤاد زكريا في هذا النص قد وضع بداية الحل على الطريق.

إضافة ما سبق حول اللّغة العربية وإعلامنا فسنجد أن؛

1 – البرامج المختصة بالعربية قليلة وهي؛ في رحاب العربية للدكتورة منى إلياس ولمحات لسانية للدكتور رضوان قضماني، الأول يتناول مادة قاموسية تتلى تلاوة والثاني يعرض قضايا لغوية عامة وقد يتناول أحيانا بعض قضايا اللّغة العربية.

2– الآداء الإعلامي بشكل عام فيما يقدمه الإعلام من الأعمال الدرامية يتراوح بين العامية والفصحى علما أنه يمكن إلغاء العامية مستفيدين من الجذب الدرامي للمتلقين بل ربما حولنا الفصحى إلى عامية كما في برنامج ((قصة في تمثيلية)) للكاتب وديع اسمندر والسؤال لماذا وما الذي يعيق اختراجها بالعربية الفصحى؟

3– كثير من البرامج الثقافية والفترات المفتوحة تستخدم العامية في الحوارات بدعوى أنها برامج منوعات والأجدى هو تلبية دعوة مجامع اللّغة العربية في التقيد باللّغة العربية الفصحى في البرامج.

4– تروج وسائل الإعلام لبعض الأغاني العامية الهابطة والصحيح أن تدعم القصيدة المغناة بلغتها السليمة وصياغتها العربية.

5– إن المقارنة التاريخية لسوية المذيعين في وسائل الإعلام بين الستينات والتسعينات تظهر هوة وانحدارا في المستوى العام فهل الأسباب في تعليم هؤلاء المذيعين ومستوياتهم الثقافية وإعدادهم المدرسي المسبق أم أن الأسباب تكمن في تساهل وزارة الإعلام في اختيار هؤلاء المتقدمين؟

6– لا بأس أن نرصد اهتماما لإخراج البرامج اللغوية ودعمها بالوسائل التقنية والتعليمية الحديثة فلا تكون نمطية في عصر تتسارع فيه قوة التعليم في شتى العلوم.

7– إن تامين مدقق لغوي أمر مفيد ولكنه لا يفي بالحاجة والأفضل إقامة دورات تعليمية وتثقيفية في اللّغة العربية بشكل دوري للعاملين في مجال الإعلام والتقديم.

8- حتى نضمن استمرار سبر المعلومات الشخصي للغة العربية والتطوير الذاتي للعاملين لا بأس أن يرتبط الترفيع السنوي للعاملين المختصين في الإعلام بنجاحهم بامتحان اللّغة العربية إذ لابد أن هذا الأمر سيدفعهم دائما للمتابعة والقراءة وتطوير قدراتهم اللغوية.

9- زيادة الوقت المخصص في الإعلام للبرامج التثقيفية للغة العربية والعمل على رفع مستوى في هذه البرامج من حيث الشكل والمضمون فتقدم بأساليب فنية مستحدثة. .

10- تضمين برامج الترفيه والإمتاع الفني مضامين تعليمية لغوية غير مباشرة نظرا لإقبال الجماهير على تلك البرامج الترفيهية والإمتاعية.

11- وضع خطة للارتفاع التدريجي بمستوى اللهجات العامية التي تقدم بها بعض البرامج الإذاعية بحيث تصبح الألفاظ الفصحى وتعبيراتها أكثر تداولا على الألسن تمهيدا لتعميم استعمال اللّغة العربية الفصحى في جميع البرامج إذ أن هذه اللّغة الفصحى هي الأساس الأول للثقافة العربية وتعميم استعمالها يمكن الإذاعات المرئية العربية من تجاوز العوائق المحلية فيحقق لها بذلك مخاطبة جمهور أوسع ويجعل برامجها أكثر صلاحية للتبادل بين مختلف البلاد العربية في الإذاعات المرئية العربية، ويتابع الدكتور شرف[13] ، في تقديرنا أن الفصحى في التلفزيون يمكن أن تلقى نجاحاهن جانب المشاهد العربي في الاستقبال ذلك.

أن لغة التلفزيون هي لغة المشاركة فالجمهور يشاهد لأنه يبحث دائما عن المشاركة في أحداث ومشكلات من صنع الواقع أحيانا ومن صنع الخيال أحيانا أخرى، ولقد أصبحت فرص المشاركة الاختيارية اليوم أعظم بكثير بسبب التقدم التكنولوجي في قرننا. ومن يدعي أن الفصحى لا تلبي الحاجة أو أنها صعبة «فحسب القائل بهذا الرأي أن يقرأ عن لغة الصين واليابان ليرى صعوبة كل من هاتين اللغتين ويرى مع ذلك تمسك كل من الشعبين الواعيين بلغته... يقولون إن القارئ العادي يحتاج لكي يتمكن من قراءة جريدة باللّغة اليابانية معرفة ألف وثمانمائة وخمسين حرفا وإن هذا العدد ليزداد كلما ازدادت ثقافة الإنسان واتسعت معرفته ومع ذلك فقد أصرت اليابان على لغتها وأشكال حروفها بل صور حروفها لأنها—كما

قالت لجانهم تربوية «تراث الأجداد وعنوان الشخصية والثقافة اليابانية »[14] فإذا كانت اليابانية بصعوبتها هي شخصية اليابان وتاريخها فكيف لا نتمسك بلغتنا العربية المطواعة المرنة في وسائلنا الإعلامية والتثقيفية؟

إن صراع الفصحى والعامية قد تحمسه لغة الاتصال بالجماهير التي تخاطب المتعلم والأمي معا، هي اللّغة العربية الفصحى المبسطة التي تفي باحتياجات التطور والمعاصرة ولذلك ربما علينا أن نحث الدول العربية على:

—تعميم لغة مشتركة تقرب بين اللهجات ثم تلغيها وأن تعني تلك الدول بأجهزة الإعلام فتعمم عليها استخدام العربية الفصحى لغة للتعبير والاتصال.

—الربط بين الإعلام وأجهزته وخطط التعليم بما فيه تقديم الكفاءات الإعلامية لخدمة مناهج التعليم المدرسي والاستفادة من الكوادر المتخصصة والمتفوقة تعليميا لخدمة الإعلام.

–مجابهة اللهجات في وسائل الإعلام لما في ذلك من كسب للغة القومية ووحدة الفكر العربي.

إن لغتنا العربية هي أول بند من بنود مقومات القومية العربية، وحفاظنا عليها واحدة سليمة بين العرب، هو حفاظ على أهم مقومات وحدتنا العربية وإخلاص منا لتاريخنا وأمجادنا ومستودع حضارتنا ومجدنا وسيبقى المخلصون جادين للحفاظ على لغتنا العربية وتطويرها بما يتناسب مع روح العصر ومتطلباته وهي غنية ثرة لا تحتاج إلى جهد كبير كي تمنح كل المراد من كنوزها.

---

الهوامش:

[1] - اللغة الإعلامية– د٠عبدالعزيز شرف ص 221.

[2] -مجلة اللسان العربي – العدد الأول ص: 28

[3] – الإعلام والاتصال بالجماهير، د. إبراهيم الإمام ص:12

[4] – د. جنتر هيترة (تقديم د. عبد الغفار مكاوي) "سلطان الكلمة" من مجلة الفكر المعاصر القاهرة، يونيو 1970

[5] – المؤتمر اللغوي ، الدورة الحادية والثلاثين 64–165 محاضرة الأستاذ أنيس مقدسي "الكلام المولد في معاجمنا الحديثة"

[6] – اللغة الإعلامية ، د. عبد العزيز شرف ص: 215 دار جيل الطبعة الأولى 1990

[7] – اللغة الإعلامية، د. عبد العزيز شرف ص:221

[8] – المدخل إلى وسائل الإعلام، د.عبد العزيز شرف، ص: 426، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت الطبعة الثانية 1989.

[9] – عن اختبارات الذكاء، كتاب القياس والتجريب في علم النفس والتربية، د. عبد الرحمن عيسوي

[10] – الإعلام واللغة د.محمد سيد محمد ص: 14 عالم الكتب 984

[11] – نفس المرجع ص:22

[12] – الإذاعة المرئية والثقافة العربية المعاصرة ص: 75، د. فؤاد زكريا، طرابلس / ليبيا 23 – 30 / 9 / 72

[13] – المدخل إلى وسائل الإعلام ص: 479 الدكتور عبد العزيز شرف الطبعة الثانية 1989 دار الكتاب العربي، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت.

[14] – اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي ص: 59، د.مازن مبارك، مؤسسة الرسالة، دار النقاش

# اللغة العربية والتعريب العلمي

# آراء وحلول

الأستاذ / صالح بلعيد

**المقدمة:** أن الحديث عن اللّغة عامة حديث شيق لأن اللّغة عند الشعوب هي التي تلصق بها فتصبح من أقوى الموجبات عليها، فهي ليست وسيلة للنطق والتعبير، بل وسيلة التفكير والتخطيط والهوية. ولغة الآمة هي أهم مقومات شخصيتها وسجّل تجاوبها ومعارفها وأمجادها عبر الزمن، لذا فأن الحديث عن القضايا اللغوية مقدمة لتأصيل التفكير وتحريره وإذكاء روح الإبداع وتوطين العلوم، إضافة إلى تحقيق مشروع لغة متطورة لجعلها عالمية وصالحة للتدريس والبحث والإتصال. فما أعظم أمة تمجد لغتها وتنزلها المكانة اللائقة بها تدريسا وتواصلا وبحثا. كما تستهدف من خلال تطوير التعليم وسهولة تلقين العلوم والثقافة. وهكذا كأن السعي لجعل لغتنا العربيّة قادرة على التعبير عن مختلف مآربنا وعن خفي خوالجنا ومقتضيات العلم ومستجدات المعرفة ومستحدثات التقدّم، كي تواكب سير الحضارة الإنسانية المتسارع.

وأن الحديث عن اللّغة العربيّة هنا متميز وطويل ومتشعّب في الوقت ذاته، ويؤدي بي الخطاب للحديث عن وضع المصطلحات وتحديداتها الدقيقة، وعدم الفصل بين لغة المصطلح العلمي واللّغة التقنية، وتضارب الترجمات. وفي هذه النقطة أذكر باستجابة اللّغة العربيّة للمطالب العلمية والاجتماعية والحضارية بوجه عام، والذي هو برهان على ما تميزت به من سعة وغنى وموانة.

ففي مادتها الغزيرة وأقيستها المتنوعة، وفي طرائقها للوضع والاشتقاق، وفي أدواتها ووسائطها لتأدية ألوان المعاني والدلالات ما يميزها عن غيرها. ولذا لن تدخر الأمة العربيّة وأشياعها وسعا في تأكيد أسباب البقاء والنماء لتلك اللّغة القومية والحضارية والعالمية التي واكبت أكثر من خمسة عشرة قرنا من الزمن كل شروط البقاء، وهي الشروط التي تؤكد التعريب، بخلق الشخصية

الإبداعية مرة ثانية بشكل متميز، فهي لا تملك القدرة الذاتية على أنتاج العلم وتوطين الثقافة فقط، بل تحمل القدرة على المشاركة والتفاعل من منطلق متميّز، وهذا بفعل العلوم والفنون والحضارة الحديثة، وفتح السبيل لتعريب التعليم الجامعي، تذليل لأكبر معوقاته.

وأن العملية التعريبية جزء من المجتمع بجميع أجزائها بما فيها القيّم والغايات والحاجات. ولا ريب في أن لنا خصوصياتنا التي تفرض علينا اختيار المعارف العلمية وتعلّمها وتعليمها وتطويرها، وللغة العربيّة دور أساس في هذا الاختيار والتطوير، كما أن البرغماتية يجب أن تسودنا حتي لا نضيع الوقت الثمين في النقاشات، وفي ظل العولمة الثقافية التي لا تترك مجالا لمتقاعس.

وهكذا نجد التعريب ضرورة يقتضيها الترابط العلمي والتحدي الذي يستدعي استنبات العلم وتوطين التكنولوجيا عربيا لمجابهة توالي نهاية القرن، وبداية ألفية جديدة شعارها : ألفية المعلوميات والرياضيات. وهي الألفية التي تعبّر في طلاقة عن حضارتنا الأصيلة، وتنطق في صدق عن مشاعر الأنسان العربي والمسلم الذي فرض نفسه ولغته ذات يوم، فكيف يتقاعس الأن عن المساهمة في المتهيج الحضاري الإنساني في ظلّ المتغيّرات والتفعيل الحضاري المبدع. ولذا فأن أمر اللغة يحتاج إلى كسر كل الطابوهات التي تحد من موقعنا في هذه القرية العالمية والعولمية، ولا يكون ذلك إلا بالمساهمة في الإبداع الحضاري والأنساني. واللغة أهمّ الأسس في هذا الاندماج القاري، لأنها أبرز وسائط الإعلام وأبعدها أثرا . فالقضية مصيرية، وبالتالي تستوجب التواجد في الفضاء الجغرافي، وفي الثقافة المتجلية في السلوك والعادات والأعراف المكتوب وغير المكتوب. وهذا ما سوف تبرهن عليه هذه اللغة التي نطمح أن تكون في مستوى اللغات الراقية حيث تصيب القصد وتبلغ من أيسر طريق.

ومهما تحدثنا في هذه النقطة فلن نفي هذه اللغة حقّها، لذا يحسن بنا التذكير ببعض النقاط المتعلقة بالتعريب مسبقا.

1- حسم الحديث في مسألة ميدا التعريب فهو لا مندوحة عنه، فلا تنمية دون تعريب وكل لغة لا تساهم في الإنتاج العلمي مهددّة بالتراجع في حقل المعلومات، وعلى هذا الأساس فأنه من الأهمية بمكان أن يعيش وبتواصل المسار التعريبي على أساس الإنتاج العلمي بالعربيّة.

2- تمّ تعريب شعب المواد الأدبية والعلوم الإنسانية في التعليم العالي، بعد أن تمّ التعريب الشامل للمراحل التعليمية السابقة. ألا يجدر بنا أن ننظر في تلك الأجيال التي تأتي معرّبة طيلة 12 سنة من التدريس بالعربي، ثم تحول إلى التدريس بالغة الفرنسية دون استيعابها لتدريس العلوم التطبيقية.

3- أغلبية الأساتذة يجيدون العربيّة، حيث تلقوا تعليمهم الأساسي والثانوي بالعربيّة . وليسوا متعاونين، وأعرف أن متعاونين روس يسهون لتعريب أنفسهم في حالة إقدام الجزائر على تعريب التعليم العالي.

4- وجود تخمة من المصطلحات العلمية في كل اختصاص. والمشكلة في هذه النقطة تعود إلى شيئين اثنين: أولهما: سوق تنسيق المصطلح، وثانيهما: عدم تسويقه عربيا ودوليا. ولكن ما يشاع الآن عن العربيّة أنها ليست علم، والعلم في عصرنا الحاضر يعني المصطلح والتقدم وسهولة الاتصال والاختراع.

**-وجود تجارب تعريبية عربية ناجحة.**

ومن خلال النقاط الخمس أردت الساهمة في كتابة هذه المقالة والتي هي بعض من همومي التعريبية، وقد اعتصرتها بجهد من خلال دراساتي اللغوية التي امتدت على أمد طويل في مجال تطوير اللّغة العربيّة، عرفت فيها اللّغة العربيّة أنها ليست أقل استعدادا من اللّغات العالمية الكبرى لمواجهة متطلبات العلوم والتكنولوجيا، هذه اللّغة التي انتقلت من لغة بداوة إلى لغة علم تستوعب كل ما عرفته الأمم القديمة، وتضيف إليها إضافات رائعة، مستغلة في ذلك خصائصها الداخلية والخارجية وثروتها الهائلة من الأصول والمشتقات. ولم يكن كل هذا عبثا لو لم تكن الإرادة ماثلة أمام ذلك الرعيل الذي بنى أركان هذه اللّغة، معتمدا الوصف الدقيق في تقسيم الكلام وما يجري على السماع، وتسجيل كل الصور الشائعة، إضافة إلى تلك التيسيرات التي تستهدف تسهيل تعليم وتعلّم العربيّة وفق المعايير النظرية للمفهوم التعليمي للنحو وقواعد العربيّة، وليس من الضروري التذكير بكل ما مرّت به من مراحل تعريبية إلى عصرنا الحاضر وما زالت، رغم أن المرحلة الأنتقالية امتدت وطال أمدها، وظل تعريب العلوم في الوطن العربي يئن تحت نير نوع جديد من الاستعمار وهو استعمار العلم الأجنبي. لكن لابد أن نعرف أن خدمة اللّغة تكون فيها تقدمه للحضارة الأنسانية. أقول-هذا وأنا مطمئن، لأني أعرف أن خدمة اللّغة تكون بتجديدها لا بالعيش على رسومها أو على لغة لا كأن أبيّ. وفي هذه النقطة يقول المهبوي «والمشكل الذي ينبغي أن يطرح اليوم بالنسبة إلى اللّغة العربيّة لا يتمثل في مدى قدرتها على أن تسع مفاهيم الحضارة السارية وتواكب ما يبتكره العلماء... فالتساؤل عن مثل هنا لا معنى له من وجهة نظر اللغوي أو هو يدّل على نظرة ساذجة للأمور. أنما المشكل الأساسي في حقيقة

الأمر يكمن في مدى نصيب العربيّة من التجربة البشرية ومدى إيمانهم بقدرتهم على التحكم فيما حصل منها وعلى المساهمة في إثرائها... أو بعبارة أخرى هو في اعتبار أنفسهم أطرافا في التجربة البشرية يأخذون منها كما يأخذ غيرهم ويبلغونها بلغتهم كما يبلغها غيرهم بلغته».

وأن نظرة فاحصة لتلك المراحل التي جعلت العربيّة لغة عصرها، ندرك حجم المشاكل والصعوبات، ونعلم كذلك الحلول الإجرائية التي تغلبت على تلك المشاكل. واليوم نواجه مشاكل أعوص، فهل ليست هناك حلول إجرائية؟ أننّا نعلم جيدا أنه قدمت للعربية حلول جذرية واقتراحات عملية من أجل التغلب على الصعوبات التي تتباين عن تلك الصعوبات الأولى بكثير، ولنا في تجارب بعض الدول العربيّة والحلول التي قاربتها أمثلة على التغلب. ومن ذلك يمكن اعتماد:

-الاجتهادات التعريبية للمجامع العربيّة الخمسة.

-اجتهادات بعض الجامعات العربيّة (جامعة دمشق وجامعة العراق).

—الأنشطة التعريبية للمنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم.

-النمذجة العلمية التي يقدمها مكتب تنسيق التعريب في مجال تنسيق المصطلح العلمي العربي.

—اجتهادات بعض مراكز البحث في ميدان التكنولوجيا اللغوية (مركز ترقية اللّغة العربيّة بوزريعة).

ومن كل هذا فأن الصعوبات العادية والتي تتكرر في كل مناسبة تعريبية تنحصر في قضايا المصطلح العلمي وعدم توحيده، والكتاب العلمي المعرب.

ولكن يبدو لي أن هذه القضايا لا تعدو أن تكون طرفا في ميادين أعمق، وهي الميادين التي لها صلة بالقضايا الجوهر، وهي:

1 - ميدان تعريب التعليم العالي

2- ميدان التجارب التعريبية الناجحة:

3- ميدان الحوسبة والمعلوميات

4- ميدان الاتصال وتعريب الإعلام

5- ميدان التحكم في اللّغات الأجنبية.

وتحت هذه القضايا الأربع تندرج مجموعة من النقاط الثانوية، لكنّها من روافد العلمية التكاملية لفعل التعريب. وسوف أتناول كل واحدة على حدة:

**1- ميدان تعريب التعليم العالي:**

يرتكز هذا الميدان على: الأستاذ الجامعي والمصطلح العلمي، والكتاب العلمي الجامعي المعرّب وتيسير اللّغة العربيّة.

1/1- **الأستاذ الجامعي:** أن الأستاذ في العملية التعليمية عامة هو الفاعل الحقيقي لها، وهو العنصر الذي تبنى عليه المنظومة أيا كانت، لأنه أحد أركانها الأساسية، كونه يحمل مهمة بالغة الصعوبة. والأستاذ الجامعي في الجزائر أستاذ مبرز، له من العلمية والأقدمية ما يمكّنة أن يكون مثل غيره في اللّغات الأخرى. وكفاءته تشهد له الدول التي درس فيها. ومن هنا فأين العائق الذي يجده عندما يوظف العربيّة في دروسه؟

أعرف أساتذة جزائريين تكونوا بغير العربيّة، وفي الجامعات الغربية،

وأنجزوا أبحاثهم بغير العربيّة، وأثناء تواجدهم خارج الوطن قدّموا أبحاثهم بغير العربيّة، وكأن بعضهم في الأساس معربا.

لكنّهم خلال سنتين ينجزون بحوثا باللّغة الطارئة بلغة سليمة. ألا يمكنهم بنوع من الجهد أن يواجهوا طلابهم ويحادثوهم باللّغة العربيّة بعدما يعودوا إلى وطنهم. وأن المسألة من وراء كل هذا تكمن في قضية الإرادة والإيمان من معاجم ومعاجم موحدة، ومجلات في علم المصطلح، وما كتب من قبل الأفراد أو المؤسسات العربيّة: من مجامع، ومكتب تنسيق التعريب ومكاتب دراسات، ومؤسسة التعريب والترجمة والتأليف والنشر، ومؤسسات غربية، ومؤسسات عربية، لهو كفيل بتغطية كل الاختصاصات. ولا أن العقبة في هذا تتمثل في:

- تضارب المصطلحات وتداخلها.
- مواصفات الوضع غير دقيقة.
- عدم توحيدها.

ومع هذا فأن الوضع العلمي في مجال المصطلح يقتضي منّا تارة الخروج عن القواعد لوجه الحقيقة، ويكون ذلك باعتماد:

1- ترك القديم على قدمه ما كأن صالحا.

2- استفراغ الحقيقة بالاشتقاق أو المجاز.

3- وضع مصطلحات سهلة ميسرة.

4- اعتبار استعمال الناس حجة.

5- إباحة المحظورة في سبيل الضرورة العلمية، وتنزيل الحاجة منزلة الضرورة[1]. والحل في هذه النقطة في نظري هو أن يفعل مكتب تنسيق التعريب

في تنسيق المصطلح، وأن تكون اجتهادات الأفراد محل دراسة من قبل اللجان المتخصصة والتي يجب أن تكون ملحقة بهذه المؤسسة العربيّة.

ولا أريد تكرار كل ما يقال في هذا الأمر، لكن أشير إلى أن المصطلحات بالعربيّة تعد بالملايين وتتكاثر على نحو يعجز التعريب عن مجاراتها، ناهيك عن الترجمة. ولكن القضية هنا كيف ينزل المصطلح العلمي إلى عامة الناس ليكون متداولا في لغة الجميع.

قد نعذر اللذين لم يطلعوا على ما تدره المؤسسات العربيّة في هذا المجال، مثلما لا يعدو عدم الإلمام باللّغة العربيّة دليلا على قصور هذه اللّغة في المجالات العلمية المختلفة. ولا نعذر العالم الجاهل الذي يتعنت في مسالة المصطلح. والأهم عندي هي البداية، فلكل بداية عقبات، ومع ذلك فنحن نريد تعريب المصطلح الغربي مع توحيد المصطلحات حتى تصبح لنا لغة المصطلح العلمي الموحدة في التعريب لا أن تكون لكل بلد مصطلحاته الإقليمية. وندعو الأساتذة كذلك إلى أن يضيفوا إلى الحذق العلمي حذقا لا يقل عنه قيمة وهو الحذق بدقائق العربيّة وأوضاعها، حتى يحاضروا بها الطلاب وينقلوا إلى أوانيها اللفظية العلم الذي تخصصوا فيه نقلا متقنا.

وتلحق بالمصطلح العلمي بعض القضايا العليقة، رأيت أن أخصص لها حيّزا من المعالجة في هذه المقالة، وهي:

**1/2/أ— وجود لغة عربية علمية:** لا يمكن أن تتحقق نهضة علمية بدون نهضة لغوية واصطلاحية تسايرها جنبا إلى جنب، وتلك ظاهرة لا سبيل إلى أنكارها. والنهضة العلمية تتحقق باللّغة العلمية التي تجعل أية لغة في مصاف الإنتاج. فما معنى اللّغة العلمية؟ هي كل لغة تنشأ من ألفاظ وتراكيب

وبيان، فتنطق بالوضوح والدقة والإيجاز وتوظّف المصطلح الموحد باعتماد المنطق. وهي اللّغة التي تتباين عن لغة الأدب بالأبعاد التالية:

1- شدة الوضوح في المعنى، بتجنّب الترادف.

2- التركيز في الأداء والاقتصاد في التعبير.

3- استخدام الرموز البيانية والتوضيحية والجداول والمعادلات الرياضية.

4- توحيد الترجمة العربيّة للمصطلحات.

ومن هنا نجد أنها تتمثل في لغة الأعمال والمهن العلمية، وفي تدريس العلوم والبحث العلمي ونشره. ويؤكد بعض ألباحثين هذا القول في توضيحهم لغة العلم كما يلي:

1- الوضوح الني لا يحمل اللبس، فالغرض الأساسي للغة العلم هو تفسير ظاهرة أو شرح طريقة ولا يمكن تحقيق ذلك بلغة غير صريحة وواضحة أو بكلمات مهمة غير محددة المعنى.

2- سلامة البنيان اللغوي والإيجاز حتى يمكن أن تعيه الذاكرة في يسر، ولتحقيق هذا الإيجاز شملت لغة العلم عناصر أخرى غير الكلمات المصاغة في جمل لتكتمل بها الصورة الكلية للغة، ومن هذه العناصر:

2/أ - الرموز: وهي عادة من حروف الهجاء تستخدم للتعبير عن أشياء متعارف عليها كرموز العناصر الكيماوية ووحدات القياس وما إلى ذلك.

2/ب - المعادلات الرياضية: وهي صيغ رمزية للتعبير عن علاقة معينة أو قانون.

2/ج– الرسوم: وهي وسوم تخطيطية توضح بنية معينة، كالدوائر الكهربائية أو الإنشاءات المعمارية أو التصميمات الهندسية أو الاتحادات الكيميائية، كما تستخدم أيضا لتوضيح عمليات معينة.

3– المصطلحات: والمصطلح العلمي كلمة، أو أكثر يتم الاتفاق على تخصيصها لتعني مفهوما محددا .

وبصدد التوضيح في هذه القضايا نرى أن أعظم أنجازي عصري يخدم اللّغة العلمية هو أنشاء المؤسسات العلمية مثل المجامع والمجالس اللغوية في الوطن العربي والتي من مهامها العمل على الرقي باللّغة العربيّة لتكون لغة العلم. ولعل التطوير اللغوي عند هذه المؤسسات يمس تيسير قواعد اللّغة العربيّة والاقتصار على الوظيفي منه، وتيسير تعلّم وترجمة المواد العلمية.

2/1/ب– **الرموز العلمية:** وهي إشارات وحروف متفق عليها فهي لا يجب أن تطرح مشكلة، فإذا كأن تعريب المصطلح العلمي وتوحيده يعد المرتكز الأول في توطين العلم الحديث، فأن أحكام كتابة الرموز العلمية والصيغ الرياضية[2] يعد المرتكز الثاني.

2/1/**ج — المختصرات:** ضرب من الإشارات والمختصرات للعبارات الطويلة أو للعناوين المتكونة من كلمات متعددة، وهي عادة لا تدخل في الصيغ الرياضية. وفي هذه النقطة يعيب بعض الباحثين العربيّة نقصها الكبير في مجال المختصرات، علما أن

الكيماويين العرب الأوائل أعطوا المركب الكيميائي رموزه اللاتينية، وأعطوا التفاعل الكيميائي صيغته المألوفة في اللّغات الأوروبية.

فلم لا يحذو العلماء المعاصرون نفس المنهاج. وأما المختصرات المتتالية في اللّغات اللاتينية فهي لها خصائصها، حيث أن العربيّة في أصل وضعها مختصرة، وتعير بأقل جهد وتكلفة في الكتابة.

ومع ذلك فلا يغرّن الحال أنها ليست ناقصة في هذا المجال، بل يجب أن تساير المستجدات، وتستعمل المختصرات العالمية مثلها مثل اللّغات الأخرى، وهذا لابد أن يصاحبه؛

– توحيد نظام المقاييس والمكاييل والموازين.

– توحيد المواصفات بين الدول العربيّة، وبينها وبين الدول الأخرى.

– اعتماد المواصفات العلمية التي تدره المؤسسات العالمية مثل ؟؟ و؟؟؟؟

– تشجيع الجمعيات العلمية والمؤسسات المهنية لعقد الندوات والمؤتمرات باللّغة العربيّة وبترجمة الكتب العلمية.

**1**/2/**د الأرقام:** في الحقيقة لدينا أرقامنا العربيّة التي تستعمل في العالم، ولست أدري لم يتشبث أهل المشرق بالأرقام الغبارية أو الفارسية، ونعرف أنها متخلفة لأنها لا تشكل الزوايا الهندسية.

ولغلة الكمبيوتر توظفها بصورة محتشمة، ولكن العرب أمدوا الحضارة الإنسانية بهذا الاكتشاف فأهملوه فيجدر اعتمادها دون غيرها من الأرقام.
1/2/**هـ ٠ –الحروف:** نعرف أنه لا توجد لغة في العالم تحوي كل الأصوات المسموعة، ومن هنا فأن الحروف ناقصة في أية لغة. وإضافة أصوات إلى لغة ما، يعني تصنيع اللّغة التي هي في الأصل طبيعية، ولكن هذا لا يمنع إذا كانت محدودة، كإدخال حروف ؟؟؟ إلى اللّغة العربيّة كونها تكثر في المصطلحات التي تصاغ من اللاتينية وخاصة في ميدان الطب. أو يمكن

ـــوهذا هو الأحسن- أن يحدث تطوير في شكل الحرف القريب من صوت هذا الحرف، فنستبقي على نفس الشكل مع إدخال تعديل طفيف. وقد اقترح مجمع الأردن طريقة إدماج هذه الحروف في العربيّة فهي سليمة في رأيي.

3/1— **الكتاب العلمي الجامعي المعرب:** لا يمكن الحديث كثيرا في هذه النقطة إذا توفر المصطلح الموحد، ويبقى فقط أن يخضع الكتاب العلمي لما يلي:

1- أن يقوم بإعداده أفراد أو جماعات، شرط أن يزكّى من المجالس العلمية، أو الهيئات الموكلة لهذا ذلك.

2- أن يخضع للمواصفات العلمية العالمية.

3- أن يعمل على إشاعة المصطلح الموحد.

4 - أن يكثر من الترجمات العلمية للكتب العلمية من اللغات العالمية.

5- أن يتضمن الجديد من أجل المساهمة في الفكر الإنساني. ويضمن الديمومة.

6- أن يدخل المنافسة من حيث الشكل والإخراج.

7- أن يكون تجديد دائم للكتاب والمكتبات الجامعية.

8- أن تدخل التقنيات العصرية للمكتبات الجامعية.

9- أن تربط المكتبات بالشبكات المعلوماتية.

**4/1- تيسير اللّغة العربيّة:** لقد غفلنا عن تراثنا زمنا طويلا، وقد تنبه إلى ذلك المستشرقون فعملوا على إخراجه من مراجع لا تزال عمدة في بابها، ثم ظهر بعد ذلك نفر من العلماء الأفذاذ بذلوا جهودا عظيمة ومحمودة في

الحرص على تراثنا وإحيائه، وهم طائفة العلماء والأدباء اللذين كانوا يسهرون الليالي، ويطربون لصرير أقلامهم كما يطرب الموسيقار لأنغامه، وهذه الطائفة تتمثل في:

- طائفة العلماء اللغويين: وكان عملهم في المنهج الوصفي الدقيق الذي جرى على السماع، ثم النقل وأعمال العقل، مع تسجيل الظواهر الشائعة والقياس عليها وبناء القواعد، وتجسد كل ذلك في تلك الأعمال العلمية التيسيرية من سيبويه وإلى الفارابي والزجاجي والزبيدي وابن جني والجرجاني.

- طائفة العلماء: وكان عملهم بحثا في الرياضيات والجبر والاختصار علوم الهندسة التي تجعل الفكر في أشكال هندسية متضمنة المقدمات والنتائج.

- طائفة الأدباء: أغنت هذه الطائفة اللّغة العربيّة بلسان عربي سليم سهل، بكل ما يستساغ سماعه في لغة الجاحظ وابن عبد ربه.

- طائفة الأطباء: وهم اللذين أعطوا صبغة التحليل والتجريب باستعمال لغة معبرة عما يعايش في الطبيعة، وما يستجد من تطور في أفكار ابن سينا وابن النفيس.

وهذا الكم الهائل طغي عليه بعد القرون الذهبية الأولى نوع من التكرار والإسراف إلى حد الإسعاف، لدرجة جعلت القارئ للعربية يتذمر من تلك الألغاز التي يسمعها. ومع كل ذلك فأنه ظهر بعد ذلك أنتاج ينمو على الزمن، واضطلع به أفراد وجماعات، وظهرت حركات تحقيق النصوص ونشرها مصحوبة بنوع من التكرار دون دراسات جادة، ولم تتحمل المؤسسات المعنية مهمة التنسيق بين المحققين والباحثين، وغابت سياسة البدء بالأولويات وكان

ذك مدعاة للنظر في تشذيب هذه اللّغة التي يقول عنها بعض الباحثين أنها لا تصلح إلا للأدب.

والحقيقة إنّه لا يمكن أن ننكر جهود الأسلاف في مجال متن اللّغة عامة، ومجال المعاجم والدراسات الأصولية، وما بذل من جهد كبير في البحث والتنقيب والترتيب، كما لا يمكن أن نخفي الحقيقة بأن تاريخ الأمة العربيّة هو في جذورها الضاربة وفي أعماق ماضيها، هذا الماضي الذي ينطقه الآن التراث الفكري والغني الذي لم يزل يستدر ثناء العلماء، نظرا لكنوزه الثمينة الضخمة المتنوعة الجواهر، ولكنها ناقصة للأسباب التالية؛

1- جمعت المادة الأولى من قبل الرعيل الأول، ثم توقف الجمع، فصار التداول على المادة المجموعة ترتيبا وشرحا واختصارا.
2- قصور المعاجم في الاستدلال على المعنى بالشواهد فقط.
3- لم تفد الحركة إجراء الدراسات التقابلية.
4- نتج تضخم في مادة المعجم لأنّ النقول تعاد في كل مؤلف، وغاب الجديد.
5- الخلط في المعاجم بين مستوى العربيّة الفصحى واللهجات القديمة في اللفظ والدلالة.
6- أنتاب المادة اللغوية الكثير من التصحيف والتحريف.
7- عدم وجود منهجية في ترتيب المفردات في المادة الواحدة .

وهكذا آن الأوان لتنقية تراثنا اللغوي من كل هذه الشوائب التي تركت أثارها الجذرية في وجه اللّغة الحسناء، لغتنا الجميلة.

كيف ينقى التراث اللغوي في الشوائب؟ بكلمة بسيطة أن نجعل ذلك التراث بلغة علمية دقيقة صارمة، تقبل مضامين التطور، لأن اللّغة تتطور

بتطور العلم نفسه، وتتقدم بتقدم البحث، وتنمو بنمو المادة العلمية، ومن ذلك وجب:

1- إخضاع النقل إلى العقل، وليست كل النقول معقولة، فكم هن مسألة تساهت فيها الأوهام، وعبثت بها الأهواء.

2- قراءة التراث قراءة علمية، مستعملين فيه النقل كمنهج مألوف تستعمله كل اللّغات، فتنقل الكلمة من مدلولها الأصلي إلى مدلول جديد له صلة وتستقر فيه بحيث تصبح حقيقة عرفية.

3- إخضاع اللّغة للوضع الذي يراد به خلق لفظ جديد لأداء معنى خاص بالنحت أو بالاشتقاق أو بالاختراع أو بالتركيب.

وما يتعلق بجانب الباحث العلمي والذي يرى صعوبة العربيّة، أرى أنه:

-لابد من تحصيل معرفي أساسي في تعبير اللّغة العربيّة (أخذ الكفاية اللغوية).

-اعتماد السهولة والتيسير متى لم يكن الموضوع لا يخل بالأصول.

—معايشة اللّغة العربيّة استعمالا وتفكيرا وكتابة.

—الإكثار من قراءة النصوص العلمية في مجال التخصص.

—الاهتمام بعلم اللسان وتدريسه على كل المستويات الجامعية.

## 2— ميدان التجارب التعريببة الناجحة:

بودي استعراض بعض التجارب من باب الاستئناس بها أو احتذاءها في بعض أبعادها، ولا يعني تطبيقها حرفيا في الجزائر، لأن كل بلد له ظروفه ومعطياته الخاصة، ومن هنا يجدر بي أن ألخص بعض التجارب في ما يلي:

تجارب المجامع العربيّة؛ من المعروف أن نشوء المجامع كان لغاية الحفاظ على سلامة اللّغة والتراث العربي، وخلق لغة علمية عربية تفي بمطالب العلوم الحديثة، وإيجاد معاجم وثروة لغوية للتداول، إضافة إلى التقريب بين المصطلحات العلمية العربيّة، والمصطلحات التي اتخذت صفة عالمية لتسهيل المقابلة بينها للمشتغلين بالعلم. ومن هنا فقد كان لكل مجمع خطته التعريبية، فمنها الناجحة ومنها التي وصلت إلى تجسيد بعض الأمور التعريبية على المستوى النظري فقط، ومنها التي استحسنت لكتها توقفت، ومنها التي بلغت نسبة معتبرة.

1/2- **تجربة المجمع العلمي العربي:** استهدف المجمع منذ تأسيسه تعريب التعليم العالي، وهذا في سنة 1919م، حيث نص في بند من بنوده أن يتم تعليم كل العلوم في الجامعات السورية باللّغة العربيّة فقط. وأن يعمل المجمع على إمداد الجامعات بما فيها حقها من تيسيرات تعريبية. وفعلا كان المنطلق يقوده الإيمان بالتعريب، ولم يستسلم الأساتذة للعجز الذي كان يهيمن على اللّغة العربيّة بفعل التتريك الذي مس كل أركان الدولة، كما لم يقولوا سنعود التعليم عندما تتوفر المصطلحات، وكان هذا أكبر معيق لعملية التعريب في العشرينيات، بل كان ذلك الجيل يرى أن البداية هي التي تفتح المجال لخلق المصطلحات، وأن الاستعمال هو الذي يعمل على توحيدها، والمصطلح عملية علمية مستمرة لا تتوقف أبدا. وهكذا كانت مسيرة التعريب تدور في نطاق:

- الإيمان بالتدريس في الجامعات السورية باللّغة العربيّة.
- أساس كل عمل هي البداية.
- اعتماد الترجمة من اللّغات العلمية.

- اعتماد التعريب التدريجي الشامل، ضمن خطة شاملة للتعريب.
- علاج كل خطأ بالتدريب والتوجيه والانغماس وتحسين اللّغات الأجنبية.
- تعريب الطب أولوية الأولويات.

ولم تطل القضية !لتي عرفت تحديات كبرى في ظرف استعمار خارج، وآخر يطمع في الدخول. ولكن كانت التجربة رائدة، بل فتحت الطريق لاحتذائها من كثير من الدول العربيّة. فقد كانت مهمة التعريب في هذه المرحلة صعبة وقاسية، ولكن الجيل الأول من المدرسين كان جديرا بحمل أمانة التصدي لتلك المهمة القومية الجليلة، فوضعت المصطلحات العلمية التي مازال معظمها معتمدا حتى اليوم. ونظرا لما كان يتمتع به أفراد ذلك الجيل من المدرسين من خبرة عالية في مجال تخصصهم ومعرفة متعمقة باللّغة العربيّة وإحساس عميق بالمسؤولية، فقد جاءت كتبهم وأماليهم معبرة وواضحة ومفهومه، فساعدت إلى حد كبير على ترسيخ تجربة تعريب التعليم العالي. وسار الجيل الثاني والثالث من المدرسين على هدي الجيل الأول، وسلكوا نفس السبيل، فوسعوا التجربة وأضافوا إليها ووصلوا بها إلى مستوى من النجاح يدعو إلى الفخر والاعتزاز[3].

وهكذا كانت التجربة فذة وناجحة، واستمرت إلى اليوم، كما أصبحت مضرب المثل في النجاح والاعتزاز بتدريس سورية كل العلوم باللّغة العربيّة وحدها.

وأن النجاح الذي أحرزه التعريب في سورية يعود إلى:

1- إلزام كل أستاذ بطبع أماليه وتجديدها كل ثلاث سنوات.

2- إتقان لغة أجنبية على الأقل ضروري، لكن لا يعني ذلك استعمالها بدل العربيّة.

3- تجديد متواصل للمكتبات.

3- تمكين كل أستاذ سنويا من رسكلة في إحدى الدول المتقدمة.

4-تجديد متواصل للمكتبات

5- تعديل في القوانين.

6- إعطاء مقابل لكل منتوج بعد تقويمه علميا من قبل لجان متخصصة.

وبهذا أصبح التعريب حقيقة راسخة، تبرز للمستقبل في حلّة جديدة تفرضها التطورات الحالية وهذا مدعاة للفخر ونتيجة نضال علمي شاق، بفضل المناهج التعليمية التي لا تقل عن مناهج اللّغات الأجنبية، وكذا كتبها في مختلف الاختصاصات.

**2/2- تجربة مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة:** بدأ التعريب في مصر في أوائل القرن التاسع عشر ومس التعليم الثانوي الفني والمهني، باستثناء المدارس التجريبية وما يسمى بمدارس اللّغات، وهذا بدءا من الجهود التي كرّسها محمد علي في الترجمة[4]. كما كان التعريب قد مس كلية أبي زعبل في قصر العيني، واستمر التدريس الطب بالعربيّة على مدى 60 سنة، وهذا بين 1827 إلى 1887م، وفي هذه الفترة الزاخرة نجح الطبيب الألماني بلهارس وتلاميذه المصريون في اكتشاف جرثومة البلهارسيا سنة 1851. ومع نهاية القرن التاسع بدأ إجهاض ما كان تاما، حيث أن الانجليز فرضوا اللّغة الإنجليزية في كل المعاهد العصرية، وأغلقت مدرسة الألسن، ونفي الزعماء العروبيين إلى السودان، وحصلت انتكاسه تعريبية في مصر. ومع تأسيس الجامعة المصرية سنة 1925 كانت تدرس العلوم بالإنجليزية والإيطالية في كليات الطب والزراعة والبيطرة والصيدلة والهندسة.

وجاءت سنة 1972 التي صدر فيها قانون التعريب الإجباري، ولكنة يعطي الصلاحيات لمجلس الجامعة في أحوال خاصة استعمال لغة أخرى. وهكذا كان حاضر التعليم العالي في مصر:

1- وضع إستراتيجية لتعريب العلوم طويلة الأمد.

2- تحقيق التعريب لا يتحقق بقرار سياسي.

3- الدعوة إلى الإقرار بالتعريب عن طريق الموعظة الحسنة.

4- أنشاء لجأن التعريب على مستوى كل الجامعات.

5- وضع خطة علمية لترجمة الكتب العلمية.

ومع كل هذا الطموح الذي لا يتقيد بتاريخ، لم تعرف العلوم الدقيقة والصيدلة والطب وبعض العلوم التطبيقية التعريب إلى الآن، مع أن كليات العلوم على مستوى الجامعات المصرية تدرس الرياضيات في السنتين الأولى والثانية بالعربيّة. في كلية الهندسية تدرس علوم السنة الإعدادية باللّغة العربيّة وتشمل الرياضيات الفيزيقا الميكانيكا والكيمياء والهندسة الوصفية وغيرها. في كليات الطب البيطري تدرس علوم الوراثة بالسنة الأولى، وتربية الحيوان والاقتصاد الزراعي بالسنة الثانية باللّغة العربيّة. وفي كليات الطب والصيدلة وطب الأسنان عزوف بين عن التدريس والتأليف باللّغة العربيّة حتى الآن ولو أنه في بعض المواد كالطب النفسي بجامعة عين شمس يجوز للطالب أن يجيب باللّغة العامية. وأما الرمد والأمراض الصيفية باللّغة العربيّة[5]. ومع كل هذا فإن المجمع المصري لم يستطع أن يفرض تعريبا علميا، حيث صدم ببعض الاعتراضات والعقبات المتمثلة في:

-العربيّة الآن متخلفة اصطلاحيا، فلملاحقة الركب تعتمد الإنجليزية لأنها توفر لقارئها عددا غنيا متجددا من المصطلحات والمراجع.

- الخوف من الفشل في تعريب المواد العلمية والذي سيكون نكسة مثل نكسة 1967.

- الكفاءة اللغوية الضعيفة بالعربيّة للمدرسين في المواد العلمية.

ومن خلال كل هذا اتجه المجمع إلى البحث في الأمور اللغوية والتراثية، حيث عمل على:

- إطلاق القياس.

- تحرير السماع من قيود الزمان والمكان.

- التسليم بالتعريب.

- الإقرار بالكلمات المولدة وتسويتها بالأصلية.

كما عمل منذ تأسيسه على تقديم التيسيرات النحوية، وتأليف كتب في هذا المجال، مثل: كتب في أصول اللّغة /تيسيرات لغوية/ التراث المجمعي/ مجموعة الفرارات العلمية... وفي ميدان نهج اختيار المصطلح، عمل المجمع على:

1- الحفاظ على التراث العربي، وإيثار ترجمة المصطلح مع إجازة التعريب.

2- الوفاء بأغراض التعليم العالي ومتطلبات التأليف والترجمة والثقافة العلمية العالية.

3- مسايرة النهج العلمي العالي في أسلوب اختيار المصطلح والتقريب بينه في العربيّة وبين نظيره في اللّغات العالمية الحية لتسهل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلوم الأساسية وتطبيقاتها.

4- تعريف كل مصطلح تعريفا علميا معجميا.

ويضاف إلى هذا:

5- الإبقاء على الاصطلاح العربي القديم على الجديد إلا إذا شاع الجديد.

6- قبول ما استعمله المولدون مما جرى على الأقيسة من مجاز أو اشتقاق، مع إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان في لغة العلوم.

7- إجازة استعمال بعض الألفاظ الأعجمية للضرورة.

ومع كل هذا فإن حركة التعريب والنقل إلى العربيّة في مختلف مجالات العلوم قد خطّت خطوات فسيحة في السنوات الأخيرة مع ظهور المئات والآلاف من الكتب والمؤلفات والمعاجم العربيّة، ولا يخص إلا استنهاض همة بعث قرار التعريب الإلزامي المجمد منذ سنة 1972.

**3/2- المجمع العلمي العراقي:** ظهر قرار تعريب التعليم العالي أول مرة سنة 1976، وفي السنة ذاتها بدأ العمل على:

-التقليص من الحجم الساعي للغة الإنجليزية.

-إجبار كل أستاذ يدرس المواد العلمية بترجمة كتاب في تخصصه.

—كل أستاذ يقدم مطبوعة بالعربيّة في اختصاصه للطبع.

— جمع الأساتذة في دورات تعريبية إنغماسية.

—تنصيب لجان متخصصة تعمل على ترجمة الكتب العلمية.

ـــالتعريب الفوري والشامل على أمد أربع سنوات.

وتطبيقا للقانون الصارم في هذا المجال عمل أساتذة الجامعة العراقية وبعض المختصين على تلبية المطلوب، فصارت المحاضرات تلقى بالعربيّة، والكب تترجم، والملزمات تكتب بالعربيّة وتطبع وسارت العملية مرحلية، يقع فيها مراجعة بعض ما أقر من قبل القيادة السياسة. ولم تأت نهاية سنة واحدة وظهرت المناداة بالتريث في تطبيق التعريب في اختصاص الطب، واستجيب للطلب، وكان ذلك بادرة لظهور المناداة في التريث في تطبيقه على مستوى العلوم الهندسية. ومرت سنوات وسنوات وبقي الطب وبعض التخصصات الدقيقة دون تعريب.

**4/2- مجمع اللّغة العربيّة الأردني:** تولى مجمع اللّغة العربيّة الأردني دقه قيادة حملة التعريب في الأردن وهذا منذ سنة 1978، وكان يهتم بإعداد الكتب العلمية باللّغة العربيّة، وما يتصل بها من قوائم المصطلحات والرموز العلمية. وبذلك رسم منهجية في تحقيق ذلك تقوم على مراحل، وهي:

المرحلة الأولى، أنجز فيها مجموعة من المراجع الهامة عن طريق الترجمة، وهي:

1- كتاب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية، تأليف سووكووفسكي، وصدر الكتاب في جزأين.

2- كتاب الجيولوجيا العامة، تأليف روبرت فوسترن وصدر في جزء واحد.

3- كتاب البيولوجيا، تأليف غولد سبى، وصدر في جزأين.

4- كتاب الكيمياء، تأليف فوردريك لونفو، وصدر في جزء واحد.

5- كتاب الفيزياء، تأليف فورد، وهو في ثلاثة أجزاء، وصدر الجزء الأول.
وشملت هذه المرحلة :

1- مشاركة الغالبية العظمى ممن لهم علاقة في عملية التدريس في الجامعات الأردنية في اختيار الكتب العلمية الجامعية للترجمة، وإتاحة الفرصة للمتخصصين في موضوعات هذه الكتب، ولمن لهم خبرة في مجال الترجمة لمشاركة مدرسي الجامعات في عملية التعريب على أن توضع معايير محددة لاختيار تلك الفئات.

2- تشجيع مجمع اللّغة العربيّة الأردني على مواصلة تبني عملية تعريب التعليم العلمي الجامعي في الأردن، بالتعاون مع إدارات الجامعات الأردنية والأقسام المختصة وخاصة عند اتخاذ قرارات اختيار الكتب المنوي تعريبها بحيث يكون ذلك الاختيار لتلك الكتب ولمترجميها في ضوء معايير محددة وواضحة يتفق عليها المعنيون بالأمر.

3- ترك الحرية للمترجمين للمتصرف في ترجمة بعض الأمور التي لابد لهم من التصرّف في ترجمتها، وعدم التمسك بالترجمة الحرفية وبخاصة عندما يلاحظ هؤلاء المترجمون قصور الترجمة الحرفية في إعطاء المعنى الحقيقي باللّغة العربيّة كما هو باللّغة الإنجليزية.

4- تحويل طباعة الكتب بعد عملية ترجمتها إلى الجهات التي لها خبرة جيدة في الطباعة والإخراج وأن تتولى عملية تدقيق الكتب بعد عملية ترجمتها فئات متخصصة في موضوعات الكتب التي يتم تعريبها.

5- مراعاة مجمع اللّغة العربيّة الأردني للمعايير التي أوردها المترجمون والمدرسون لاختيار الكتب العلمية التي ستترجم، وكذلك المعايير التي حددوها لاختيار المترجمين.

6- مواصلة السعي لاستصدار قرار سياسي لتعريب التدريس الجامعي، ومواصلة ترجمة الكتب الأجنبية إلى اللّغة العربيّة في الجامعات الأردنية.

7- مواصلة عملية تقويم تعريب التدريس الجامعي وترجمة الكتب العلمية الجامعية في الجامعات الأردنية باستمرار.

**المرحلة الثانية:** وفيها قدم خطة لقبول الاجتهادات الفردية التي ظهرت من بعض الأفراد على مستوى الجامعات في تدريس العلوم بالعربيّة، والتي رافقتها نشاطات أخرى في الترجمة والتأليف ونشر الكتب ذات الكفاءة العلمية. وكانت هذه المرحلة جد صعبة حيث صاحبتها الأزمة المالية التي عملت على تحديد دور المجمع في التعريب، وبذلك نامت التجربة التي لو استمرت لكانت ناجحة حيث عملت بها لفيتنام واليابان وكوريا الجنوبية. وأن المجمع الأردني كان يريد التعريب العلمي الدقيق دون حرق المراحل والجسور مع التيارات العالمية، بالعمل على إحياء التراث العظيم، وفي الوقت نفسه يعبّ من الموارد المعاصرة العالمية بهدف إكساب العلوم الصبغة العربيّة لا ترجمتها، أي تحويل المادة العلمية من مادة غريبة عن العقل العربي واللسان العربي والتداول اليومي إلى مادة قادرة على التمازج مع الفكر واللسان العربي وذلك من خلال تفاعل حقيقي وخصب بين المادة العلمية واللّغة. وكانت لهذه التجربة أصداؤها الفاعلة عربيا رغم أنها واجهت صعوبات، إلا أنها قدمت بعض الإبداعات التي برزت في الكتب المترجمة ولكنّها لم تدم كثيرا، حيث مس التعريب السنوات الأولى والثانية في الجامعات الثلاث التخصصات العلمية التالية: الهندسة / البيطرة

/علوم الأحياء /الفيزياء. وبقيت علوم أخرى دون تعريب. ومع نقص القرار الملكي، وضعف الموازنة تخمد همة التعريب منذ سنة 1991، ويستكين الجميع، ولم يعد التعريب يطفو على سطح الأحداث.

ومع ذلك فإن العلمية التي لم تعمر كثيرا أسفرت عن النتائج التالية:

1- تراوحت نسبة رضى الطلاب عن الكتب المترجمة بين 60 و80% حسب الكتاب، وكانت النسبة 70% في جامعة اليرموك.

2- تقاربت نسبة الراضين عن الكتب بين المترجمين 83% مع تلك النسبة بين المدرسين 77%.

3- اتفق معظم المترجمين والدارسين الآخرين على تقدير دور مجمع اللّغة العربيّة.

4- رأى حوالي 75% من الطلاب والمشاركين في الاستفتاء أن تستمر ترجمة الكتب اللازمة للسنوات اللاحقة[6].

ومن خلال كل ذلك كان يقرّ بأنّ:

-اللّغات كالأمم تتقدم وتتأخر، ويواكب ذلك تقدم الأمة وتأخرها.

-اللّغة العلمية لا تحيا إلا بالاستعمال والتداول.

ومع هذه الجهود التي لم تكتمل فإن للمجمع منهجية علمية ودقيقة في وضع المصطلح، رأيت أن أتعرض لها —رغم طولها— كونها الخطة المستمدة من المنظمات العلمية والمواصفات في وضع المصطلحات، بل هي الخطة التي اعتمدتها المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، على أنها النموذج الحي، وبها يعمل مكتب تنسيق التعريب في الرباط في وضع المصطلحات وتنسيقها.

1- تستعمل لفظة عربية واحدة مقابل التعبير الأجنبي، ولا تستعمل المترادفات إلا في ما ندر وعند الضرورة، وبذلك يتحقق توحيد المصطلحات. وحين توجد بعض الألفاظ الشائعة في بعض البلدان العربيّة دون بعض، وتفضل عليها مصطلحات أخرى، يكتب المصطلح المفضول بين قوسين بعد المصطلح المفضل، وبأحرف أصغر حجما، وذلك تسهيلا لائتلاف المصطلح المفضل من جهة مع الإيحاء بضرورة العدول عن المصطلح المفضول في الوقت نفسه.

2- إذا وجد عدة مترادفات أجنبية للمفهوم الواحد لأسباب تاريخية، يترجم أصلحها لتأدية المعنى ويوضع في مقابلها جميعا، مع الإشارة بجانب المترادفات الأخرى إلى التعبير الذي اتفق على ترجمته بوضعه بعد علامة المساواة (=) بين قوسين.

3- إذا كان للمصطلح الأعجمي أكثر من دلالة واحدة، يوضع مصطلح عربي مقابل كل دلالة وترقم هذه المصطلحات إظهارا لتمايزها، ويستحسن بيان الحقل الدلالي الذي ينتمي إليه المصطلح بين قوسين.

4- ينبغي درس المصطلح الأجنبي دراسة وافية والتعرف على مدلوله العلمي ومفهومه الدقيق ومعناه الاصطلاحي الخاص المستعمل في حقل الاختصاص قبل الإقدام على وضع مقابله العربي.

ولا ينصح بترجمة المصطلح ترجمة حرفية أو استعمال مرادفاته الموضوعة لدلالات خاصة في حقول اختصاصات علمية أخرى.

5- لا يجوز اعتماد لغة أجنبية واحدة -مهما كان لها من السيادة- مصدرا وحيدا للمصطلحات الأجنبية، وإنّما يترجم اللفظ الأجنبي الذي هو

أفضل في تأدية المعنى، فيترجم اللفظ الانجليزي أحيانا والفرنسي أحيانا أو غيرهما من ألفاظ اللّغات الأخرى، بحيث يكون الهدف دائما دقة المعنى ووضوحه.

6- تستعمل الألفاظ العربيّة المتداولة أو التي سبق أن استعملها علماء العرب الأقدمون وإلا يجتهد في وضع لفظ جديد مناسب. وتؤخذ بنظر الاعتبار المصطلحات التي وضعتها المجامع، واللجان المتخصصة، والعلماء.

7- يكتفي بوجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي ولا يشترك في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.

8- يبتعد عن الكلمة المثقلة بعدة معان، فيحاول العثور على ألفاظ لا تشترك مع سواها بقدر الإمكان، ولاسيما تلك التي تشترك في حقل دلالي واحد.

9- يلتزم قدر الإمكان بالقوائم الدلالية، والسوابق واللواحق، والصيغ القياسية التي يعدها المجمع الموحد.

10- يجوز اللجوء أحيانا إلى النحت أو التركيب المزجي، إذا كانت اللفظة المنحوتة مفهومة مقبولة أو شائعة، أو منسوبة. ولكن النحت يحتاج إلى ذوق سليم خاصة، فكثيرا ما تكون ترجمة الكلمة الأعجمية بكلمتين عربيتين أو أكثر أصلح وأدل على المعنى من نحت كلمة يمجّها الذوق ويستغلق فيها المعنى. ويراعي في المركبات المزجية التي تعتبر مصطلحات أن تجعل اسما واحدا إعرابا وبناء، فلا يعرب الجزء الأول من مصطلح الاثنا عشري مثلا وإنما يحتفظ هذا المصطلح بشكله في جميع أحواله.

11- يفضل تقدير محذوف في بعض المصطلحات التي تتألف من جملة، على التركيب المزجي أو النحت، فيقال مثلا: الشريان تحت الترقوي بتقدير محذوف هو "العظم". بدل أن يقال "الشريان التحترقويّ أو "التحت ترقوي".

12- لا حرج في استعمال الكلمات الدخيلة أو المستعربة حيز اللزوم، ولاسيما حين تتعذر تأدية المعنى المراد، أو حين تكون الكلمة العربيّة المقترحة أشد عجمة من الكلمة الدخيلة، أو يكون اللفظ ممّا اشتهر وشاع استعماله، أو يكون قد اكتسب صفة العالمية بدخوله كما هو كل لغات العالم أو جلّها.

13- يلتزم في هذه الكلمات الدخيلة أو المستعربة اختيار اللفظ الأسهل من بين مختلف اللّغات الأجنبية، لنقله إلى العربيّة بأخف ما يمكن على اللسان العربي، دون التزام لغة أجنبية واحدة. فيقال مئلا في مصطلح الكيمياء هيدروكسيد لا هايدروكسايد ويقال: تورانيوم" لا "أواذيوم" ويقال "بزموت" لا "بزمت" ويقال "لبباز' لا"لايبيز' ويسعى إلى الاستخدام قدر الإمكان فيقال "فيزيولوجيا" لا "فيسيلوجيا" لأننا قلنا "الفيزياء. ولم نقل "الفيسياء" وهكذا... كما يحرص في نهاية الكلمات على التمييز بين اسم العلم وبين ما ينسب إليه فنكتب "الجيولوجيا" و "الباثولوجيا" مثلا بالألف لتميزها عن الطبقات الجيولوجية أو التغيرات الباثولوجية التي نكتبها بالتاء.

14- لا داعي لاستعمال حروف غير الحروف العربيّة كالباء والقاء، وإنما يتقل الحرف إلى أقرب حرف عربي إليه، فترسم؟ باء و؟ فاء. أما؟ فيعرب غينا إلا إذا كان جيما صحيحة لا جيما قاهرية.

15- نظرا إلى صعوبة توافر الشكل "التشكيل" في المطابع والمناسخ، ينبغي عدم التحرّج من استعمال الأحرف اللينة في الكلمات المعربة حتى لا

يلتبس اللفظ على أن يستغنى عنها إذا لم يكن ثمة التباس، كما ينبغي عدم التحرج –في استعمال هذه الحروف النية— من النقاء الساكنين استئناسا بالمد اللازم في القرآن الكريم حيث يلتقي حرف اللين بحرف ساكن يؤلف الجزء الأول من الحرف المشدد ولا حاجة لبدء الكلمات الساكنة الأول بألف اكتفاء بالاختلاس في نطق هذا الحرف الساكن، أو بتحريكه.

16– ينبغي الحرص في استعراب الكلمة على وضعها في صيغة يسهل جمعها والنسبة إليها والاشتقاق منها، ويفضل عدم استعرابها أن لم تتحقق فيها هذه الشروط.

17– يعتبر المصطلح المستعرب عربيا يخضع لقواعد اللّغة العربيّة، ويجوز فيه الاشتقاق، وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق.

18– يجوز التصرف في صيغ النسبة، للتمييز أو منع اللبس، كما تجوز النسبة إلى المفرد والجمع.

19– يجوز التوسع في استعمال لا الإضافة ضمانا لوضوح المصطلحات التي تتألف من جملة فيفضل مثلا أن يقال: "الطبقة الحبيبية للبشرة لا طبقة البشرة الحبيبيه"، ويقال: "الأس الأمامي للعضلة ذات الرأسين" لا "رأس العضلة ذات الرأسين الأمامي" . وذلك استئناسا بأن من مواضع اللام أن تكون بمعنى "من" وذلك قولهم:"سمعت لزيد صياحا أي: من زيد صياحا. كما يجوز التوسّع في استعمال اللام الأخرى التي تكون موصلة لبعض الأفعال إلى مفعولها فيقال مثلا: "العامل المطلق للهرمون المنبّة للجريب" .

20– ينبغي ترجمة أسماء الأجناس والأنواع في تصانيف الأحياء من حيوان ونبات وجراثيم، ولا يجوز أن تستعرب بحجة أنّيا أسماء أعلام فاسم العلم فرع

من اسم الفرد والفرد تحت النوع وتحت الجنس. ويمكن، بل يحسن، في التعليم العالي إضافة الاسم الأعجمي إلى جانب الاسم العربي.

21- يجوز التخصيص بتاء التأنيث لضرورة التمييز، فيقال اللوح واللوحة، والكيس والكيسة والجيب والجيبة وما أشبه ذلك.

22- تنكر صيغة جمع المصطلح بين قوسين إذا لزم الأمر.

**5/2 التجربة السودانية:** هذه التجربة رائدة، وهي نتيجة تضافر جهود بعض المجمعيين والجامعيين في السودان، حيث' بدأ تعريب العلوم في السنة الجامعية 1991/90 تعريب السنة الأولى وتدرجت الدفعات الأولى ستة 1995 بتعريب كلي معتمدة المنهج التالي:

1- الفصحى الميسرة.

2- دراسة مواد باللّغة الأجنبية كلية.

3- الإبقاء على الرموز والصيغ الرياضية على هيئاتها الأجنبية.

4- تنصيب لجان التعريب على مستوى كل جامعة لتدارس المعوّقات التعريبية.

كان أكبر عائق صادفته العملية في منطلقها هو الأستاذ الجامعي الذي كانت دراساته الجامعية بالإنجليزية، ومحاضراته مصاغة من مصادر أجنبية. وخوفه من المجهول في دخول مغامرة التعريب وأخيرا ظهور الرفض التام من قبل البعض.

ومع كل هذا فإنّ التعريب بعد السنوات الأربع شمل علوم الأساس؛ الرياضات / الفيزياء / الكيمياء/ علم الأحياء/ الموارد الطبيعية. وفي العلوم التطبيقية شمل: الهندسة الزراعية والطب البيطري وعلوم الأرض. وأما علوم

الطب فقد اكتمل في خمس جامعات فقط، وبعض الكليات في السنة الأولى فقط. ومع كل هذا فإن تقويم التجربة جاءت عن طريق تقارير من عشرين جامعة سودانية كبيرة تفيد:

1- شمول التعريب للمناهج الدراسية في كليات الجامعة وأقسامها المختلفة.

2- المشاكل التي واجهت التعريب من حيث:

1/2- وضع الأستاذ.

2/2-الكتاب الجامعي.

3/2-المصطلح العلمي.

4/2- عقبات أخرى.

3- تقويم مدى استيعاب الطلاب للعلوم باللّغة العربيّة مقارنة بمستويات الطلاب قبل التعريب.

وفي ظلّ هذه الظروف أصبح السودان ثاني دولة عربية جسدّت التعريب بنسبة تفوق 90% وهذا بفضل الجهود المخلصة للهيئات العليا للتعريب، وبفضلها ازدهرت صناعة المعاجم والتيسيرات التي يقدمها المجمع السوداني، أضف إلى هذا أن الجامعات السودانية ومجمعها الحديث يقتدي بكل القرارات الصادرة عن المؤسسات الثقافية العربيّة، وبخاصة مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة في القضايا اللغوية ومكتب تنسيق التعريب في قضايا المصطلح والتعريب.

# الصحافة واللغة قبل الاستقلال

الأستاذ زهير إحدادن

بسم الله الرحمان الرحيم

من المعروف أن الاستعمار الفرنسي حارب استعمال اللغة العربية في الجرائد بالوسائل المختلفة التي كانت تخولها له السلطات القائمة. وهذا الموضوع قد تناولته الدراسات الكثيرة من عدة جوانبه ولا فائدة لشرحه في هذه المقالة الموجزة.

وأنني أريد اليوم أن أتعرض لجانب من هذه الظاهرة التاريخية في علاقتها بالصحافة: كيف حارب الاستعمار الفرنسي استعمال اللغة العربية في الصحافة التي كانت تصدر بالجزائر؟.

وأننا نعلم أن اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة التي كانت تستعمل في الاتصال المكتوب في الجزائر قبل كارثة احتلال بلادنا من طرف فرنسا. فالعربية كانت منتشرة في التعليم في المساجد في التأليف والمراسلات...

ونحن نعلم أيضا أن الصحافة لم تكن موجودة في الجزائر قبل 1830 وأن الاستعمار والسلطات الاستعمارية هي التي نشرت هذه الوسيلة الجديدة في البلاد، فلا غرابة حينئذ إذا قلنا أن الصحافة بدأت تصدر في الجزائر باللغة الفرنسية ولم تستعمل اللغة العربية في الصحافة إلا بعد فترة من تواجد هذا الاستعمار.

ما هو التطور أو بالضبط ما هي المراحل التي مرت عليها الصحافة العربية قبل الاستقلال؟

في البداية أقول أنّ هذه المراحل قد تكون في نظري محتدة وهي أربعة وسأشرحها فيما يلي مرحلة بعد موحلة:

**1-المرحلة الأولى**

قد بدأت هذه المرحلة بصدور أول صحيفة باللغة العربية وهي صحيفة المبشر التي انشاتها السلطات الاستعمارية سنة 1848 وعينت على إدارتها الجنرال دوما. وقد ظهرت هذه الجريدة باللغة الفرنسية وباللغة العربية وكانت المقالات والأخبار بالعربية مترجمة من الفرنسية وكانت الترجمة ركيكة وبالتالي كانت عربية الجريدة ضعيفة ولكن تحسنت شيئا فشيئا حتى أصبحت لغة سليمة بالخصوص عندما طلبت الجريدة من بعض العلماء امثال البدوي الغيام برئاسة تحريرها.

ويتبادر إلى الذهن سؤال لماذا أصدرت السلطات الاستعمارية هذه الجريدة؟ أهو حب في اللغة العربية وفي خدمتها وترقيتها؟

الحقيقة أن ظهور هذه الجريدة جاء بعد انتهاء مقاومة الأمير عبد القادر حيث بدأ يستتب نوعا ما للسلطات الاستعمارية الأمر في الجزائر ولكن وجدت نفسها معزولة عن الشعب الجزائري الذي لم يخف عداوته لها وعدم الاعتراف بها كما يشهد بذلك العديد من الانتفاضات والثورات التي وقعت في هذه الفترة، وقد شعرت السلطات الاستعمارية بهذه العزلة وبعدم جدوى الانتصارات العسكرية فبدأت تقوم ببعض المحاولات لربط علاقات بالمسلمين والاتصال بهم وكانت من بين الوسائل التي استعملتها إنشاء هذه الجريدة 'المبشر' وقد صرح بذلك العدد الأول منها حيث نكرت الافتتاحية ان " المسلمين في حاجة إلى من يخبرهم بما تقوم به السلطات في الجزائر..." .

فصدور هذه الجريدة يخدم بالدرجة الأولى الوجود الاستعماري في الجزائر وبما أن الشعب الجزائري في هذه الفترة لا يفهم اللغة الفرنسية فإن السلطات الاستعمارية قرّرت

الاتصال به باللغة التي يهمها وهي العربية، فصدرت إذا هذه الجريدة باللغة العربية.

وما يؤكد هذا كذلك هو أنّ السلطات الاستعمارية لم تسمح قطّ بإصدار صحيفة أخرى بالعربية وقد رفضت إعطاء رخصة الصدور لبعض الخواص (وهم يهود) رغم أنهم كانوا يتعاملون معها.

وقد مرت فترة من الزمان وليس في الجزائر الا جريدة واحدة باللغة العربية وهي المبشر، وفي سنة 1876 ثم في سنة 1882 قامت السلطات الفرنسية بإصدار جريدتين أخريين بالعربية ولكن في باريس وإن كان توزيعهما يشمل الجزائر. وفي سنة 1898 سمحت السلطات الاستعمارية بإصدار جريدة أخرى موالية لها وباللغة العربية العامية.

وهكذا تمر هذه المرحلة وهي تغطى القرن التاسع عشر حتى نهايته بسيطرة جريدة المبشر في الميدان وهي جريدة استعمارية تخبر المسلمين الجزائريين وخاصة اللذين كانوا يتعاملون مع السلطات الاستعمارية بالنشاط الاستعماري بالإضافة إلى بعض المقالات الأدبية والتاريخية والفلسفية.

**2- المرحلة الثانية:**

وهي تشمل بداية القرن العشرين حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى. وتمتاز بتغيير نوعي في موقف السلطات الفرنسية نحو اللغة العربية بصفة عامة واتجاه الصحافة باللغة العربية بصفة خاصة.

حيث أصبحت هذه السلطات تسمح للخواص بإصدار صحف بالعربية وتشجعهم على ذلك وتحيطهم بنوع من العناية رغم وجود مراقبة مستترة، وبذلك. عرفت هذه الفترة نشاطا مكثفا نوعا ما للصحافة باللغة العربية بجانب الصحافة وباللغة الفرنسية فظهرت في هذه الفترة حوالي ست صحف بالعربية زيادة على جريدة المبشر ومن هذه الصحف ما هو موال للسلطات مثل "المغرب" أو "كوكب إفريقي' التي كان يصدرها محمود كحول ومنها ما هو

مستقل عن السلطات بدون معارضتها مثل جريدة "الفاروق' لعمر بن قدور الجزائري أو "ذو الفقار" لعمر راسم.

وظهرت كذلك في هذه المرحلة بعض الصحف مزدوجة اللغة يعني الفرنسية والعربية مثل جريدة "الأخبار" و "الحق" الوهرانية وهما تابعتان لخواص فرنسيين.

وكانت هذه الصحف تصدر بلغة عربية سليمة تتضمن زيادة على الأخبار، مقالات مطولة في الأدب والتاريخ والفلسفة والدين وكذلك قصائد شعرية وروايات قصيرة، فعرفت اللغة العربية حينئذ نوعا من الرواج جعلتها تسترجع نوعا ما المكانة التي ضيعتها في المرحلة السابقة.

وكل هذا يبدو غريبا، والحقيقة أنه طرأ على السياسة الفرنسية في هذه الفترة تغيير نوعي جعل التيار الليبرالي اليساري يتغلّب على الحكم في فدنسا، في البرلمان وفي الحكومة، فبرز وزراء وحكام يدعون إلى تطبيق سياسة التقارب و المحبة مع المسلمين في الجزائر والاعتراف بمميزاتهم الخاصة في الدين واللغة، وكان الوالي العام جونار ينتمي إلى هذا التيار وهو الذي كان يساند جريدة "الأخبار" ويمد لها يد المعاونة.

وكانت هذه السياسة ترمي كذلك إلى أن تجعل فرنسا تستطيع أن تلعب دورا هاما في العالم الإسلامي وبالأخص في المشرق العربي، وكانت سياستها في الجزائر مبررا لها وبرهانا على أنها تدافع عن المسلمين وبذلك استطاعت أن تتوغل في العالم الإسلامي.

زيادة على هذا فإن فرنسا كانت في صراع كبير مع ألمانيا بالنسبة للمغرب الأقصى وبالنسبة لحدودها الشرقية مع ألمانيا فأخذت تستعد للحرب وتشعر باحتياجها الكبير بتكوين جيش عظيم وذلك ما جعلها تفكر في تجنيد المسلمين الجزائريين مما جعلها تقترب منهم وتسمح لهم بنوع من الحرية في نشاطهم اللغوي والديني.

فالنشاط الصحفي في هذه المرحلة، كما وصفناه، كان يخدم في الدرجة الأولى المصلحة الفرنسية التي اقترنت في هذه الفترة بمصلحة بعض المسلمين الجزائريين واستفادت اللغة العربية من ذلك.

**3-المرحلة الثالثة:**

وهي التي جاءت بعد الحرب العالمية الأولى واستمرت حتى بداية الحرب العالمية الثانية وقد تعينت—خلافا للمرحلة الثانية-بصراع كبير بين السلطات الاستعمارية والصحافة باللغة العربية.

إذ أصبحت هذه السلطات عدوة للصحافة العربية تحاربها وتقهرها بعد أن كانت تكتنفها وتحميها.

وهذا التحول ناتج عن سبب أساسي وهو أن الصحافة الجزائرية - بالعربية وبالفرنسية — بلغت نضجا كبيرا في هذه المرحلة وأصبحت أداة فعالة وسلاحا سياسيا قويا عرف الجزائريون كيف يستعملونه لتحقيق مطالبهم.

والسبب الثاني الذي لا يقل أهمية عن الأول وهو مكمل له أن المقاومة الجزائرية أصبحت بالدرجة الأولى سياسية بعد أن خرج الشعب الجزائري من الصمت الذي التزمه منذ نهاية مقاومة الأمير عبد القادر فبدأت تظهر الجمعيات وتتكون حركات تشبه أحزابا سياسية وأصبحت الصحافة منبرا عاليا للتعبير والإفصاح عما يختلج في النفوس واتخذت نخبة من المثقفين الصحافة كأداة ووسيلة تساعدها على تحقيق أهدافها.

ولهذا أصبحت السلطات الاستعمارية تخاف من الصحافة لأنها تهدد كيانها وتكشف عيوبها وتنبّه وترشد الشعب الجزائري فأخذت تقمعها وتعرقل تطورها سواء كانت هذه الصحافة تنطق بالعربية أو بالفرنسية.

غير أن الأمد استصعب عليها فيما يخص الصحافة باللغة الفرنسية فلم تستطع أن تحيدها عن طريقها، ولكن بالنسبة للصحافة باللغة العربية فكان الأمر عليها سهلا، فهدّدت، أولا أصحاب الصحف ووضعتهم في السجن ثم عرقلت توزيع هذه الصحف ثم اعتدت على ممتلكات هذه الصحف فحطمتها، وكلّ ذلك سعيا منها لإرغام الجريدة على التوقف طوعا وذلك ما وقع في سنة 1921 مع جريدة "الصديق" للشيخ المولود الأزهري.

ولكن هذا الضغط الاستعماري لم يمنع الصحافة العربية من مواصلة نشاطها، فظهرت عدة صحف في هذه الفترة مما أرغم السلطات الاستعمارية على الكشف عن موقفها علانية فصرحت أنها تعتبر الصحافة باللغة العربية صحافة أجنبية وتطبيقا لقانون حرية الصحافة لسنة 1881 فإن هذه الصحافة لا تتمتع بالحرية الكاملة بل هي تخضع للسلطات الإدارية ويستطيع وزير الداخلية أن يمنع أيه صحيفة تصدر بالعربية من الظهور بدون اعطاء أي مبرر.

وهذا ما وقع لجريدة "المنقذ" التي أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس فمنعها وزير الداخلية الفرنسية من الصدور وحجز العدد الثامن عشر داخل المطبعة وتوقفت عن الصدور ثم عوضها الشيخ بن باديس بجريدة أخرى تحمل اسم "الشهاب" وكلّ هذا وقع سنة 1925 وكان أول منع يصدر من وزير الداخلية.

وهكذا تصبح الصحافة العربية أجنبية في بلادها وتحيد عن طريقها الطبيعي، فأصبحت تتحاشى الحديث السياسي حتى لا تقع ضحية لهذا القانون الذي يسمى "قانون حرية الصحافة" ولكي تواصل نشاطها أصبحت تأخذ طابعا ثقافيا أو أدبيا أو دينيا، وبذلك استمرت في الظهور وهو ما نلمسه في الصحف التي كان يصدرها أبو اليقظان مثلا أو التي كانت تصدرها جمعية العلماء أو التي كان يشرف عليها الطرقيون.

**المرحلة الرابعة:**

وهي التي جاءت بعد الحرب العالمية الثانية واستمرت حتى اندلاع الثورة المباركة وتتميز بتطور كبير وقع في العالم وفي الجزائر ففي العالم تغيرت الخريطة السياسية وظهرت دولتان كبيرتان: الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، في حين ضعف دور فرنسا ضعفا كبيرا إذ خرجت من هذه الحرب هزيلة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

أما في الجزائر فإن التحول الكبير قد وقع أثناء الحرب في سنة 1943 عندما توحدت جميع القرى السياسية في البلاد وكونت حركة "أحباب البيان والحرية" التي سطرت في مطالبها استرجاع السيادة الوطنية والدفاع عن اللغة العربية والاعتراف بها.

وهما مطلبان يؤمن بهما لأول مرة الجميع وبذلك أصبحت السلطات الاستعمارية تأخذهما بالاعتبار وإن كانت تتنكر لهما رسميا، غير أنها بدأت تغير موقفها من اللغة العربية وتمنح للصحافة باللغة العربية أكثر حرية.

هذا التطور جعل الصحافة باللغة العربية تنشط مثل الصحافة باللغة الفرنسية وتسترجع مكانتها في الميدان السياسي خصوصا وأن الأحزاب السياسية مثل حزب البيان وحركة انتصار للحريات الديمقراطية والحزب الشيوعي بدأت تصدر صحفا باللغة العربية وتتناول الأحداث السياسية وتعلق عليها وتنتقد وتؤد موقف الحزب الذي تنتمي إليه، بالإضافة إلى الصحافة الثقافية والدينية التي كانت تنشط في المرحلة السابقة مثل:

"البصائر" لجمعية العلماء أو لسان الدين والبلاغ الجزائري. التابعين للجمعيات الطرقية الصوفية.

ففي هذه المرحلة وإن كانت قصيرة إذ لا تشمل إلا تسع سنوات عرفت اللغة العربية انبعاثا كبيرا تجسّد في ميدان التعليم وهو النشاط الذي كانت تقوم به الأحزاب السياسية

وجمعية العلماء مما جعل عدد الغراء بالعربية يزداد ويكثر ويعطي للصحافة بالعربية رواجا لم تعرفه من قبل.

ولكن، وغم هذا التطور –فإن كفة اللغة العربية كانت ضعيفة وهزيلة بالمقارنة مع النشاط الصحفي باللغة الفرنسية الذي تمكن من التغلغل إلى جميع الأوساط الجزائرية فأصبحت اللغة الفرنسية تسود في جميع الميادين.

وهكذا فإن السياسة الفرنسية عملت بمنهجية دقيقة على محاربة اللغة العربية في الجزائر وتمكنت من جعلها غريبة وأجنبية بين أهلها–رغم المقاومة العنيفة والذكية التي واجه بها الشعب الجزائري هذه الحرب الهوجاء.

# تعريب التعليم في

# الجامعات الإسلامية

**الأستاذ الدكتور /عبد الكريم بكري**

*عميد كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية*

*عضو المجلس الأعلى للغة العربية*

*ص.ب: 1541 المنور – وهران*

*وهران الجزائر*

اللغة من أهم واخطر الظواهر الاجتماعية لدى الإنسانية على الإطلاق.. فلا يمكن تصور آي تعامل بين أصغر مجموعة من الناس دون لغة مشتركة تكون هي أساس هذا التعامل.. واللغة من اخطر الروابط التاريخية التي تصل بين الأجيال والفئات المختلفة.. ذلك أن اللغة هي «صدى روح الأمة وأصالتها، وهي لسان شخصيتها والضامنة لاستمرارها الروحي» كما قال أحد الفلاسفة الألمان.

وهي من جانب أخد من أقوى الأسلحة النفسية للسيطرة على الأفكار واستماله النفوس وصبغ الأذهان لأنك إذا جعلت أجنبيا يتثقف بلغتك فإنك إنما جعلته أكثر استعدادا لأن يشاركك شعورك وطموحك وعاداتك التي تعلمتها من لغتك.

ولقد تفطن الأوربيون إلى ذلك منذ زمن بعيد فأنشئوا مدارس لهم كانت بمثابة الجسر الذي عبرت منه فلولا غزو فكري منظم استهدف العالم الإسلامي على الخصوص.

باللغة استقر فكر المستعمر وحضارته وقوانينه وطريقة تفكيره.. لذلك فإن الدول الاستعمارية الفانية عندما عملت على نشر لغتها بين الشعوب المستضعفة لم تفعل ذلك من أجل التفاهم والتقارب ولكنها انما كانت تهدف إلى بسط هيمنتها الفكرية والثقافية على مستعمراتها بعد أن تجبر على الانسحاب منها.

كتب مراسل صحيفة لوموند بالجزائر غداة الاستقلال: أن عدد الناطقين بالفرنسية سيتضاعف على عكس ما يعتقده الفرنسيون.. وراح يشرح نظريته الحالمة بالهيمنة اللغوية وكيف أن الجزائر التي جعلت التعليم مجانا وفتحت المدارس أمام جميع التلاميذ اللذين بلغوا سن التعليم ستضطر إلى تعليمهم باللغة الفرنسية لأنها ستعجز لا محالة على توفير الأعداد الهائلة اللازمة من معلمي اللغة العربية للتدريس في المدارس الابتدائية والثانويات والجامعات والخيار الوارد والمفروض الآن هو الاستمرار في التعليم باللغة الفرنسية مع إدراج ساعات قليلة للغة العربية[1].

ولقد جاء هذا التنبؤ المتفائل بازدهار الفرنسية وثقافتها في الجزائر نتيجة لاضطهاد اللغة العربية إبان الحكم الفرنسي الاستعماري الصليبي إذ كانت تعتبر لغة أجنبية في عقر دارها كما يقول الأستاذ توفيق أحمد المدني –رحمه الله— بل لقد بلغ الحقد بالسلطات الفرنسية أن منعت رجال الدين من إلقاء دروسهم الدينية في المساجد ويطول بنا المقام لو استطردنا في تصوير المحن التي عاشتها الثقافة العربية في هذه الفترة الحالكة من تاريخها[2].

ولولا آن من آلله على هذا الشعب العربي المسلم الأصيل الذي رفع راية التحرير بالأمس ويرفع اليوم راية التعريب أقول لولا رحمة من الله لصدقت مقولة بول بالطا مراسل صحيفة لوموند السالف الذكر ولما وجد للغة القرآن ذكر في هذا البلد العربي المسلم نسوق هذه الأمثلة وغيرها كثير لأولئك اللذين يزعمون أن اللغة لا تعدو أن تكون أداة للتوصيل وأن العبرة بالمحتوى والاتجاه الفكري غافلين أو متغافلين أهمية اللغة في تحويل الأفكار وفي فرض الهيمنة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.. ان هذه الأداة جعلت الشعوب المغزوة تتسابق لشراء جريدة المستعمر وتتابع بلهف وانتظام كل ما يجري في بلاده.. ان التبعية اللغوية معناها توجيه أفكار وسلوك وأذواق الناطقين بها مباشرة عبر برامج إذاعية وكتب ومجلات وصحف ونشريات.

وعلى أية حال فلقد كان موقف الجزائر حاسما في هذا الموضوع منذ أن يزغ فجر الاستقلال.. إذ أعطت للمؤمنين بعروبتهم وأمتهم ثقة كبيرة حينما جعلت اللغة العربية لغة لتدريس في المدارس الابتدائية والمتوسطة وفي جميع الأقسام الأدبية في التعليم الثانوي مع التعريب التدريجي للأقسام العلمية بحيث تم تعريب الثانوي بجميع فروعه منذ سنة 1989.

ولقد جاءت قرارات اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني في بداية الثمانينات تجسيدا لرغبة الشعب في إحلال اللغة العربية محلها الطبيعي إذ قررت في جلستها المنعقدة من 3 إلى 9 مايو 1980 الشروع في تعميم استعمال اللغة العربية أداة للتعبير في جميع الهيئات والمؤسسات، كما قررت أن تنتظم هذه العملية على مراحل: قريبة ومتوسطة وبعيدة

المدى وقررت من ناحية ثانية تشجيع البحوث والدراسات اللغوية وتوفير المعاجم والوسائل التعليمية والإسراع بإنشاء أكاديمية للبحث اللغوي والترجمة[3].

## حال التعليم الجامعي قبل الاستقلال:

عانت الجامعة الجزائرية في عهد الاحتلال إضعاف ما عانته المؤسسات التعليمية الأخرى ومن باب تحصيل الحاصل القول: أن التعليم بها كان فرنسي القلب والقالب: تخدم بالدرجة الأولى الأغراض التي رسمها المحتلون ويتوجه إلى أبناء المعمرين.

وصف جماعة من الطلبة الفرنسيين أوضاع الجامعة إذ ذاك بأنّها كانت تشبه بطبيعتها أية جامعة اقليمية في فرنسا من جميع الوجوه وأن الطلبة الجزائريين لم يدمجوا فيها فعليا بل ألحقوا كشر لابد منه[4] .

والقسم العربي الوحيد الذي كان موجودا قبل الاستقلال في جامعة الجزائر هو قسم الدراسات الإسلامية كان يحصر اهتمامه في الغالب في الدراسات الاستشراقية، وكان أساتذته من المستشرقين الفرنسيين بل أنّ معظم المواد كانت نعرس فيه باللغة الفرنسية مثل فقه اللغة العربية والأدب المقارن والحضارة الإسلامية.

ولذلك لم يكن للغة العربية والأدبي العربي وتاريخه في مختلف العصور مكانة معتبرة كما لم يكن للتاريخ الإسلامي حظ ينكر في هذا القسم [5].

هذا الجدول الصادر في عام 1954[6] يوضح نسبة الطلبة

الجزائريين إلى الأوربيين:

| الكليات | مجموع الطلاب | الطلية الأوربيون | الطلبة الجزائريون |
|---|---|---|---|
| الآدب | 1347 | 1175 | 172 |
| الحقوق | 1713 | 1534 | 179 |
| الطب | 824 | '714 | 115 |
| الصيد لة | 427 | 393 | 34 |
| العلوم | 835 | 773 | 62 |

**نحو تعميم استعمال اللغة العربية:**

أصبحت اللغة العربية أداة للتعليم في معظم معاهد العلوم الاجتماعية والإنسانية في الجامعة الجزائرية وذلك بعد سنوات قليلة من الاستقلال خصوصا بعد القرار الوزاري الصادر في عام 971ا والقاضي بإصلاح التعليم العالي.. فمنذ هذا التاريخ أصبحت اللغة العربية لغة أساسية في تدريس المناهج المقررة من السنة الأولى إلى السنة النهائية وذلك إلى جانب اللغة الفرنسية حيث كانت المناهج قسمين؛ قسم يدرس بالفرنسية مع إدماج مقاييس بالعربية وقسم كان يدرس كليا باللغة العربية.

وقد تخرجت منذ ذلك الحين أفواج من الإطارات المعربة للعمل في التعليم والمؤسسات العمومية وكان من نتائج هذا التعريب الجزئي للعلوم الإنسانية أن كفلت الجامعة لنفسها أطرا معربة استطاعت أن تضطلع برسالة التدريس باللغة العربية بعد الحصول على شهادة الليسانس ثم الشهادات الجامعية العليا.

هذا فضلا على ضمان نسبة معتبرة من الجزأرة في الإطار الجامعي.

غير أن الشروع في التعريب الشامل لم يتم إلا في عام 1980 بعد قرارات اللجنة المركزية القاضية بالتعريب الكلي للعلوم الاجتماعية والإنسانية.

الحقوق.. الاقتصاد.. علم الاجتماع.. التاريخ.. علم النفس الديمغوافيا (علم السكان).

وعلى الرغم من المشاكل الموضوعية التي واجهتها الجامعة في هذا الشأن فقد استطاعت أن تهيئ الشروط الممكنة لضمان التدريس باللغة العربية في هذه الفروع مع الحفاظ على المستوى العلمي المطلوب بحيث تخرجت أول دفعة موحدة اللغة وبشهادة الليسانس المعربة في شهر يونيو1985.. ويعود الفضل في ذلك إلى الجهود الكبيرة التي بذلها الآساتذة المتعوبون(من الجزائر ومن البلدان العربية الشفيقة) كما تعود إلى حماس الأساتذة المتحدثين أصلا باللغة الفرنسية إلى التدريس باللغة العربية على الرغم من الصعوبات اللسانية التي تواجههم غير أن هناك مقاييس تقنية تدرس حتى الآن بالفرنسية نظرا لعدم وجود أساتذة مختصين فيها سواء في الجزائر أم في العالم العربي كبعض مواد الديمغرافيا وعلم النفس الكلينيكي في معهد العلوم الاجتماعية والإحصاء والإعلام الآلي والمحاسبة في معهد العلوم الاقتصادية.. وتعتقد أن سد هذا النقص لا يأتي في المدى الغريب إلا عن طريق عودة الطلبة الموفودين لدراسة هذه الاختصاصات في الجامعات الأجنبية.

أما في المعاهد العلمية فقد أدمجت فيها خمس مواد يتلقى من خلالها الطالب معارف في العلوم والمصطلحات باللغة العربية هذا فضلا عن وجود ليسانس في علم البيولوجيا معربا تعريبا كليا.

## تعريب الأساتذة الناطقين بالفرنسية:

يتم تدريس اللغة العربية للأساتذة غير الناطقين بها اما عن طريق المعاهد التي يعملون بها وإما عن طريق مركز التعليم المكثف للغات. اما البعثات التي كانت توجه إلى

المشرق العربي قصد تحسين مستوى هؤلاء الأساتذة في اللغة العربية فقد عدلت عنها الجامعة لاعتبارات مختلفة تعود بالخصوص إلى عدم وجود منهاج أو خطة مرسومة لمتابعة الأستاذ المتعلم في الجامعة التي أوفد أليها ثم إلى كون معظم التخصصات العلمية والتقنية مازالت تدرس باللغات الأجنبية في البلدان العربية إذ قامت الجزائر بإرسال بعثات إلى بعض البلدان في المشرق العربي للاستعانة بهم عند تخرجهم في تعريب المواد الاجتماعية والعلمية في الجامعات ولكنهم رجعوا وقد أتقنوا لغات أجنبية أخرى غير اللغة العربية.

**وفي ذلك يقول الدكتور أحمد مطلوب؛**

«وما تزال كثير من الأقطار العربية متمسكة باللغات الأجنبية في تدريس العلوم لأسباب غير مقنعة علميا» حيث نجد أن اللغة العربية أصبحت في معظم بلدان العالم العربي مغيبة ولا تكاد تستخدم إلا في القضايا الثانوية وخاصة في كليات العلوم الطبيعية والهندسية والاقتصاد والعلوم الإدارية. ويغزو أحد الباحثين العرب تفضيل اللغة الأجنبية على العربية لأسباب أهمها:

1- أن عدد لا يستهان به من أعضاء هيئة التدريس من مختلف الكليات لا يتعلمون العربية، ويتخذون —نتيجة لذلك— الإنجليزية لغة للتدريس.

2- ترى إدارة الجامعة في استخدام الإنجليزية (أو الفرنسية) مبعثا على الشعور بالتفاخر والاعتزاز. ويرى الباحث أن مثل هذا الشعور امتداد طبيعي لعربتنا الحضارية ولاعتقادنا بفرضية تفوّق الغرب بمعطياته الحضارية وتقدمه التقني.

3- أن عددا كبيرا من أعضاء هيئة التدريس قد تلقوا تعليمهم العالي من الدول الغربية الناطقة باللغة الإنجليزية أو بلغة أجنبية أخرى وهم يرون في استخدامها تسهيلا في أداء مهمتهم التعليمية ولاهتدائهم إلى المراجع العلمية التي تعودوا على استعمالها أثناء وجودهم

في الغرب وهم من ناحية أخرى لا يبذلون أي جهد لاستخدام اللغة العربية، اللغة التي لا يكاد يتقن غيرها طلبة الجامعة خريجوا الثانويات المعربة.

4- نقص المراجع والكتب العلمية في المكتبة وغياب المعارف العلمية والتكنولوجية والعلوم الإنسانية المكتوبة بالعربية في شبكة الإنترنيت [7] (؟؟؟؟؟) (7).

وإنّما أمعنا النظر في حال تعريب الجامعات العربية وأجرينا تلكم المقارنة لأهمية النتيجة التي نريد استخلاصها، وهي أن عملية التعريب في الجامعات الجزائرية ليست بالسوء الذي يتصوره المتشائمون أو الفشل الذي بزعمه المثبطون.

وهذا الجدول يبين عدد الكتب الموجودة بالعربية ونسبها في مكتبة أحدى كبريات الجامعات العلمية في الوطن وهي–جامعة العلوم والتكنولوجيا بوهران

| نسبة استعمال الكتاب الأجنبي (الأساتذة والطلاب | نسبة استعمال الكتاب العربي (الأساتذة والطلاب | نسبة استعمال الكتاب العربي للكتاب الأجنبي | عدد العناوين المتوفرة باللغة العربية التكنولوجيا | عدد العناوين المتوفرة باللغة العربية –العلوم الدقيقة– | عدد العناوين المتوفرة باللغة العربية –إجمالا | عدد العناوين الموجودة في المكتبة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 60–50 | 15–10 | 12.5 | 570 | 940 | 1510– | 12790 |

وهذا جدول آخر يبين عدد الكتب المعربة التي أصدرها الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية وكيفية توزيعها على الفروع المعربة [8]

| فنون مختلفة | العلوم والتكنولوجيا | عدد الكتب العربية الخاصة بالعلوم الإنسانية (بالتقريب) | عدد الكتب العربية بالتقريب | عدد الكتب المطبوعة منذ إنشاء الديوان إلى الآن |
|---|---|---|---|---|
| 300 | 250 | 1900 | 2450 | 4900 |

وبعد:

فإنّ تحقيق الذاتية الثقافية يتوقف على سيادة اللغة العربية في مجال التعليم العالي وتلك لعمري مهمة ورسالة وأمانة ينبغي أن يؤديها الأساتذة الجامعيون، والعلماء والباحثون، وينبغي أن يستقر في الآذهان أن ليس هناك لغة متخلفة وإنما هنالك شعب متخلف تتحمل أوزاره وتبعاته اللغة البريئة المغلوبة على أمرها.

ولقد عكست اللغة العربية المستويات الرفيعة التي بلغتها الحضارة العربية الإسلامية عندما كانت في أوجّ مجدها.

وأود أن أختم هذه الدراسة بشهادة شاهد من أهلها (من أهل أحد اللغات الأجنبية الحية) نسوقها للغاوين المترددين من أهلنا. قال براون (ج.واردج): "إنّ ما تم تعريبه يشير إلى أن العقل العربي عقل نير إيجابي، واللغة العربية لغة تتسم بشدة الانفعال والقوة، وهي غنية بالفعل بما فيها من احتمالات كامنة" .

وكان العرب الأقدمون قوما يتصفون بحدة الذهن وقوة الملاحظة.. وكان عليهم طبعا في كثير من الحالات—لنقل كتب الطب اليونانية مثلا إلى لغتهم—أن يقوموا باختراع مصطلحات جديدة مترجمة من اليونانية أو محاكية لها...

ولكن لغتهم كانت تحتوي منذ القديم على مفردات تشريحية غزيرة إلى حد ما. وكانوا فوق ذلك مولعين بتداولها في حياتهم العادية[9] .

## المراجع

[1] - قال وزير فرنسي سابق ردا على مطالبة بعض الصحافيين بقطع العلاقات السياسية مع الجزائر عندما أهمت هذه الأخيرة شركات البترول العاملة بالجزائر قال:«إن قطع العلاقات السياسية ٠ع الجزائر سيؤثر على وجود اللغة الفرنسية في هذا البلد الذي يتوقع ١ن يقلد النموذج الثقافي الفرنسي الناتج عن انتشار اللغة الفرنسية هناك.. انظر مجلة الأصالة عدد؛ 18 نوفمبر 974ا. الجزائر

[2] - انظر في هذا الموضوع (هذه هي الجزائر) توفيق أحمد العدني مكتبة النهضة المصرية ص: 141وما بعدها.. بدون تاريخ والتعليم القومي والشخصية الوطنية. د/ تركي رابح.. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1975الجزائر.

ص: 188—194.. وفنون النثر الأدبي في الجزائر د/ عبد الملك مرتاض ديوان المطبوعات الجامعية 1983–الجزائر– ص: 78–1987.

[3] - جاء في الميثاق الوطني«إن الخيار بين اللغة الوطنية—اللغة العربية—وبين لغة أجنبية أمر غير وارد البتة ولا وجعة في ذلك ولا يعكن أن يجرى النقاش بعد الأن إلا فيما يتعلق بالمحتوى والوسائل والمناهج».

[4] - التعليم القومي والشخصية الوطنية ص: 152.

[5] - المرجع السابق نفس الصفحة.

[6] - المرجع السابق عن كتاب الجزائر الثائرة ترجمة علوي الشريف وآخرين—دار الهلال 1975، ص: 128.

[7] - المسلم المعاصر؛ سبتمبر—أكتوبر 1998، العدد؛ 89.

[8] - هذه الإحصائيات تقريبية ونسبية ولا تمثل بدقة ما هو موجود بالديوان

[9] - مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد؛ 33، نوفمبر 1987.

# استعمال اللغة العربية

# من الإقرار إلى القرار

**عبد السلام الضرغام**

ليس الغرض من هذا المقال المتواضع تبيان مكانة اللّغة كعنصر جوهري في رسم الشخصية الوطنية حجر الزاوية في الهوية الوطنية وثابت من ثوابت هذا الشعب، بقدر ما يهدف المقال إلى المراحل التاريخية التي عرفتها هذه الظاهرة كظاهرة عربية بالمفهوم الواسع وظاهرة جزائرية بدرجة أخرى.

إذ اهتمت جامعة الدول العربية بهذا الموضوع منذ سنة 1961، حيث عقد أول مؤتمر للتعريب على الصعيد العربي في الرباط والذي انبثق عنه مكتب تنسيق التعريب[1] ، ثم أنعقد المؤتمر الثاني للتعريب سنة 1973 في الجزائر[2] ثم انعقد في طرابلس الغرب مؤتمر ثالث سنة 1976، جاء من ضمن توصياته: — يوصي المؤتمر بأن تكون اللّغة العربية لغة التعليم لجميع المواد في جميع المراحل والأنواع وفي كل قطر عربي

–يوصي المؤتمر الدول العربية بوضع خطة لتوجيه وسائل الإعلام العامة من صحافة وإذاعة وسينما وغيرها

—نشر اللّغة العربية الفصحى من جميع طبقات الشعب

غير أن ترسيم ظاهرة اللّغة في عقول أصحاب القرار واعتبرها بعدا حضاريا لا تنهض للأمة التي تعزله أو تعرقله أي مقوم من مقومات البقاء

ولئن خاضت غالبية الدول العربية هذه التجربة فان نوع التجربة الجزائرية تنفرد بخصوصياته وبظروفها المتميزة، لأن المدة التي غيبت فيها العربية بإرادة منفردة من طرف المستعمر أحدثت شرخا عميقا في المجتمع وانقساما بل وحتى انفصاما في شخصيته، إذ عمد المستعمر إلى إنكار الشخصية الجزائرية اصلا واستبعد انتماءها الحضاري والثقافي وعمد إلى طمس كل معالم الشخصية العربية.

وما إن وضعت حرب التحرير أوزارها حتى جاءت المواثيق المختلفة التي انتخب عليها الشعب معبرة عن رأي الأمة ككيان حضاري يستعد جذوره من عنصر الإسلام ونصوص القرآن وتعاليم الرسالة المحمدية، وفعلا فقد جاءت الإشارة في هذه المواثيق إلى (أن اللّغة العربية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري ولا يمكن فصل شخصيتنا عن اللّغة الوطنية التي تعبر عنها، ولهذا فإن تعميم استعمال اللّغة العربية وإتقانها كوسيلة علمية خلاقة يشكلان إحدى المهام الرئيسية للمجتمع الجزائري في مجال التعبير عن كل مظاهر الثقافة، وأن التعريب المرتكز على الرغبة الشعبية... بقطع النظر عن مميزاته المشروعة، فهو يشكل إجابة لأحد المطامح الأساسية التي كان يصبو إليها الشعب الجزائري اثناء الاحتلال الفرنسي..

وجاءت الدساتير المختلفة منسجمة مع تطلعات الشرائح العريضة في المجتمع ومتطابقة مع رغبات الشعب الجزائري في القنصل من الازدواجية القاتلة التي لم تسعفه على السير بوضوح في بناء الكيان الحضاري الذي يميز هذا الشعب عن كل الكيانات الأخرى غير العربية.

وشرعت الجزائر في السير نحو تطبيق هذا المبدأ في مجالات متعددة من الحياة المرتبطة بالشعب وفي مقدمتها التعليم، غير أن النصوص المستند إليها في التطبيق طالما كانت تفتقر إلى الطابع الإلزامي وتحتاج إلى الموانع الشخصي، وتنقصها المتابعة والرقابة.

جعلت المنأوئين لعملية استعمال اللّغة العربية في كافة مرافق الحياة يتذرعون بحجج وأسباب واهية متناسين الغاية السامية من وراء استكمال السيادة والاستقلال وظل التعريب يخطو خطواته البطيئة طالما لم تطل مجالات تطبيقه المؤسسات الإدارية والرسمية ثم جاء المرسوم 95.68 المؤرخ في 26 أفريل 1968 والقاضي بإجبارية معرفة اللّغة العربية على الموظفين ومن يماثلهم.

ثم القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 12 فيفري 1970 والمتضمن تحديد مستويات اللّغة العربية.

حتى قطع قانون 1991 قول كل خصيب، إذ دخل النص التشريعي المتضمن تعميم استعمال اللّغة العربية حيزا لتطبيق إبتداءا من 16 جانفي 1991 وهو التاريخ الذي تم نشره في الجديدة الرسمية.

هذا القانون يحتوي على 41 مادة موزعة على:

أحكام هامّة — مجالات التطبيق هيئات التنفيذ - أحكام جزائية - أحكام انتقالية - أحكام نهائية.

ولقد أشارت المادة الثانية إلى اعتبار اللّغة مقوم من مقومات الشخصية الوطنية وثابت من ثوابت الأمة مما يجعل هذا النص تكرارا لمبدأ دستوري من جهة ومن النظام العام الذي لا يمكن أن يقدح في مشروعيته أي نص أو تشريع

-وقد وجهت المادة الرابعة الخطاب إلى جميع الإدارات العمومية والهيئات والمؤسسات والجمعيات على اختلاف انواعها وألزمتها باستعمال اللّغة العربية وحدها في الاتصال والتسيير الإداري والمالي والتقني والفني.

وقد استثنت المادة الرابعة في مجال التطبيق بعض القضايا إما لارتباطها بطرق أجنبية كالملتقيات الدولية أو لعلاقتها بمواد مستوردة من الخارج كما جاء ذلك في نص الفقرة الأولى من المادة 9 والفقرة الأولى من المادة 19 والمادة 21 المتعلقة بالأدوية والمنتجات الكيمياوية

ويلاحظ من خلال الفصل الثالث المتعلق بهيئات التنفيذ والمتابعة والدعم أن هيئة وطنية تنفيذية تابعة لرئاسة الحكومة هي المكلفة بالسهر على متابعة وتطبيق هذا القانون.

كما أنشأت المادة 96 المجلس الأعلى اللّغة العربية. وهي هيئة تابعة لرئاسة الجمهورية تحدد وظيفتها نصوص تنظيمية بهدف إعطاء بعد تنفيذي لبنود القانون

ومع أن النص القانوني وفقا للمادة 36 قد جاء مبينا للمدة الزمنية اللازمة للتصنيف وهي سنة 92 إلا ان الملاحظ في الحياة العملية وفي كثير من جهات الوطن على مختلف المؤسسات والإدارات غض الطرف عن كثير من النصوص علما بأنه لا يحنر أحد بجهله القانون

وانطلاقا من أن القاعدة القانونية عامة – مجردة — وملزمة ويترتب عليها جزاء ومن باب أولى النص التشريعي الذي يأت بعد النص الدستور، فإن أرض الواقع تحتاج إلى كثير من الإجراءات بالنظر إلى أن القاعدة المتعارف عليها والمدرجة تحت باب السلطة الرئاسية في القانون الإداري تجعل من المرؤوس خاضعا في قراراته وتصرفاته لرئيسه، مما يجعل توضيح من تقع عليه المسؤولية في هذا الشأن، مما يستدعي أرفاق تعليمات رئاسية إلى كل الوزراء والمدراء العامون والسفراء والقناصلة والولاة وكل المسؤولين في موقع قرارهم لاسيما الموظفون السامون في الدولة.

كما يلاحظ على العقوبات الجزائية التي جاءتا في الفصل الرابع بعض الضعف إذ أن الفقرة 2 من المادة 29 تجعل من الجهة المختصة خصما وحكما ولا تحدد بدقة نوع العفوية سيما والامر يتعلق بقانون سيادي، كما تجعل الغرامات المالية والجزاءات التأديبية محاور أساسية في العقوبة مما يجعل هذه الجزاءات غير رادعة ويفقح السبيل أمام تمييع قضية استعمال اللّغة العربية.

إن الاستخفاف بالنصوص التي تضمنها هذا القانون، بغض النظر عن خطورته فهو يتم عن تدني المستوى الأخلاقي لكل هن تسول له نفسه التقاعس أو التردد في ترجمة القانون إلى واقع، لأن هذا النص بالذات له بعده السيادي والحضاري والشخصي، ولا يعقل أن نحدث بإرادتنا شرخا أو خدشا في مكسب مهره مليون ونصف مليون شهيد.

من هذه الزاوية يمكننا أن نعطي لهذا التشريع مدلوله الحقيقي وبعده الحضاري فنستكمل ما تبقى من التنفيذ وننشر الوعي والحس المدنيين للتعجيل بطي هذه الصفحة التي كتبت بدماء ودموع الشهداء والتي بها نكون أو لا نكون في مصاف الأمم .

**الهوامش:**

[1] – هذا المكتب لازال قائما بإعماله حتى الآن في الرباط ولكن بصورة بطيئة ومحتشمة.

[2] - هذا المؤتمر لم يحدد الآليات التي تعكف على وضع المحتوى موضع التطبيق، وظل شبه مجمد إلى غاية 1976.

# العربية بين الواقع والطموح

**الدكتور /محمد كشود**

*وزير العلاقات مع البرلمان*

يسعدني تلبية لرغبة المجلس الأعلى للّغة العربية أن أساهم بمقالة متواضعة بمناسبة إصدار العدد الأول من مجلته، التي نرجو لها كل التقدم والازدهار، ودوام معالجة القضايا الوطنية، ولاسيما ما يهتم بالعربية، باعتبارها اللّغة الوطنية والرسمية طبقا للدستور الجزائري.

أود في البداية، أن أشير إلى أن الحديث عن موضوع العربية أو اللسان العربي – بالمفهوم الحديث – حديث ذو شجون ليس في الجزائر فحسب، بل في جميع الدول العربية، وأن الدخول في تفاصيله قد يؤدي بنا إلى الإسهاب، الذي قد يخرجنا عن مضمون هذه المقالة.

كما أنّ الاختصار فيه يفقدنا بعض الحقائق التي كان لزاما علينا التطرق إليها تعميما للفائدة.

وعلى هذا الأساس سأخصص معظم أرائي في هذا الموضوع لمكانة اللّغة وارتباطها بالمحيط العملي في مختلف الدول العربية ومن بينها الجزائر بطبيعة الحال.

بالنسبة للجزائر — لاشك وأن هناك نية متوفرة لدى الدولة في تطبيق تعميم استعمال اللّغة العربية في الميدان العملي وذلك منذ الاستقلال.

تلك النيّة التي تتجلى في الوثائق المعبرة عن ذلك من تعليمات، ومناشير، ومقررات، وقرارات، إلى المراسيم التنفيذية، والرئاسية، والقوانين، وجميع دساتير الجزائر ومواثيقها. كلها تحث على ضرورة جعل اللّغة العربية في المجال العملي الميداني فعليّا، وذلك باعتبارها إحدى المقومات الأساسية للأمة الجزائرية. وهذا لا يعني تهميش اللغات الأجنبية الأخرى التي تعد من بين اهتمامات الشعب الجزائري للتفتح على العالم. بل العكس لقد أصبحت تحظى بعناية كبيرة منذ الاستقلال.

ولذا، فإن إيهام الغير بأن اللّغة العربية في صراع مع لغات أجنبية إن هو إلا آراء مردود عليها لا تستند إلى أية حقيقة، كما أن القول أيضا بأن اللّغة العربية هشت اللهجات

الجزائرية المختلفة، لا يعدو أن يكون إلا إدعاء وافتراء عليها، لأنها كانت دائما السند القوي للّهجات، وقد عايشتها عن كثب وبدعم، وتاريخ الجزائر الحديث يثبت ذلك.

أما سبب تهميش اللّغة العربية في حد ذاتها والإحالة دون تمكنها من مواكبة التطور مع الأحداث فذلك يعود في اعتقادنا، إلى أسباب عديدة.

ومن هذه الأسباب، السياج الذي أقامه الاستعمار الفرنسي حولها منذ أن وطئت أقدامه بلادنا، حيث راح يعمل على طمس ثقافتنا، ومحاولة محوها من الأساس بغية الوصول إلى غرضه ألا وهو القضاء على الهوية الوطنية بالدرجة الأولى، ومسخ الشعب الجزائري وذلك عن طريق:

1- محاولة تجهيل الشعب الجزائري: من أجل فقدان ذاكرته، ومحو آثار هويته. حتى يعمه الجهل في المرحلة الأولى، ليلقنه تعاليمه الجديدة في المرحلة الثانية، وبالتالي يصبح يعيش بهوية جديد.ة غير هويته، ونكران ذاته.

2- التهجير: عمل الاستعمار على تهجير أفراد الشعب. وذلك من أجل فك الروابط الأسرية التي كان يمتاز بها الشعب الجزائري. حتى يجعله في منأى عن التوافق والتوحيد والتناصر والتكتل ويستولي على أملاك المواطنين وأراضيهم لتوزع على المستوطنين الغرباء اللذين جيء بهم من مختلف أوطان أوروبا.

**3- التفقير**: عمل الاستعمار على تجويع الشعب، وجعله يجري وراء قوت عائلاته بشق الأنفس، حتى لا يترك له فرصة التلاحم، والتآزر، والتماسك.

**4- الوشاية بين المواطنين**: استغل الاستعمار طيبة الشعب الجزائري وتمسكه بأصالته، والحفاظ عليها، مما أدى به إلى تحريف وتشويه بعض المفاهيم التي تعد من رصيد الشعب والتي يعتبرها، مثل: القبائلي، البربري، الشاوي، وعمل على ترسيخها على أساس أنها عوامل

تفرقة بعيدة عن مدلولاتها الحقيقية كمفهوم قبائلي الذي يعني في اللّغة الانتماء إلى القبيلة التي تجمع أفرادها رابطة الدم من جد واحد. مصداقا لقوله تعالى: "إنّا خلقناكم من نكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم" صدق الله العظيم.

أما كلمة "شاوية" فهي كلمة عربية فصحى تعني المكان الذي ينتج المحاصيل الزراعية بالوفرة، ولذا يمكن أن نطلق على أي إنسان إذا كان يسكن مكانا معروفا عليه بشساعة مساحته، ووفرة محاصيله، بأنّه شاو.

كما قد تكون مشتقة من كلمة شياه، ومشاية، والمهتمون بها هم شاوية.

وتعني كلمة بربري الأجنبي وقد جاءت على لسان اليونان عندما غزاهم الرومان. قالوا "نحن يوانيون أهل حضارة وأنتم أي الرومان برابرة أجنبيون عن حضارتنا. قبل أن يتبناها الرومان، ويوصف بها الوندال وسكان شمال أفريقيا فيما بعد.

وما دامت الكلمة تتغير حسب تغير الأحوال والظروف والحضارات- فإن كلمة بربري التي كانت تعني "الأجنبي" تغيرت هي الأخرى وتطورت إلى مفاهيم جديدة.

و قال بعض المؤرخين العرب بأن كلمة بربر تعني اسم جد قطن المغرب العربي قديما ويعود إلى الجد يافث بن نوح.

ومهما يكن من أمر فإن هذا المفهوم، وبغض النظر عن معناه الحقيقي، فإنه استخدم من طرف الاستعمار لغرض التفرقة والوشاية.

ومع كل هذه المحاولات بمختلف أنواعها صدمت الجزائر متمسكة بعاداتها، وبلهجاتها، وبلغتها العربية.

لماذا نقول؛ نحن ننتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية؟

قبل كل شيء لابد أن نشير إلى أن الحضارة لا تعني العرق. وفي اعتقادي ليس هناك من يدعي بأنه ينتمي إلى جنس معين عن طريق العرق وذلك لأسباب الانصهار. والانضمام الذي تم بين الشعوب منذ القدم.

فحتى العرب في حد ذاتهم لم يبق عرقهم بمنأى عن الاندثار بل التاريخ أثبت لنا بأن هناك عرب عاربة وهذه قد أبيدت، وعرب "مستعربة" وهذه التي منها محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم— أي أنه من العرب المستعربة التي مازالت باقية.

وعلى هذا الأساس أجاب رسول الله —صلى الله عليه وسلم- عندما سئل ذات يوم عمن هم العرب؟ فأجاب بما معناه أن كل من يتبنى اللّغة العربية هو عربي.

بمعنى هذا أن الحضارة هي عبارة عن معطيات الحياة المتدرجة، فهي:

العادات — تنتقل إلى التقاليد— تنتقل إلى الأعراف — تنتقل إلى الثقافة — فتنتقل بدورها إلى الحضارة.

فالانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية ليس معناه الانتماء إلى العرق، ولكن الانتماء إلى التدرجات السالفة الذكر التي تبناها أسلافنا، وأكدها أجدادنا، وضحى من أجلها شهداؤنا، وثبتها بصفة قطعية دستور 1996. وفيما يتعلق باختيار الانتماء، فذلك يعود إلى الضرورة الملحة لاختيار حضارة معينة - فقد كانت هناك حضارات آنذاك تعد تقريبا على أصابع اليد وهي: الحضارة الفرعونية، والحضارة الهندية، والحضارة الإغريقية، والحضارة الرومانية المسيحية، والحضارة العربية الإسلامية، وبما أن من دين العناصر الأساسية للحضارات، اللّغة، وأن أجدادنا اختاروا اللّغة العربية، فكان لابد علينا أن نكون داخل خانة من هذه الخانات، وبهذه الكيفية تم اختيار الانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية من طرف أسلافنا.

**لماذا تعد اللّغة العربية هي اللّغة الوطنية والرسمية في الجزائر؟**

في الحقيقة، الإجابة على هذا السؤال يعد من البديهيات، وتفسير ذلك كمن يريد أن يفسر الماء بالماء، باعتبار أن لغة الشعب الجزائري هي العربية منذ أربعة عشر. (14) قرنا، بالإضافة إلى خصائص الدولة الجزائرية كدولة موحدة وبسيطة. حيث يوجد في التاريخ المعاصر نوعان من الدول وهما:

أ-الدولة الموحدة البسيطة-مثل الجزائر، والدول العربية الأخرى، ومعظم دول العالم.

ب-الدولة المركبة سواء كانت فدرالية أو كنفدرالية كما هو الحال بالنسبة للاتحاد السوفياتي سابقا أو سويسرا، أو بلجيكا، أو أمريكا، إلى غير ذلك. فبالنسبة للدولة الموحدة البسيطة: مثل الجزائر، أو فرنسا، أو الدول العربية، فلابد أن تتوفر فيها شروط وهي:

1- الوحدة الإقليمية.

2- الوحدة اللغوية.

هذه الشروط الثلاثية تجمعها المقومات الأساسية للمجتمع، وهي: الدين – اللغة – الأمالي – الأمان – الأهداف المشتركة – التاريخ المشترك – والحدود المشتركة.

بالنسبة للدول المركبة لا تشترط توفير العناصر الثلاثة المذكورة سالفا.

وبما أن الجزائر تتوفر على الشروط المخصصة للدول البسيطة الموحدة، فكان عليها أن تعلن للملا عن لغتها الوطنية الرسمية.

وليس معنى هذا أيضا أنّ الشعوب التي تتبنى لغة وطنية رسميه بأنها تنتمي بالضرورة إلى عرق أصحاب هذه اللغة، بل فقط لأنها هي اللغة السائدة عند الشعب بأكمله وهي التي يتبناها وهي عامل من عوامل وحدته، وسيادته، وبناء حضارته.

خذ لذلك، مثال فرنسا تتكون من الفيكينك، والسالت، والغال. وأعراق أخرى، ولغاتها العرقية هي لغات سكانها الأصليين التي أصبحت فيما بعد لهجات، أما اللغة الفرنسية فهي لغة "الإفرنجé وهي القبيلة الجرمانية الأصل التي جاءت تقطن

ضواحي باريس قديما، حيث تمكنت من فرض لغتها عن طريق "فرنسوا الأول " الذي رسّمها في القرن الخامس عشر 15.

إذ أصبحت اللّغة الفرنسية هي اللّغة الوطنية والرسمية للفرنسيين وأصبحت تسمى باسمهم.

ولا أعتقد أن هناك من يحتج على هذه اللّغة التي أصبحت لغة أجداده منذ خمسة– أو ستة قرون مضت، فما بالك باللّغة العربية التي أصبحت لغة الجزائريين منذ أربعة عشر قرنا؟

**تهم تكشفها حقائق:**

يتهم البعض اللّغة العربية بهتانا على أنها همّشت لغات، أو لهجا.ت مختلف الجهات في الجزائر.

وهذا غير صحيح، لأن اللّغة العربية لم تكن في يوم من الأيام عائقا في وجه اللهجات الأخرى بل بالعكس، فقد شجعت هذه اللهجات على البقاء، وتعايشت معها في ظلّ المودة ، والتآزر، بدون أية خلفيات منذ أمد بعيد.

يرى البعض على أن اللّغة العربية متخلفة باعتبارها لغة الأدب والشعر، بينما اللّغة الفرنسية لغة العلم والتكنولوجيا، ويدعو إلى تبني اللّغة الفرنسية مكانها.

والحقيقة أن التخلف ليس في اللّغة بقدر ما هو في الفكر عند الإنسان، فاللغة هي وسيلة للاتصال ونقل المعلومات، ومتى كان الحكم على اللّغة بالتخلف إذا ما كانت ثرية في آدابها.

فاللّغة في اعتقادنا كالإنسان مركبة من روح ومادة وتطورها يدخل مسارها في الأوساط الحضارية.

فالذي يخترع أداة تكنولوجية ما، له أن يسميها بما يشاء، والذي يأخذ بهذه الأداة أن يحترم تسميتها كما سماها مخترعها.

ففي مجال تقييم صلاحية اللغات لاستعمال المعلوماتية نجد بأن اللّغة العربية تأتي في الدرجة الأولى، لأنها تمتاز بخاصية الاشتقاق، وبغنى مفرداتها الذي تفتقره اللغات الأخرى

وقد جاء على لسان معظم الباحثين في مجال المعلوماتية بأن اللّغة العربية المؤهلة أكثر من غيرها لاحتواء هذا العلم، حيث قال البعض: وكأن المعلوماتية أنشئت من أجل أن تستعمل باللّغة العربية، إذن عيب التخلف ليس فيها بل في مستخدميها.

كما أن علينا أن نفرق ما بين إمكانية دراسة التكنولوجيا بلغات أجنبية، وما مكننا من ذلك باللّغة العربية. فهذا يعود إلى أصحاب الاختراع اللذين تمكنوا أن يخترعوا د؛ ، اللغات، ولم يتمكن اللذين يستخدمون اللّغة العربية من ذلك- والعيب في هذه الحالة ليس في اللّغة في حدّ ذاتها، بقدر ما هو عيب الأفراد الباحثين.

لو ذهبنا في نفس الطرح وحاولنا مقارنة اللغات على أساس الاختراع، والقدرة على التعبير، والتعامل بها.

فأين هي مكانة اللّغة الصينية، واليابانية، ونحن نعلم أن حروف أبجدياتها ؛ إذ تحفظ لكثرتها، بينما تعد من اللغات التي تتحكم في التكنولوجيا، وكنا بالنسبة للعبرية التي كانت ميتة إلى عهد قريب. دعنا نضرب مثلا بالمخترع نيوتن هذا الرجل الذي استطاع إدخال نظرية علمية جديدة وهي: نظرية الجاذبية. هل كانت نظريته نتيجة غزارة علم للغة المتحصل عليها، في –القرون الوسطى– لقد لفت انتباهه وهو نائم تحت شجرة تفاح سقوط حبة عليه، فتأملها جدا ثم تساءل لماذا سقطت هذه التفاحة نحو الأرض، ولم تصعد نحو الأعلى؟ ومن هنا اخترع نظرية الجاذبية.

هذا الاختراع كان نتيجة نبوغه وتأملاته وبحوثه الدؤوبة حتى فسح المجال من خلال تساؤلاته وكانت النتيجة ما هي عليه الآن نظريته.

إن اللذين يتذرعون وراء اللّغة الفرنسية بأنّا فرضت وجودها منذ دخول الاستعمار بلادنا إلى اليوم. ولذا يجب إبقاء التعامل بها ريثما تتوفر شروط تعميم استعمال اللّغة العربية.

إنما يدعون دعاء بمثابة حق أريد به باطل، بحجة أن اللّغة الفرنسية لم يشرع في تدريسها للجزائريين إلا بعد مرور حوالي 70سنة من دخول الاستدمار، وذلك للأسباب السالفة الذكر من جهة، وأن الشعب الجزائر لم يقبل تعلمها خوفا من تهميش لغته العربية والقضاء عليها، وحتى يتفرغ للكفاح المسلح في هذه المدة من جهة أخرى.

بعد أن استقرت نسبيا وضعية الاستدمار في بلادنا شرع في تعليم اللغة، الفرنسية للمستوطنين وهم من مختلف أجناس أوروبا اللذين كانوا يجهلون بدورهم هذه اللّغة. وحرّمها على الشعب الجزائري نسبيا ليبقيه شبه أمي مع تحريم تعلم اللّغة العربية حيث جعل منها لغة أجنبية، فكانت النتيجة سنة 1962حوالي 97.5% من الشعب. الجزائري أمي— والباقي أي 2.5% يوجد من بينها 99% دون الشهادة الابتدائية. إذا إن القول: بأن اللّغة الفرنسية فرضت وجودها غير صحيح، لأن الشعب الجزائري لم يكن متعلما هذه اللّغة بالقدر الكافي

إلا بعد الحصول على الاستقلال، حيث خدمها في هذه المدة أكثر مما خدمتها فرنسا في إفريقيا جمعاء منذ 1830 إلى 1962.

يتهم الشعب الجزائري بأنه لا يتحكم في اللّغة العربية إذ لابد من إضافة ا للإبقاء على الفرنسية ريثما تتوفر الشروط المطلوبة للتغيير.

ويعدّ هذا الاتهام باطل: فبعملية حسابية بسيطة، وحسب الإحصائيات الأخيرة، فإن عدد سكان الجزائر يقارب 30 مليون نسمة، 75% منهم أي 22 مليون لا تزيد أعمارهم عن 35سنة.

وبما أن اللّغة العربية أدرجت بصفة إجبارية في التعليم منذ الاستقلال أي مدة 37 سنة، فهذا يعني أن أكثر من 22 مليون يحسنون اللّغة العربية، فأين هو المشكل إذن؟

**المجهودات التي بذلتها الدولة في تعميم اللّغة العربية باعتبارها لغة وطنية ورسمية؟**

لاشك وأن الجزائر منذ أن نالت استقلالها، تبنت عملية تعميم استعمال اللغة العربية في مدارسها. ونصت عليها في جميع دساتيرها منن 1963 باعتبارها اللّغة الوطنية الرسمية.

وابتداء من سنة 1967 أخذت تحث على ضرورة العمل بها في الإدارة، فقننت نصوصا تشريعية متفاوتة، كما أشرنا من قبل.

وما كان ينقص ذلك إلا عملية تطبيق هذه النصوص التشريعية على الواقع العملي.

وإذا تمعنا في الأسباب نجد منها ما هو منطقي، ومنها ما يعد بمثابة تعنت، واستخفاف من بعض الحاقدين أو الجاهلين بمكانة اللّغة الوطنية عند الشعب صاحب السيادة.

**كيف كان تعامل الإدارة مع اللّغة الوطنية في ظل الاستقلال؟**

فبعد 1962 ذهب المستدمر وترك من ورائه الجزائريين اللذين كانوا يشتغلون في الإدارة الفرنسية بمختلف مستوياتهم، هؤلاء البقايا كانوا قد تصرفوا في إصدار. نصوص تشريعية حسب ما أملت عليهم تطلعاتهم ومعارفهم، وفي بعض الأحيان وجهاتهم، المستمدة من النصوص المختلفة الفرنسية دون مراعاة ملاءمتها مع وقع الشعب الجزائري وطموحاته.

ومع ذلك لم يكن هناك خيار للاستغناء عن التجربة التي اكتسبها هؤلاء ال٠موظفون من الإدارة الفرنسية، مما أثر إيجابا وسلبا فيما بعد.

فبالنسبة للإيجابيات تمكنت الإدارة من خلالهم من مواصلة مهامها، والتحكم في مقتضيات التطور بمعالمه الجديدة، وجنبتنا المتعاملين الأجانب في هذا الميدان كما حصل في التعليم.

أما بالنسبة للسلبيات، فلم تكن هناك نية حسنة في إدخال اللّغة العربية ميدان التسيير، كما لم يتمكنوا من التخلص من البيروقراطية التي عرفتها الإدارة الفرنسية في الماضي، قبل أن تتخلص منها فيما بعد، وذلك بالتعنت، والأنانية، والنرجسية، أو قلة المعرفة على أضعف الإيمان، مما أدى بهم إلى التقليد الأعمى كما أسلفت.

وعلى هذا لاحظنا أن هناك تقصير في إدخال طرق حديثة في سير الإدارة لتتماشى مع الواقع الجديد، كما أن إدخال اللّغة الوطنية في الإدارة لتحتل مكانتها الطبيعية، لم يكن مرغوب فيه، وبدون مبرر من جهات مختلفة لاسيما أولئك اللذين ناصبوا عداءا جهرا للغة العربية، مما أثر عليها سلبا في مواكبة عصر التطور.

كيف عالجت الجزائر مجال التعليم بعد الاستقلال؟

لم تكن النسبة الضئيلة التي كانت تحسن اللّغة العربية كافية سنة 1962 لتأطير المدارس الجزائرية، مما جعل البلاد تلجأ إلى الأساتذة المعاونين بمختلف مستوياتهم،

وتوجهاتهم، من بلدان عديدة، رغم ما قد يحمله ذلك من خطر مختلف الايديولوجيات الموجهة إلى أبنائنا.

ومع ذلك فإن الشعب الجزائري تمكن في هذه المدة القصيرة من تخطى مرادا كبيرة، إن النتائج المتحصل عليها لخير دليل على ذلك، بالرغم من أن مدة هذه السنين في حياة الشعوب لا تكاد تذكر.

يتذرع البعض بالموقع الجغرافي للجزائر، ويعتقد أن اكتساب لغة مثل الفرنسية، تعد من الغنائم التي لابد من الحفاظ عليها لضمان بقائنا، ضمن إطار المسار الحضاري، ومسايرة العولمة.

فعندما نسمع مثل هذا التذرع نتساءل وبكل دهشة، من منّ الجزائريين لا يريد أن يتعلم لغات عديدة وشعبنا تواق إلى دنا أكثر من غيره؟ من لا يريد أن يتكيف مع الحضارات، والعولمة في مختلف مناهجها؟ هل من الجزائريين من يريد أن يبقى متقوقعا على لغة واحدة ولو حتى على حساب لغته الرسمية؟ لا أعتقد أن فيه من يدعو إلى ذلك.

إن الجزائري الطموح بطبعه يريد أن يستعيد شخصيته عن طريق تعلم لغته ( العمل بها في المجالات التي لا تتطلب إدخال لغات أجنبية، وصدق الأستاذ المرحوم مولود قاسم عندما تساءل أمام هؤلاء المتذرعين بحجج واهية. فهل الكتابة باللّغة الفرنسية في القبور تدخل في عامل التكنولوجيا؟ نترك هنا الإجابة لمن يريد.

كما أن اللّغة تبقى متخلفة بالمفهوم المراد من هؤلاء المدعين إذا لم تستخدم ولم يتعامل بها دون أدنى سبب، أو التقوقع عليها دون مقارنتها باللغات الأخرى.

ويبقى الشعب الجزائري يطمح إلى تعلم لغات عديدة، ولكن قبل ذلك لابد. أن نمنح له الفرصة ليتعلم لغته الوطنية والرسمية ليتحصن بها مبدئيا ثم ليتمكن من التعامل بها،

والتخاطب بها، ولم لا الاختراع بها. وهذا لا يمنع أن ندخل لغات أجنبية أخرى لتكون المساعد الأساسي للمزيد في بحوثه وتطلعاته، ولهذا نرى من جانبنا:

1- تتطلب السنوات الابتدائية التحكم في اللّغة الوطنية بصفة ثرية وقوية، ومفيدة، لتأمين بناء الشخصية الوطنية.

2- إن الطفل لا يستطيع أن يستوعب ازدواجية اللّغة في سن مبكر، باستثناء بعض النبغاء، ولا أعتقد أنه يوجد من يريد أن يضحي بأجيال من أجل أقلية القلة؛ تف طيا وراء الطموح لتعلم لغات عديدة.

3- لقد جربنا بعد نيل الاستقلال عندما حاولنا تعليم أبنائنا ازدواجية اللغة في سن مبكر، فكانت النتيجة إما التفوق في لغة واحدة وذلك في أحسن الأحوال، وقد كانت اللّغة الفرنسية هي الأوفر حظا لما كان لها من إمكانيات، أو الإخفاق التام في عدم التمكن من التحكم الجيّد في أي من اللّغتين

4- هناك تجارب دول أخذت بطريقة ازدواجية اللّغة في سن مبكر- ومن بينها الجزائر- فكانت النتيجة العدول عن هذا الاختيار، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ضرورة تفوق اللّغة الوطنية، كما أخذت دول بازدواجية اللّغة بعد تعدي تلامذتها السنوات الابتدائية فكانت نتائجها مرضية.

من هذه المعطيات علينا أت نناقش بكل موضوعية الأسباب التي حالت دون منح اللّغة العربية مكانتها الطبيعية في المجتمعات العربية بما فيها الجزائر، وما هي التصورات التي نراها للخروج من هذه الآزمة النفسية؟

**مآخذ عن مكانة اللّغة العربية في عقر دارها:**

1- إن معظم الدول العربية إن لم تكن كلها، هي عبارة عن سوق استهلاك لمنتجات أجنبية، من مواد غذائية، وتكنولوجيا، مما جعلها تتعلم لغاتها للتعامل بها، وهو أمر محبذ للوقوف عند هذا الحد.

لقد أدى هذا ببعض الدول العربية إلى أن تفرض اللغات الأجنبية لأبنائها وفي مدارسها ابتداء من السنة الأولى وذلك بحجة مسايرة العولمة، والتحكم في التكنولوجيا، وعدم التقوقع على النفس. والحقيقة أنها بقية بعيدة عن التحكم في التكنولوجيا بقدر ما هي أسيرة للمنتجات الأوروبية.

ولا يعني هذا أنّنا ندعو لمقاطعة تعلم اللغات الأجنبية، بل العكس لأن ذلك في عصرنا الحاضر من المسلّمات، وكل ما هنالك هو أن تكون اللّغة الأجنبية مساعدة للمزيد من العلوم لا أن تصبح منافسة للغة الوطنية.

2- لقد كانت بعض الدول العربية متقدمة في العلوم باللّغة العربية، قبل أن تتراجع عن ذلك، وتفسح المجال للغات الأجنبية، وهذا يعود في اعتقادنا إلى المحيط الفكري والثقافي المتردي وغير الملائم للباحث العربي مما أدى به للهجرة إلى أوروبا للمساهمة في الاختراعات باللغات الأوروبية على حساب اللّغة العربية، وهكذا أصبحت البلدان العربية تزود البلدان الأوروبية بنبغاء أبنائها من جهة إلى جانب تحمل نفقات تكوينهم الباهظة من جهة أخرى.

3- الإعلام العربي لا يلعب دوره الكامل في إبراز معالم اللّغة العربية، بل يترك، المجال للإعلام الغربي بإنتاجاته المختلفة، والهادفة، وذات الطابع الإغرائي.

4- عدم الاهتمام الكافي بالترجمة، التي تعد إحدى الأدوات الناجعة في ميدان، الاطلاع على العلوم، والتكنولوجيا، والتحكم فيها.

5- إصدار نصوص خاصة بالتعريب وعدم متابعة تطبيقها في الميدان.

هذه بعض النقائص أكون قد نكرت منها القليل من الكثير.

**كيف يمكننا استدراك الوشع في هذه الحالة:**

1- لابد أن يكون القرار السياسي للدول العربية في هذا المجال حازما غير قابل للتنازل لأن القضية قضية وجود أو لا وجود.

2- يجب على بعض الدول العربية التي تحتضن الجامعات الانكليزية، أو الفرنسية، في بلدانها، أن لا تترك لها المجال الأول، بل تحاول أن توظفها لصالحها ومصالحها، وتنافسها وتكيفها مع الحقائق المعيشة، حتى تعود عليها بالفائدة وليس العكس.

3- يجب التخلص من عقدة النوايا تجمعنا، والوقائع تفرقنا في مجال الاهتمام باللّغة، باعتبارها إحدى عوامل الشخصية الوطنية للمحافظة على الذات.

4- الاعتناء الكامل بالترجمة وتوسيع مجالها إلى مختلف العلوم والتكنولوجيا.

5- ضرورة توحيد المصطلحات العربية وتحديدها، لآن تشعبها كان إحدى السلبيات في عدم التحكم فيها.

6- لابد من العودة إلى الإنتاج في مجال العلوم وباللّغة الوطنية، ولا نكتفي بمدحها فقط من خلال دغدغة العواطف، والاكتفاء بالتبعية.

إن اللّغة الوطنية والرسمية عند جميع الشعوب تعد من المقومات الأساسية. لابد من الحفاظ عليها بدون خجل، ولا مركب نقص كما يحاول البعض إيهامنا على أن المهم هو النتيجة بغض النظر عن الوسيلة، إن كانت اللّغة تعد حقا وسيلة في مفهوم الشخصية الوطنية؟

إن تضحيات الشهداء كانت من أجل استرجاع حرية وسيادة البلاد، وهي تكمن في مقوماتها الأساسية ومن بينها اللّغة الوطنية والرسمية، علينا الوفاء لهم.

لقد أصاب "فختة" الألماني الذي مات وهو ينادي بإحياء لغته، التي حاولت لغة نابليون غزوها، ففي خطابه إلى الآمة الألمانية. يعلن بان اللّغة الألمانية هي اللّغة الوديدة القادرة على الارتقاء بالشعب الألماني..

وكان يدعو الشعب الألماني إلى التشبث بلغته حيث قال ذات يوم: " إن اللذين يتمادون في نكران الذات عن طريق إهمال لغتهم محكوم عليهم بالفناء الدائم"'. إن اللذين يتشككون في قدرة اللّغة العربية على مواكبتها العصر لاشك هم: كسلاء الفكر، وخاملو العقل، أو حاقدون، جاهلون، لا يؤمنون بذواتهم.

لقد كان كفاح الشعب الجزائري يرتكز أساسا على الإيمان بالمقومات الوطنية، ومن بينها اللّغة باعتبارها إحدى عناصرها.

إن مط١لب إعادة الاعتبار للغة العربية، هي من أجل اكتمال الشخصية الوطنية. ولا يعني هذا أنّنا نريد التقوقع على لغتنا فقط، بل العكس إن الشعب الجزائري طموح لأن يتفتح على العالم.

وفي الختام أقول: لقد حاولت من خلال هذا الطرح أن أكون موضوعيا بعيدا عن استخدام العاطفة بمفردها لأن ذلك لا يخدم بلادنا، لاسيما ونحن نعيش في موقع جغرافي يتطلب منا أن نكون متطلعين للعالم الخارجي، ومطلعين على أحواله كما يفعل هو ذلك، مع الحفاظ على ثقافتنا الوطنية.

كما حاولت أن أوضح بأنه ليس هناك صراع بين اللّغة العربية والفرنسية، بل الصراع يكمن بين المنتمين فكريا لحضارة فرنسا، والداعين إلى إبقاء اللّغة الفرنسية هي السائدة، وبين المدافعين عن الحضارة العربية الإسلامية، والمطالبة بإعادة الاعتبار للغة الوطنية

بوصفها إحدى عوامل السيادة.

ومهما يكن فإن التعقل، والموضوعية، والمنطق، والروح الوطنية هي التي تتغلب في الأخير، وسوف ينتهي الصراع بتغلب الحق على الباطل. وصدق الشاعر حافظ إبراهيم الذي قال:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي        وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني        عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي        رجالا وأكفا ء وأدت بناتي
أنا البحر في أحشائه الدّر كامن        فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

# قوانين

# قانون رقم 91 – 05 يتضمن تعميم استعمال اللّغة العربية

قانون رقم91-٠٥٠ 05 مؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق16 يناير سنة 1991 يتضمن تعميم استعمال اللّغة العربية.

ان رئيس الجمهورية،

بناء على الدستور ولاسيما المواد 3، 58، 80، 115، 117، و155 منه

وبمقتضى الامر رقم 66-154 المؤرخ في 18 صقر عام 1386 الموافق8 يونيو سنة 1966 والمتضمن قانون الاجراءات المدنية، المعدل والمتمم،

وبمقتضى الأمر رقم 66—115 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق في 8 يونيو سنة 1966 والمتضمن قانون الاجراءات الجزائية، المعدل والمتمم،

وبمقتضى الأمر رقم 66—156 المؤرخ في 18 صغر عام 1386 الموافق يونيو سنة 1966 والمتضمن قانون العقوبات، المعدل والمتمم،

وبمقتضى الأمر رقم 68—92 المؤرخ في 28 محرم عام 1388 الموافق 26 أبريل سنة 1968 والمتضمن إجبارية معرفة اللّغة الوطنية على الموظفين ومن يماثلهم، المتمم،

وبمقتضى الأمر رقم 70-20 المؤرخ في 13 ذي الحجة عام 1389 الموافق 19 فبراير سنة 1970 والمتضمن وجوب استعمال اللّغة العربية في تحرير جميع وثائق الحالة المدنية،

وبمقتضى الأمر رقم 73—55 المؤرخ في 4 رمضان عام 1393 الموافق أول أكتوبر سنة 1973 والمتضمن تعريب الأختام الوطنية،

وبمقتضى : الامر رقم 75—58 المؤرخ في 20 رمضان عام 1395 الموافق 26 سبتمبر سنة 1975 والمتضمن القانون المدني، المعدل والمتمم،

21— وبمقتضى الأمر رقم 76–35 المؤرخ في 16 ربيع الثاني عام 1396 الموافق 16 أبريل سنة 1976 والمتضمن تنظيم التربية والتكوين ولاسيما المادة 8 منه،

22— وبمقتضى القانون رقم 84—05 المؤرخ في 4 ربيع الثاني عام 1404 الموافق 7 يناير سنة 1984 والمتضمن تخطيط مجموعة الدارسين في المنظومة التربوية،

23— وبمقتضى القانون رقم 86—10 المؤرخ في 22 جمادى الاولى عام 1408 الموافق 12 يناير سنة 1988 والمتضمن إنشاء المجمع الجزائري للغة العربية،

24— وبمقتضى القانون وقم 88–27 المؤرخ في 28 ذي القعدة عام 1408 الموافق 12 يوليو سنة 1988 والمتضمن تنظيم التوثيق، ولاسيما المادة 18 منه،

25— وبمقتضى القانون رقم 89—11 المؤرخ في 2 ذي الحجة عام 1409 الموافق 5 يوليو سنة 1989 والمتعلق بالجمعيات ذات الطابع السياسي ولاسيما المواد 2، 3، و4 منه،

26— وبمقتضى القانون رقم 89—13 المؤرخ في 5 محرم عام 1410 الموافق 7 غشت سنة 1989 والمتضمن قانون الانتخابات المعدل والمتعم، ولاسيما المادة 125 منه،

27— وبمقتضى القانون رقم 89—16 المؤرخ في 13 جمادى الاولى عام 1410 الموافق 11 ديسمبر سنة 1989 والمتضمن تنظيم المجلس الشعبي الوطني وسيره،

28— وبمقتضى القانون رقم 89—21 المؤرخ في جمادى الاولى عام 1410 الموافق 12 ديسمبر سنة 1989 والمتضمن القانون الاساسي للقضاء،

29— وبمقتضى القانون رقم 89—22 المؤرخ في 14 جمادى الاولى عام 1410 الموافق 12 ديسمبر سنة 1989 والمتعلق بصلاحيات المحكمة العليا، وتنظيمها وسيرها، ولاسيما المادة 5 منه،

30— وبمقتضى القانون رقم 90–07 المؤرخ في 8 رمضان عام 1410 الموفق 3 أبريل سنة 1990 والمتعلق بالإعلام ولاسيما المادة 6 منه،

31— وبمقتضى القانون وقم 90–08 المؤرخ في 12 رمضان عام 1410 الموافق 7 أبريل سنة 1990 والمتعلق بالبلدية، ولاسيما المادة 38 منه،

32— وبمقتضى القانون رقم 90—09 المؤرخ في 12 رمضان عام 1410 الموافق 7 أبريل سنة 1990 والمتعلق بالولاية، ولاسيما المادة 12 منه.

33— وبمقتضى القانون رقم 90—31 المؤرخ في 17 جمادى الاولى عام 1411 الموافق 4 –ديسمبر سنة 1990 والمتعلق بالجمعيات،

34— وبمقتضى القانون رقم 90—32 المؤرخ في 17 جمادى الاولى عم 1411 الموافق 4 ديسمبر سنة 1990 والمتعلق بتنظيم مجلس المحاسبة وسيره،

35— وبناء على ما أقره المجلس الشعبي الوطني،

يصدر القانون التالي نصه؛

## الفصل الأول

## أحكام عامة

**المادة الأولى :** يحدد هذا القانون القواعد العامة لاستعمال اللّغة العربية في مختلف ميادين الحياة الوطنية، وترقيتها، وحمايتها.

**المادة 2:** اللّغة العربية مقوم من مقومات الشخصية الوطنية الراسخة، وثابت من ثوابت الأمة.

يجسد العمل بها مظهرا من مظاهر السيادة، واستعمالها من النظام العام.

**المادة :** يجب على كل المؤسسات أن تعمل على ترقية اللّغة العربية، وحمايتها، والسهر على سلامتها وحسن استعمالها.

تمنع كتابة اللّغة العربية بغير حروفها.

## الفصل الثاني

## مجالات التطبيق

**المادة 4:** تلزم جميع الادارات العمومية والهيئات والمؤسسات والجمعيات على اختلاف أنواعها باستعمال اللّغة العربية وحدها في كل أعمالها من اتصال وتسيير إداري ومالي، وتقني، وفني.

**المادة 5:** تحرر كل الوثائق الرسمية والتقارير ومحاضر الإدارات العمومية والهيئات والمؤسسات والجمعيات باللّغة العربية.

يمنع في الاجتماعات الرسمية استعمال أية لغة أجنبية في المداولات والمناقشات.

**المادة 6:** تحرر العقود باللّغة العربية وحدها. يمنع تسجيلها وإشهارها إذا كانت بغير اللّغة العربية.

**المادة 7:** تحرر العرائض والاستشارات وتجرى المرافعات أمام الجهات القضائية باللّغة العربية.

تصدر الأحكام والقرارات القضائية وآراء المجلس الدستوري ومجلس المحاسبة وقراراتهما باللّغة العربية وحدها.

**المادة :** يجب أن تجرى باللّغة العربية المسابقات والامتحانات الخاصة بالالتحاق بجميع الوظائف في الإدارات والمؤسسات.

**المادة 9 :** وتنظم وتجرى باللّغة العربية الفترات التدريبية والملتقيات الوطنية، والتربصات المهنية والتكوينية، والتظاهرات العامة.

يمكن أن تستعمل استثناء اللغات الأجنبية إلى جانب اللّغة العربية في الندوات والملتقات والتظاهرات الدولية.

**المادة 10:** تكون الأختام الرسمية والدمغة، والعلامات المميزة للسلطات والإدارات العمومية والهيئات والمؤسسات مهما تكن طبيعتها باللّغة العربية وحدها.

**المادة 11:** تكون مراسلات جميع الإدارات والهيئات والمؤسسات والجمعيات باللّغة العربية وحدها.

**المادة 12:** يكون تعامل جميع الإدارات والهيئات والمؤسسات والجمعيات مع الخارج باللّغة العربية.

تبرم المعاهدات والاتفاقيات باللّغة العربية.

**المادة 13:** تصدر الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية باللّغة العربية وحدها.

**المادة :** تصدر الجريدة الرسمية لمداولات المجلس الشعبي الوطني باللّغة العربية وحدها.

**المادة 15** ؛ يكون التعليم والتربية والتكوين في كل القطاعات، وفي جميع المستويات والتخصصات باللّغة العربية مع مراعاة كيفيات تدريس اللغات الأجنبية.

**المادة 16 :** يجب أن يكون الاعلام الموجه للمواطن باللّغة العربية مع مراعاة أحكام المادة 13 من قانون الاعلام.

يمكن أن يكون الاعلام المتخصص أو الموجه إلى الخارج باللغات الأجنبية.

**المادة 17:** تعوض الأفلام السينمائية و/أو التلفزيونية والحصص الثقافية والعلمية باللّغة العربية أو تكون معربة أو ثنائية اللّغة.

**المادة 18:** تجري جميع التصريحات والتدخلات والندوات وكل الحصص المتلفزة باللّغة العربية مع مراعاة أحكام قانون الإعلام.

وتعرب إذا كانت باللّغة الأجنبية.

**العادة 19 :** يتم الإشهار بجميع أنواعه باللّغة العربية.

يمكن استثناء استعمال لغات أجنبية الى جانب اللّغة العربية عند الضرورة وبعد إذن الجهات المختصة.

**المادة 20:** تكتب باللّغة العربية وحدها العناوين، واللافتات، والشعارات، والرموز، واللوحات الإشهارية، وكل الكتابات المطلية، أو المضيئة، والمجسمة. أو المنقوشة، التي تدل على مؤسسة، أو هيئة أو محل، أو التي تشير الى نوعية النشاط الممارس، مع مراعاة جودة الخط وسلامة المبنى والمعنى.

يمكن أن تضاف لغات أجنبية الى اللّغة العربية في الاماكن السياحية المصنعة.

**المادة 21:** تطبع باللّغة العربية، وبعدة لغات أجنبية، الوثائق والمطبوعات، والأكياس والعلب، التي تتضمن البيانات التقنية وطرق الاستخدام وعناصر التركيب، وكيفيات الاستعمال التي تتعلق على وجه الخصوص بما يأتي :

36— المنتجات الصيدلانية؛

37— المنتجات الكيماوية؛

38— المنتجات الخطيرة؛

39— أجهزة الاطفاء والانقاذ ومكافحة الحرائق.

على أن تكون الكتابة باللّغة العربية بارزة في جميع الحالات.

**المادة 22** : تكتب باللّغة العربية الأسماء والبيانات المتعلقة بالمنتجات والبضائع والخدمات، وجميع الاشياء المصنوعة، أو المستوردة، أو المسوقة في الجزائر. يمكن استعمال لغات أجنبية استعمالا تكميليا. تحدد كيفيات تطبيق هذه المادة عن طريق التنظيم.

## الفصل الثالث

## هيئات التنفيذ والمتابعة والدعم

**المادة 23** : تنشأ هيئة وطنية تنفيذية في مستوى رئاسة الحكومة تتكفل بمتابعة تطبيق أحكام هذا القانون.

يتم تكوين هذه الهيئة وتحدد كيفيات عملها عن طريق التنظيم.

**المادة 24** : تقدم الحكومة أمام المجلس الشعبي الوطني ضمن بيانها السنوي عرضا مفصلا عن تعميم استعمال اللّغة العربية وترقيتها.

**المادة 25** : تسهر المجالس المنتخبة والجمعيات في حدود صلاحيتها على متابعة سير عملية تعميم استعمال اللّغة العربية وسلامتها.

**المادة 26** : يسهر المجمع الجزائري للغة العربية، طبقا لأحكام القانون، على إثراء اللّغة العربية، وترقيتها، وتطوير استعمالها لضمان إشعاعها.

**المادة 27:** ينشأ مركز وطني يتكفل بما يأتي:

- تعميم استعمال اللّغة العربية بكل الوسائل الحديثة الممكنة؛
- ترجمة البحوث العلمية والتكنولوجية من اللغات الأجنبية الى اللّغة العربية، ونشرها؛
- ترجمة الوثائق الرسمية عند الطلب؛
- مزاوجة لغة الأشرطة العلمية، والثقافية والوثائقية؛
- تجسيد البحوث النظرية للمجمع الجزائري للغة العربية والمجامع العربية الأخرى في واقع الحياة العملية.

**المادة 28** : تخصص الدولة جوائز لأحسن البحوث العلمية المنجزة باللّغة العربية. تحدد كيفيات تطبيق هذه المادة عن طريق التنظيم.

**الفصل الرابع**

**أحكام جزائية**

**المادة 29** : تعد الوثائق الرسمية المحورة بغير اللّغة العربية باطلة. تتحمل الجهة الني أصدرتها أو صادقت عليها مسؤولية النتائج المترتبة عليها.

**المادة 30** ذ كل إخلال بأحكام هذا القانون يعد خطا جسيما يستوجب جزاء تأديبيا.

**المادة 31:** كل مخالفة لأحكام العواد 17، 18، 19، 20، 21، و 22 أعلاه، يعاقب عليها بغرامة مالية تتراوح بين 5000 دج و000 10 دج.

**!لمادة 32** : يعاقب بغرامة مالية من 1000 دج الى 5000 دج كل من وقّع على وثيقة محررة بغير اللّغة العربية، أثناء ممارسة مهامه الرسمية.

غير أنه يمكن التوقيع على بعض الوثائق المترجمة التي يحتج بها في الخارج.

**المادة 33:** ؛ يتعرض مسؤولو المؤسسات الخاصة والتجار والحرفيون اللذين يخالفون أحكام هذا القانون لغرامة مالية تتراوح بين 1000 دج و5000 دج.

وفي حالة العود تغلق المؤسسة أو المحل مؤقتا أو نهائيا.

**المادة 34 :** تعاقب الجمعية نات الطابع السياسي التي تخالف أحكام هذا القانون بغرامة مالية تتراوح بين 000 10 دج و000 100 دج.

وفي حالة العود تطبق عليها أحكام المادة 33 من القانون رقم 89-11 المؤرخ في 05 يوليو سنة 1989 والمتعلق بالجمعيات ذات الطابع السياسي.

**المادة 35** ؛ يحق لكل ذي مصلحة مادية أو معنوية في تطبيق هذا القانون أن يتظلم أمام الجهات الإدارية أو يرفع دعوى قضائية ضد أي تصرف مخالف لأحكام هذا القانون.

## الفصل الخامس

## أحكام انتقالية

**المادة 36** ذ تطبق أحكام هذا القانون فور صدوره، على أن تنتهي العملية بكاملها في أجل أقصاه 5 يوليو عام 1992.

**المادة 37 :** يتم التدريس باللّغة العربية وحدها في كل مؤسسات التعليم العالي، والمعاهد العليا، ابتداء من السنة الأولى الجامعية 92/91، على أن تتواصل العملية حتى التعريب الشامل والتهادي في أجل أقصاه 5 يوليو سنة 1997.

**المادة 38 :** تكتب التقارير والتحاليل والوصفات الطبية باللّغة العربية.

غير أنه يجوز استثناء كتابتها باللّغة الأجنبية الى أن يتم التعريب النهائي للعلوم الطبية والصيدلانية.

**المادة 39** ؛ يمنع على الهيئات والمؤسسات استيراد أجهزة الإعلام الآلي والإبراق، وكل الأجهزة الخاصة بالطبع والكتابة، إذا لم تكن موظفة للحرف العربي.

**الفصل السادس**

**أحكام نهائية**

**المادة 40:** تلغى أحكام الأمر رقم 68—92 المؤرخ في 23 محرم سنة 1388 الموافق 26 أبريل سنة 1968 والمتضمن إجبارية معرفة اللّغة الوطنية على الموظفين ومن يماثلهم، وكذلك أحكام الأمر رقم 73–55 المؤرخ في 4 رمضان سنة 1393 د الموافق 1 أكتوبر سنة 1973 والمتضمن تعريب الاختام الوطنية، المذكورين أعلاه وكنا جميع الأحكام المخالفة لهذا القانون.

**المادة 41** ذ ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

حرر بالجزائر في30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق16 يناير سنة 1991.

الشانلي بن جديد

# مراسيم تنظيميّة

مرسوم رئاسي رقم 98-226 مؤرّخ في 17 ربيع الأول عام 1419 الموافق 11 يوليو سنة 1998، يتضمن صلاحيات المجلس الأعلى لفة العربية وتنظيمه وعمله.

انّ رئيس الجمهورية،

- بناء على الدستور، لاسيما المواد 3 و77-6 و125 (الفقرة الأولى) منه،

وبمقتضى القانون رقم 90—21 المؤرخ في 24 محرم عام 1411 الموافق 15 غشت سنة 1990 والمتعلق بالمحاسبة العموميّة،

- وبمقتضى القانون رقم 91—05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللغة العربية، المعدل والمتمم بالأمر رقم 96— 30 المؤرخ في 10 شعبان عام 1417 الموافق 21 ديسمبر سنة 1996، لاسيما المادّة 23 منه،

-وبمقتضى الأمر رقم 95—20 المؤرخ في 19 صفر عام 1416 الموفق 17 يوليو سنة 1995 والمتعلق بمجلس المحاسبة،

يرسم ما يأتي:

الفصل الأول

أحكام عامة

**المادّة الأولى:** يهدف هذا المرسوم، طبقا للمادة 23 من القانون رقم 91—05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة

1991 والمتضمن تعميم استعمال اللغة العربية، المعدل والمتمم بالأمر رقم 96-03 المؤرخ في 10 شعبان عام 1417 الموافق 21 ديسمبر سنة 1996، إلى تحديد صلاحيات المجلس الأعلى للغة العربية وتنظيمه وعمله.

**المادّة 2** : المجلس الأعلى للغة العربية، هيئة وطنية، تتمتع بالشخصية المعنونة والاستقلال المالي، ويدعى في صلب النص المجلس.

يوضع المجلس تحت إشراف رئيس الجمهورية.

**المادّة 3** : يكون مقر المجلس بالجزائر العاصمة.

## الفصل الثاني

## الصلاحيات

**المادّة 4:** يقوم المجلس بالصلاحيات الآتية:

-يتابع تطبيق أحكام القانون رقم 91-05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991، المعدل والمتمم والمذكور أعلاه وكل القوانين الهادفة إلى تعميم استعمال اللثة العربدة وحمايتها وترقيتها وتطويرها،

-ينسّق بين مختلف الهيئات المشرفة على عملية تعميم استعمال اللغة العربية وترقيتها وتطويرها،

- يقوم أعمال الهيئات المكلفة بتعميم استعمال اللغة العربية وترقيتها وتطويرها،

- ينظر في ملائمة الآجال المتعلقة ببعض التخصصات في التعليم العالي المنصوص عليها في المادّة 7 المعدلة والمتممة للفقرة الثانية من المادّة 36 من

القانون رقم 91-05 المؤرخ في 16 يناير سنة 1991، المعدل والمتمم والمذكور أعلاه،

- يساهم في إعداد واقتراح العناصر العملية التي تشكل قاعدة وضع برامج وطنية في إطار السياسة العامة لبرامج تعميم استعمال اللغة العربية،

يقدم آراء واقتراحات فيما يخص التدابير التشريعيه التنظيمية التي تدخل ضمن صلاحياته،

-يدعم التنفيذ الفعلي للبرامج الوطنية و/أو البرامج القطاعية المتمثلة بتعميم استعمال اللغة العربية،

- يرقي استعمال اللغة العربية ويحميها في الإدارات والموافق العمومية ويحرص على سلامتها،

- يدرس ويبدي رأيه في مخططات وبرامج العمل القطاعية الخاصّة بتعميم استعمال اللغة العربية، ويتأكد من انسجامها وفعاليتها،

ويتلقى، لهذا الغرض. من الإدارات والمؤسسات والهيئات العمومية كل المعلومات، والمعطيات والإحصائيات التي تتعلق بمهامه ونشاطه،

- يبدي المجلس ملاحظاته، ويبلغ معاينته إلى الجهات المعتدة إذا لاحظ تأخرا في تطبيق البرامج المحددة، أو تقصيرا في تنفيذ القوانين أو الأعمال المقررة، ويرفع بذلك

تقريرا إلى رئيس الجمهوريّة،

- يقدم تقريرا سنويا إلى رئيس الجمهورية حول عملية تعميم استعمال اللغة العربية،

– يقدم تقريرا سنويا إلى رئيس الجمهورية حول عملية تعميم استعمال اللغة العربية.

**المادّة 5:** يجب أن يعمل المجلس على تطبيق التشريع والتنظيم المتعلقين بتطبيق استعمال اللغة العربية في الإدارات، والمؤسسات، والهيئات العمومية، ومختلف الأنشطة، لاسيما الاقتصادية والثقافية، والاجتماعية.

المادّة 6 ؛ يمكن المجلس أن يبادر، بالعلاقة مع المؤسسات المختصّة بكل دراسة أو بحث يهدف إلى ترقية اللغة العربية وتعميم استعمالها، ومن أجل ذلك يمكنه الاستعانة بالمؤسسات الوطنية أو بالشخصيات العلمية وفي هذا الإطار يقوم المجلس على الخصوص بما يأتي

– يعمل على تعبئة الكفاءات العلميّة والتقنية لتمكينها من إنجاز الدراسات والأبحاث واقتراح البرامج التي تساعد على ازدهار اللغة العربية،

– ينظم الندوات، والملتقيات، والأيام الدراسية حول موضوع استعمال اللغة العربية في مختلف المجالات، ويسهر على استغلال نتائجها ونشرها بكل الوسائل.

– يستغل جميع الدراسات والأبحاث المنجزة في الجزائر أو في الخارج التي ترتبط بمهامة.

**المادّة 7 :** يتولى المجلس كذلك:

– يوجة عمل المؤسسات، والهيئات، والقطاعات التي تمارس أنشطة الثقافة، والإعلام، والتربية، والتكوينت في تطوير وتعميم استعمال اللغة العربية؛

– يقوّم ويدرس أثار الأعمال القي تبادر بها مختلف الهيئات والإدارات على اللغة العربية ويبدي رأيه في كل مشروع يمكن أن تكون له آثار على عملية تعميم وترقية استعمال اللغة العربية،

– يقدم الملاحظات التقويمية إلى القطاعات المكلفة بإنجاز برامج تعميم استعمال اللغة العوبية.

**الفصل الثالث**

**تنظيم المجلس**

**المادّة 8** ؛ يضمّ المجلس الأجهزة الآتية؛

- الرئيس؛
- الجمعية العامه؛
- المكتب؛
- ثلاث (3) لجان دائمة؛
- أمانة إداريه وتنفيذية بسيرها أمين عام.

**المادّة 9:** يمكن المجلس أن يشكّل، كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، مجموعات عمل أو يستعين بأي شخص، لإنجاز أعمال أو دراسات تدخل في إطار مهامة.

**الفرع الأول**

**الرّئيس**

**المادّة 10:** يعين الرئيس بمرسوم رئاسي وتنهى مهامة بالكيفية نفسها. يمارس الرئيس مهاما دائمة في المجلس، وبهذه ا لصفة يقوم بما يأتي:

- يرأس الجمعية العامة والمكتب ويسير أشغالهما؛
- يضبط جدول أعمال اجتماعات الجمعية العامة والمكتب؛
- يعين المستخدمين اللذين لم تتقرر طريقة أخرى في تعيينهم؛
- يمارس السلطة السلمية على كافة المستخدمين؛
- يرفع إلى رئيس الجمهورية التقرير السنوي المذكور في المادّة 4 أعلاه.

**المادّة 11:** إذا حصل مانع مؤقت للرئيس، ينوب عنه في رئاسة المجلس عضو من المكتب.

توضح كيفيات تطبيق هذه المادّة في النظام الداخلي للمجلس.

**الفرع !لثاني**

**الجمعية العامة**

**المادّة 12:** تتكون الجمعية العامة للمجلس من؛

1-اثنين وعشرين(22) عضوا يمثلون الإدارات والمؤسسات والهيئات العمومده الآتية:

- الوزارة المكلقة بالدفاع الوطني؛
- الوزارة المكلفة بالشؤون الخارجية؛
- الوزارة المكلفة بالعدل،؛
- الوزارة المكلفة بالدّاخلية والجماعات المحلية والبيئة؛
- الوزارة المكلفة بالمالية؛
- الوزارة المكلفة بالإصلاح الإداري والوظيف العمومي؛

- الوزارة المكلفة بالصناعة؛
- الوزارة المكلفة بالتربية الوطنية؛
- الوزارة المكلفة بالاتصال والثقافة؛
- الوزارة المكلفة بالتعليم العالي والبحث العلمي؛
- المجمع الجزائري للغة العربية؛
- مسؤول مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية؛
- ستة (6) أساتذة جامعيين، أستانان (2) من الجامعات التابعة لكل أكاديمية جامعية من الأكاديميات الثلاث، يقترحهم الوزير المكلف بالتعليم العالي؛
- أربعة (4) باحثين يغطون هيئات البحث العلمي على المستوى الوطني، يقترحهم الوزير المكلف بالبحث العلمي.

ب- من خمسة عشر (15) إلى عشرين (20) عضوا يختارهم رئيس الجمهورية اعتبارا لكفاءتهم.

**المادّة 13:** يعين أعضاء المجلس بمرسوم رئاسي لمدة خمس (5) سنوات قابلة لتجديد.

وتنهى مهامهم بالكيفية نفسها.

**المادّة 14:** يفقد أعضاء المجلس، المعيّنون بحسب وظائفهم لتمثيل إدارة أو مؤسسة أو هيئة عمومية، صفة العضوية عندما تنهى مهامهم التي يمارسونها في الإدارة أو في المؤسسات أو في الهيئة العموميه التي ينتمون إليها.

**المادّة 15:** يستخلف العضو المستقيل أو المتوفي، أو الذي استحال عليه تأدية عمله، للفترة المتبقية، حسب نفس الشروط المنصوص عليها في المواد أعلاه، التي حددت كيفية تعيينهم، عندما تتجاوز الفترة المتبقية ستّة (6) أشهر.

**المادّة 16:** يعدّ المجلس نظامه الداخلي ويصادق عليه خلال دورته الأولى، وتتم الموافقة عليه بمرسوم رئاسي.

**المادّة 17:** يجتمع المجلس مرتين (2) على الأقل في السنة في دورة عادية باستدعاء من رئيسه.

ويمكنه ان يجتمع في دورة غير عادية بدعوة من رئيسه او بطلب من ثلثي (3/2) اعضائه.

**المادّة 18:** يصدر المجلس، حسب الحالات توصيات، أو أراء أو تقارير، أو دراسات ويصادق عليها، ويبلغها إلى السلطات المعنية.

**للمادّة 19:** تتداول الجمعيه العامة للمجلس وتصادق على ما ياتي:

-النظام الدّاخلي؛

- برنامج النّشاط ؛

- حصيلة النشاط

- ميزانية المجلس والحساب المالي؛

- التقرير السنوي وكل التقارير الأخرى التي توجه إلى رئيس الجمهورية.
تقيم اعمال اللجان الدائمة وتصادق على نتائجها.

تدرس وتبدي الرأي في كل مسالة يطرحها عليها رئيس المجلس. توضح كيفيات تطبيق هذه المادّة في النظام الداخلي للمجلس.

## الفرع الثالث

## المكتب

**المادّة 20:** يتكون المكتب، الذي يرأسه رئيس المجلس، من رؤساء اللجان الدائمة.

**المادّة 21:** يحضر الأمين العام أشغال المكتب ويتولى كتابته.

**المادد 22:** ويكلف المكتب بما يأتي :

- يعد مشروع النظام الداخلي للمجلس؛
- يحضر مشروع برنامج النشاط ويتابع تنفيذه بعد مصادقة الجمعية العامة عليه؛
- ينسق ويتابع أنشطة اللجان الدائمة ومجموعات العمل وكل الأشغال الأخرى المنجزة لفائدة المجلس؛
- يحضّر حصيلة نشاط المجلس؛
- يعد مشروع التقرير السّنوي والتقارير التقويمية الأخرى؛
- يعد مشروع الميزانية؛
- يعد الحساب المالي للمجلس.

توضّح كيفيات تطبيق هذه المادّة في النظام الدّاخلي للمجلس.

**المادّة 23:** يجتمع مكتب المجلس وجوبا مرة واحدة في الشهر.

## الفرع الرّابع

## اللجان الدائمة

**المادّة 24:** يضم المجلس ثلاث (3) لجان دائمة. يمكن أن تنشآ عند الحاجة لجان فرعية ضمن كل لجنة.

**المادّة 25:** تكلف اللجان الدائمة بدارسة وإعداد الملفات والتقارير التي تهم مجال نشاطها، في إطار برنامج عمل المجلس تبدي الآراء والاقتراحات التي ترتبط بذلك.

**المادّة 26 :** تنتخب كل لجنة دائمة رئيسا من بين أعضائها وتعين مقررها.

**المادّة 27:** يحدد النظام الداخلي للمجلس تشكيل اللجان الدائمة ومهامها وكيفيات عملها، كما يحدد كيفيات إحداث اللجان الفرعية ومجموعات العمل وعملها.

## الفرع الخامس

## الأمانة الإدارية والتقنيّة

**المادّة 28:** تنشأ لدى المجلس أمانة إداريّة وتقنية توضع تحت سلطة رئيس المجلس ويسيّرها أمين عام.

**المادّة 29:** يعين الأمين العام بمرسوم رئاسي بناء على اقتراح من رئيس المجلس وتنهى مهامة بالكيفيّة نفسها.

**المادّة 30 :** يحدد تنظيم الأمانة الإدارية والتقنية وعملها بمرسوم رئاسي.

## الفصل الرابع

## أحكام مالية

**المادّة 31:** تضع الدولة تحت تصرف المجلس الوسائل البشرية والمادية والمالية الضرورية لعمله

ولهذا الغرض، يزوّد المجلس بميزانية تدرج ضمن ميزانية الدولة.

**المادّة 32 :** يقدم رئيس المجلس مشروع الميزانية إلى السلطات المختصة. يكون رئيس المجلس هو الآمر بالصّرف.

**المادّة 33 :** يتولى مهمة تسيير الإعتمادات المخصصة للمجلس حسب قواعد المحاسبة العمومية، عون محاسب يعين لهذا الغرض.

## الفصل الخامس

## احكام ختامية

**المادّة 34 :** تصنف وظيفتا الرئيس والأمين العام للمجلس والنظام التعويضي الذي يطبق على اعضائه بنص القانون.

**المادّة 35 :** ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

حرر بالجزائر في 17 ربيع الأول عام 1419 الموافق 11 يوليو سنة 1998.

اليمين زروال

# مراسيم فردية

## مرسوم رئاسي يتضمن تعيين أعضاء المجلس الأعلى للّغة العربية

مرسوم رئاسي 'مؤرخ في 5 جمادى الثانية عام 1419 الموافق 26 سبتمبر سنة 1998 ، يتضمن تعيين أعضاء المجلس الأعلى للّغة العربية.

بموجب مرسوم رئاسي مؤرخ في 5 جمادى الدانية عام 1419 الموافق 26 سبتمبر سنة 1998 يعين السادة الآتية أسماؤهم أعضاء في المجلس الأعلى للغة العربية:

1— الأعضاء المعيّنون اعتبارا لكفاءتهم:

- عبد الملك مرتاض، رئيسا،
- أحمد بن نعمان، عضوا،
- مرزاق بقطاش، عضوا،
- رشيد بوسعادة، عضوا،
- سليم بابا عامر ، عضوا،
- عثمان بدري، عضوا،
- يوسف حاشي، عضوا،
- زهير إحدادن، عضوا،
- محمد لحسن زغيدي، عضوا،
- عبد المجيد عمراني، عضوأ،
- عبد الكريم بكري، عضوا،
- صالح بلعيد، عضوا،

عمر برامه، عضوا،

-نويوات مختار، عضوا،

-محمد التهامي طواهر، عضوا،

2- الأعضاء الممثلون للإدارات والمؤسسات والهيئات العمومية:

بعنوان الوزارة المكلفة بالدفاع الوطني:

- عبد السلام بوشارب، عضوا،

بعنوان الوزارة المكلفة بالشؤون الخارجية:

-النذير العرباوي، عضوا،

بعنوان الوزارة المكلفة بالعدل؛

- بشير كاشا، عضوا،

بعنوان الوزارة المكلفة بالدّاخلية والجماعات المحلية والبيئة:

- صالح حميدات، عضوا،

بعنوان الوزارة المكلفة بالمالية؛

-إبراهيم عابد، عضوا،

بعنوان الوزارة المكلفة بالإصلاح الإداري والوظيف العمومي؛

-بلقاسم بوشمال، عضوا،

-بعنوان الوزارة المكلفة بالصناعة؛

- بن عزوط إلياس، عضوا،

بعنوان الوزارة المكلفة بالتربية الوطنية:

خيرة تواتي، عضوا،

بعنوان الوزارة المكلفة بالإتصال والثقافة:

حمزة يدوغي، عضوا،

بعنوان الوزارة المكلفة بالتعليم العالي والبحث العلمي:

محمد الهادي بوطارن، عضوا

بعنوان المجمع الوطني للغة العربية:

عيسى موسى محمد، عضوا،

بعنوان الأكاديميات الجامعية:

– محمد بطاز، عضوا،

– عبد المجيد ميرة، عضوا

– جمال سعيدي، عضوا،

– عبد الجليل مرتاض، عضوا،

–سعيد كناي، عضوا،

– الحواس مسعودي، عضوا

بعنوان هيءات البحث العلمي:

- أعمر بوحجر، عضوا،
- – ابراهيم بوزوية، عضوا،
- حليم منصف خلالفة، عضوا،

- طاهر ميلة، عضوا.

" مرسوم رئاسي مؤرخ 5 جمادى الثانية عام 1419 الموافق28 سبتمبر سنة 1998 ، يتضمن تعيين الأمين العام لوزارة الطاقة والمناجم.

بموجب مرسوم رئاسي مؤرخ في 5 جمادى الثانية عام 1419 الموافق 26 سبتمبر سنة 1998 يعين السيد عبد الهادي بن زاغو، أمينا عاما لوزارة الطاقة والمناجم.

مرسوم رئاسي مؤرخ في 5 جمادى الثانية عام 1419 الموافق 26 سبتمبر سنة 1998 ، يتضمن تعيين سير جامعة العلوم والتكنولوجيا بوهران.

بموجب مرسوم رئاسي مؤرخ في 5 جمادى الثانية عام 1419 الموافق 26 سبتمبر سنة 1998 يعين السيد عمر خروع، مديرا لجامعة العلوم والتكنولوجيا بوهران.

# أوامر

# أمر رقم 96 – 30 يتضمن استعمال اللّغة العربية

أمر رقم 96 – 30 مؤرخ في 10 شعبان عام 1417 الموافق 21 ديسمبر سنة 1998، يعدل ويتمم القانون رقم 91 – 05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللّغة العربية.

إنّ رئيس الجمهورية،

- بناء على الدستور، لا سيما المواد 3 و 122 و126 و179 منه
- وبمقتضى القانون رقم 91 – 05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللغة العربية.
- وبمقتضى المرسوم التشريعي رقم 92 – 02 المؤرخ في 3 محرم عام 1413 الموافق 4 يوليو سنة 1992 والمتعلق القانون رقم 91 – 05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللغة العربية.

- وبعد مصادقة المجلس الوطني الانتقالي، يصدر الأمر الآتي نصه:

**المادة الأولى:** يعدل هذا الأمر ويتمم القانون رقم 19—05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللغة العربية.

**المادة :** تعدل وتتمم المادة 11 من القانون رقم 91—05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللغة العربية، وتحرر كالآتي:

**المادة 11:** تكون المعاملات والاتصالات في جميع الإدارات والمؤسسات والجمعيات على اختلاف أنواعها باللغة العربية.

غير آن تعامل الإدارات والهيئات والجمعيات مع الخارج يكون وفقا لما يتطلبه الشامل الدولي

**المادة 3:** وتعدو وتتمم الفقرة الثانية من المادة 12 من القانون رقم 91–05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللغة العربية. وتحرر كالآتي؛

- **المادة 12:** ..................................

تبرم المعاهدات والاتفاقيات باللغة العربية، مع مراعاة ما يتطلبه التعامل الدولي.

– **المادة 4 :** تعدل وتتمم المادة 18 من القانون رقم 91–05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللغة العربية، وتحرر كالآتي:

- **المادة 18:** تكون جميع التصريحات والتدخلات والندوات وكل الحصص المتلفزة باللغة العربية.

وتعرّب إذا كانت بلغة أجنبيه.

**المادة 5 :** تعدل وتتمم المادة 23 من القانون رقم 91—05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللغة العربية، وتحرر كالآتي:

**المادة 23 :** ينشأ مجلس أعلى للغة العربية ويوضع تحت إشراف رئيس الجمهورية. يقوم على الخصوص بما يأتي:

— متابعة تطبيق أحكام هذا القانون وكل القوانين الهادفة إلى تعميم استعمال اللغة العربية وحمايتها وترقيتها وتطويرها،

التنسيق بين مختلف الهيئات المشرفة على عملية تعميم استعمال اللغة العربية وترقيتها وتطويرها،

-صلاحية النظر في ملائمة الآجال المتعلقة ببعض التخصصات في التعليم العالي المنصوص عليها في المادة 7 المعدلة والمتممة للفقرة الثانية من المادة 36،

-تقديم تقرير سنوي عن عملية تعميم استعمال اللغة العربية إلى رئيس الجمهورية. يمكن اضافة صلاحيات أخرى بموجب مرسوم رئاسي.

**المادة 6 :** تعدل وتتمم المادة 32 من القانون وقم 91-05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللغة العربية، ، وتمرر كالآتي:

**المادة 32:** يعاقب بغرامة مالية من 1000 دج إلى 5000 دج كل من وقّع على وثيقة محررة بغير اللغة العربية، أثناء ممارسة مهامه الرسمية أو بمناسبتها، مع مراعاة أحكام المادتين 2 و3 المعدلتين والمتممتين للمادتين 11 و12 من هذا الأمر.

تضاعف العقوبة في حالة العود.

**المادة 7:** تعدل وتتمم المادة 36 من القانون رقم 91-05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللغة العربية، وتحرر كالاتي:

**المادة 36 :** تطبق أحكام هذا الأمر فور صدوره.

ويجب استكمال عملية تعميم استعمال اللغة العربي في أجل أقصاه 5 يوليو سنة 1998.

غير أنه يتم التدريس باللغة العربية، بصفة شاملة ونهائية، في كل مؤسسات التعليم العالي والمعاهد العليا في أجل أقصاه 5 يوليو سنة 2000 مع مراعاة أحكام المادّة 23 اعلاه..

**المادة 8 :** تلغى أحكام المادة 37 من القانون رقم 91-05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 والمتضمن تعميم استعمال اللّغة العربية.

**المادة 9 :** تلغى جميع الأحكام المخالفة لهذا الأمر، لاسيما المرسوم التشريعي رقم 92-02 المؤرخ في 3 محرم عام 1413 الموافق 4 يوليو سنة 1992 والمذكور أعلاه.

**المادة 10:** ينشر هذا الأمر في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

حرر بالجزائر في 10 شعبان عام 1417 الموافق 21 ديسمبر سنة 1996.

اليمين زروال

# أنشطة المجلس

## أنشطة المجلس

قام المجلس الأعلى للغة العربية بأنشطة متعددة منذ تنصيب في 26 سبتمبر 1998 من طرف فخامة رئيس الجمهورية السيد اليمين زروال، حيث عقد دورته الأولى عن 11/28 الى 98/12/01 حيث ناقش وصادق على النظام الداخلي وبرنامجه السنوي كما شكل لجانه الدائمة وأنتخب رؤسائها. ومباشرة بعد الدورة شرع المجلس في تجسيد برنامجه، حيث عمل بقيادة الدكتور عبد الملك مرتاض على صعيدين تأسيس الإدارة وما يلزمها من تجهيز وإصلاح للمقر من جهة وتفعيل المجلس والتعريف به إعلاميا من جهة أخرى.

ونشير في هذه الكلمة الى بعض الأنشطة: تنصيب اللجان الدائمة التي كانت على النحو التالي: نصب في 1999/01/24 رئيس المجلس لجنة المتابعة والتقويم والتطوير في 1999/01/31 نصب لجنة التنسيق والتوجيه والاتصال، وفي 1999/02/07 نصب لجنة الدراسات والبرامج والتخطيط.

وفي 1999/02/07 التقى معالي وزير الاتصال والثقافة الناطق الرسمي باسم الحكومة بمقر المجلس والذي خرج بنتائج مهمة منها تدعيم الوزارة للمجلس بطبع منشوراته لسنة 1999 والاتفاق على إنجاز برامج تلفزيونية في إطار ترقية اللّغة العربية.

وفي 1999/03/01 قام السيد الرئيس بزيارة مقر الأمانة العامة للحكومة بدعوة من معالي السيد الأمين العام حيث تفقد بعض المصالح وعملية تعريب النصوص القانونية التي تقوم بها الأمانة، كما أبدى معالي الأمين العام كل استعداداته لمساعدة المجلس.

أما بالنسبة للأنشطة الإعلامية فقد كان الرئيس ورؤساء اللجان وبعض الأعضاء عدة لقاءات صحفية تعلقت كلها ببرنامج المجلس ومهامه المستقبلية.

ومن بين تلك اللقاءات نقدم للقارئ الكريم لقاء الدكتور عبد المالك مرتاض رئيس المجلس الأعلى للغة العربية مع إحدى الصحف الوطنية، لأهمية العلمية والفكرية.

**بعد ثمانية أشهر من دخول التعريب حيز التطبيق ما المآخذ والمحاسن التي يكون المجلس الأعلى للثة العربية قد سجّلها؟**

إنا لا ندري ما تقصدون بلفظي: المآخذ والمحاسن ؟ لكن الذي نود أن نقوله هنا هو أن من المآخذ أننا لم نجد جهازا إداريا قائما، وبناية إدارية مجهّزة بكل الوسائل الممكنة للشروع توا في ممارسة المهام بل اضطررنا – ولا نبرح نفعل ذلك — الى إتمام بناية المجلس، ومتابعة ترميمها، والسّعي بكل الوسائل الممكنة للحصول على اعتمادات مالية لشراء أهم الضروريات التي تتيح لنا منطلقا سليما. وتعتقد أننا، بهذا الصدد حققنا ما لم تحققه كثير من الهيئات الناشئة مثل هيئتنا. ولقد كان ذلك في زمن قياسي حقا.

وأما عن المحاسن فإن ما يذكر منها أن هذا المجلس لم تقم على فراغ قانوني، بل على نصوص قانونية كثيرة تتيح التحرك والعمل، بعضها يعود الى الأعوام السبعين، أي الى عهد الرئيس الراحل هواري بومدين. كما أننّا نستعين كثيرا بتجارب المسؤولين اللذين سبقونا الى العمل في هذا المشروع الحضاري العظيم.

وإذا كان السؤال منصرفا الى علاقتنا بالمجتمع، فإن مهامنا ثقيلة، ونحن لا ننتظر أن يفرش لنا الطريق بالورود، لكن ثقتنا في عامة المتعاملين اللغويين الجزائريين من المواطنين أنهم سييسّرون لنا مهامنا ما أمكن... ولقد أفضت الاتصالات الأولية الى حملنا على هذا الإحساس الذي لا يخلو من تفاؤل...

وايّا كان الشّأن، فإن الذي يعنينا نحن الآن، في المجلس الأعلى للغة العربية، رئيسا وأعضاء هو المتابعة والمثابرة في هذه المتابعة، والمثابرة والحكمة والتسلح، أثناء ذلك، بقوة قوانين الجمهورية بكل ما في القوانين من معنى الصرامة.

ترى بعض الجهات الاعلامية والسياسية أن التعريب في زمن العولمة لا يتماشى والعصرنة...

أو'لا وقبل كل شيء لا ينبغي التحدث الآن عما كان يطلق عليه منذ زمن مصطلح التعريب، فذلك؛ التّعريب قد وقع بالفعل في معظم القطاعات والأجهزة الإدارة، وإنما يجب أن نصطنع اليوم مصطلح تعميم استعمال اللّغة العربية وترقيتها، ثم ما هذا المصطلح الأجوف الشيطاني الذي أرى أجهزة الإعلام العربية، والجزائرية أيضا، تتحدث عنه وكأنه سيف مسلط، وقدر نازل من السماء لا مردّ له، ولا دفع لحكمه... إنّه مصطلح استعماري استعلائي شرير يعني، قبل كل شيء، هيمنة الأقوياء على الضعفاء، واستيلاء الأغنياء على موارد الفقراء باسم البقاء للأصلح، وباسم حق الوجود للأقوى. إن العولمة غطرسة، وإن العولمة هيمنة، وإن العولمة وجه جديد، ولكنة بشع، للاستعمار...

من أجل ذلك فإننا لا نعتقد أن العولمة، أي— باختصار– الهيمنة الأمريكية على العالم، ستحول دون تعميم استعمال اللّغة العربية وترقيتها وذلك على الرّغم من أن هذه العولمة تمس كل وسائل الحضارة والاتصال، وبما في ذلك اللغات بحيث تمسي اللّغة الإنجليزية هي سيّدة اللغات في العالم، وذلك على أساس أنّها لغة الأمريكيين أساسا...

إننّا نزعم أن اللّغة العربية لا ينقصها شيء لتجاري هذه الإنجليزية (ولا نتحدث عن الفرنسية التي هي واقعة الآن تحت قبضة الانجليزية بحيث حتى الذي يريد أن يشتهر في الغناء من الفرنسيين عليه أن يفتي باللّغة الانجليزية وإلا فلن يسمع إلا في السينغال، وساحل العاج...)، وتطاولها، وتجاريها، وتنافسها المقام العالمي حيث عدد الناطقين بالعربية في العالم أكثر من عدد الناطقين بالإنجليزية وذلك إذا راعينا عدد المسلمين اللذين في معظمهم يستعملون اللّغة العربية بشكل أو بآخر... إن اللّغة العربية أول لغة في العالم حملت الحداثة للعالم، وبشرت بالتكنولوجيا فيه، وأسست علم الرياضيات الذي بفضله أصبح العالم اليوم على ما هو عليه، واخترعت الأرقام العربية التي أسهمت بفعالية ودقة في تطوير العلوم، وأسس بواسطتها أول مستشفى في التاريخ، وهلّم جرا... فالعربية التي ورثت الحضارة

الإغريقية لم تلبث إلا قليلا حتى هضمتها، ثم بنت على أنقاضها حضارة عظيمة لا ينكرها إلا الجهال والحاقدون، لأن العلماء الأوربيين أنفسهم اليوم يعترفون (تراجع أعمال الندوة العالمية التي انعقدت أخيرا بجامعة ستراسبورغ تحت عنوان: الميراث الثقافي العربي في أوربا ) اليوم بقيمة العربية وحضارتها وعطائها الكبير للإنسانية. إنه لا يعجز هذه العربية اليوم أن تتكيف مع هذه العصرنة وتتعامل معها بوعي وكفاءة ورقيّ ...

**ألا يكون في تخلّف بعض الدّول الإفريقيّة الفرنكوفنية رد كاف على المقولة السابقة؟**

هذا أمر كنا قلناه وردّدناه، وخصوصا في مناظرتنا بقناة "الجزيرة، وذكرناه وكررناه، وهو أن اللّغة ما كان لها لترقي- بعيدا عن العوامل الحضارية الأخرى - شعبا متخلفا فنجعله متطورا بين عشية وضحاها... ولعل هذه هي الأطروحة المغلوطة التى يتمسك بها دعاة الفرنسية في الجزائر وهم لا يستحون... فالمسألة اللغوية إذا لم تكن نابعة من صميم حياة شعب وحضارته، واستعداده الفكري لإنتاج حضارة، وإنجاز مشروع علمي...

لا تتحقق بمجرد استعارة لغة 'أجنبية وبثها على ألسنة من ليست لغتهم أصلا... والآية على ذلك أن هناك شعوبا كثيرة في إفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وآسيا تتحدث الإنجليزية والفرنسية والأسبانية دون أن يكون الله قد جعل لها نصيبا من الإنجاز الحضاري، ولا الابتكار العلمي... وإنّما نراها تعيش على الفتات، وتتقوت بالخبز الحافي بعد البيات! فأين الحجة، إذن، في أن اللّغة الأجنبية تستطيع تطوير المتخلفين؟... ولم لا يكون هذا التطور منشودا عبر اللّغة العربية نفسها في الجزائر، مادامت هي اللّغة الوطنية التي يمكن للجزاريين أن يتفاهموا بها من أقصى الوطن الى اقصاه؟ فالدول المتخلفة —الإفريقية وغير الإفريقية — التي تبنت اللغات الأجنبية لم يزدها ذلك إلا إغراقا في الظلامبة، بينما نجد دولا في الشمال تستعمل اللّغة العربية مثل المغرب والجزائر وتونس ومصر، وهي مع ذلك تحظى بنصيب صالح من التطور...

**في ظل افتقار المجلس الأعلى للغة العربية للسلطة التنفيذية: ما الدور الذي يؤديه هذا المجلس؟**

النصوص التي حددت صلاحيات هذا المجلس ومهامه، ولاسيما المرسوم الرئاسي رقم 226/98 يمنح في الحقيقة، مقدارا صالحا من السلطة المعنوية لهذا المجلس، فهو ليس مجلسا استشاريّا بكل ما يحمل اللفظ من دلالة، ولكنة مجلس له سلطة المتابعة، وسلطة التقويم، ثم سلطة الإقتراح، وسلطة تحديد التواريخ والآجال بالنسبة لبعض المؤسسات والقطاعات مثل قطاع التعليم العالي مثلا...من أجل كل ذلك، وطبعا لهذا المرسوم الرئاسي، فإن المجلس الأعلى للغة العربية يتابع، بكل ما يخوله له القانون، كل ما يجري في الصعيد الوطني، وفي جميع الإدارات والمؤسسات: حول المسألة اللغوية الماثلة في تعميم استعمال اللّغة العربية وترقيتها في الوقت ذاته.

**وما الطرق والمناهج التي يتم بها هذا التقويم؟**

لقد طرحت جملة من الطرائق والمناهج في الدورة الأولى للمجلس، وفي لجانه الثلاث الدائمة، وتمثل كليا في ضرورة العمل الميداني، والابتعاد عن المناقشات البزنطية, والمهاترات النظرية، من أجل ذلك أول ما يفتتح به المجلس نشاطه الميداني هو إقامة يوم دراسي في شهر مارس بالمكتبة الوطنية يحضرها كافة ممثلي الوزارات والإدارات المركزيّة لرسم صورة دقيقة لما هو عليه واقع اللّغة العربية في هذه الإدارات. وفي ضوء الصعوبات والمشاكل، والعراقل أيضا، تتحدد المناهج والطرائق التي يتبناها المجلس مستقبلا.

هل من صلاحيات المجلس متابعة التجاوزات قضائيّا ؟

لكل قطاع وطني هيئة وطنيه رسمية تحميه فوزارة الفلاحة مسؤولة عن حماية كل ما هو شجرة ونبات، ووزارة الثقافة مسؤولة عن كل ما هو كلمة وصورة ورسم وكتاب... وهلّم

جرّا... ولمّا لم تكن للعربية أي هيئة وطنية رسمية تقوم على حمايتها–خارج الدستور— نصب فخامة رئيس الجمهورية المجلس الأعلى للّغة العربية ليرعى العربية في الجزائر كما ترعى وزارة الفلاحة الشجرة والبيئة بكل ما يتول عن ذلك من تطبيق الأحكام القانونية...

غير أن مسألة المقاضاة ليست واردة، ولا يكون لها من معنى مثمر إلا أن يكون إعلاميّا تهريجيا، إن سياسة المجلس التي يوافق عليها معظم الأعضاء هي العمل في الصمت، والتسلح بالحكمة والصبر والمثابرة في متابعة تقويم تعميم استعمال اللّغة العربية. والحق أن الاتصالات الأولية الرسمية وغير الرسمية، التي أجريناها مع الأطراف المعنية لم نجد منها إلا آذانا صاغية، واستعدادا طيبا للعمل في هذا المجال. من أجل ذلك لا نرى من الضروري الاتجاه الى جهاز القضاء للنهوض بمهامنا التي هي مهام جميع الجزائريين، أو معظم الجزائريين على الأقل، قبل كل شيء.

**وما الصلاحيات التي ما زال المجلس يحتاج إليها ليكون أكثر فعالية؟**

قد بذلت الحكومات الجزائرية المتعاقبة، ومنذ فجر الاستقلال، جهودا متفاوتة في تعميم استعمال اللّغة العربية التي كانت تسمى في نظام الحزب الواحد اللّغة الوطنية . ولقد أنشئت لذلك هيئات متعاقبة تتابع هذه المسألة، والدور الذي نهض به المرحوم الأستاذ مولود قاسم يجب الإشادة به.

ولكن كان لا بد من تغيير الإستراتيجيبه وإنشاء هيئتنا هذه للإشراف على ترقية اللّغة العربية وتطويرها في المجتمع الجزائري، والتنسيق فيما بين كل الوزارات والإدارات والهيئات حول هذا الموضوع، للإنتهاء الى الغاية المرجوة.

أمّا ما يحتاج إليه مجلسنا ليكون فاعلا وناجعا فليس من شيء غير الإرادة الطيبة لدى جميع أعضائه اللذين يبذلون أقصى ما يملكون، ويعطون من أنفسهم الشيء الكثير، ثم

لدى كل الأطراف المعنية أولآ، ثم تخصيص ميزانية لائقة بمهام هذا المجلس، وهي ثقيلة، آخرا...

**هل باستطاعة المجلس تعويض ما عجز عن ردعه القانون من خروق في حق التعريب؟**

نحن في هذه المسألة اللطيف بين أمرين أثنين فإما أن نتابع قانونيا – أي قضائيا— الهيئات التي تقوم بخرق قانون استعمال اللّغة العربية، وحينئذ لا نعتقد أنتا سننتهي الى شيء ذي بال، وسيقتصر مسعانا على القيل والقال، وكثرة السؤال، وإما أن نعمد الى العمل الميداني، ونساعد الناس على استعمال اللّغة العربية لمن لم يكن قد شرع بعد في استعمالها، وعلى ترقيتها لمن شرع بعد في استعمالها ولكن قد يكون مفتقرا الى استعمال لغة أنظف، وتعابير أرقى... وعلينا، أثناء ذلك أن نعمد الى الإقناع والتذكير بضرورة تطبيق القانون الذي هو الحكم التراضي حكومته بيننا... وذلك هو المنهج الذي رأينا تجسيده في ندوة الحادي والعشرين مارس 1999.

**ألا ترون أن قانون التعريب طبق بطريقة متسرعة؟**

لقد أصبح التسرع في الجزائر سلاحا سياسيا لكل اللذين لا يقدرون على السباق ويعجزون عن اللحاق! ذلك بأننا لا نعدم من يقول: إنّ الجزائر تسرعت في تطبيق التعددبه الديمقراطية بالانتقال من نظام الحزب الواحد الى التعددية الحزبية في زمن وجيز... فكان لا مناص من قول الشيء نفسه عن الشروع فى تعميم استعمال اللّغة العربية... بل لقد كنا وجدنا بعض الهيئات السياسية الوطنية بالأمس تعتقد أن إعلان ثورة التحرير في فاتح نوفمبر عام أربعة وخمسين من هذا القرن لم يكن إلا مغامرة سياسية لم يكن الشعب الجزائري متأهبا لها... فما أكثر، إذن، ما قيل ويقال عن هذا التسرع كلما كان فيه الخير للجزائر والجزائريين...

إن العربية كانت تستعمل في البلديات النائية على عهد الاستعمار الفرنسي، فهل يمكن أن نعد الرجوع الى أصل الشيء ضربا من التسرع؟ وهل يكون الاستعمار الفرنسي أكثر اعترافا بقيمة اللّغة العربية منّا؟ وأي شيء أقرب الى الناس في الجزائر، وأدنى الى أن يجري على ألسننهم الحديث بالعربية أم بالفرنسية؟ وأي تسرع في استعادة مكانة لغوية ظلت قائمة في الجزائر منذ أربعة عشر قرنا من الدّهر؟ أم نجبر على التخلي عن أحد مقومات الشخصية الوطنيه بحجة واهية هي الخوف من أن نتسرع، فنتجرع من الهم ما نتجرع، والحال أن التزاخي في هذا الآمر لن يكون إلا وسوسة من الشيطان، الليطان؟... أم أليس من الفضيلة والخير الرجوع الى الأصل؟ أم ماذا؟...

**ما الرهان الذي ينتظر المجلس أن يلعبه المثقفون في ترقية النقاش اللغوي الدائر في الجزائر؟**

المفروض أن المثقفين هم أكثر الناس تمسكا بالموضوعية، والتسليم بواقعية الأشياء. والمفروض أيضا، ونتيجة لذلك، أن ينهض عامة المثقفين الجزائريين بما يجب النهوض به حول المسألة اللغوية بالاحتكاك الى واقعية الأشياء، وعمليتها، وذلك بالعمل على ترقية اللّغة العربية والإحتكاك الى نظرية اللسانيات لا الى آراء يروج لها بعض الساسة بدون علم صحيح بمعطياتها... إن العربية هي قدر الشعب الجزائري، بعامة، وكيانه وحضارته وجزء مركزي من مقومات شخصيته الوطنية...

ونحن نعتقد أن الإعلاميين خصوصا، بعد الأساتذة والمعلمين والكتاب والأدباء، يستطيعون أن يرقوا استعمال اللّغة العربية في الجزائر. والمعول عليهم كبير.

**ألا يمكن أن يرى الدكتور مرتاض كمثقف — لا رئيسا للمجلس الأعلى للغة العربية — من وجهة نظر فكرية أن في مصطلح التعميم إقصاء للأمازيغية؟**

نحن نعتز بأمازيغيتنا كما نعتز بعروبتنا. وتعميم استعمال اللّغة العربية لا يعني بأي وجه إقصاء اللّغة الامازيغية التي لها محافظة سامية ترقيها... ولم يكن الخوف قط من الأمازيغية الأخت، وإنما الخوف من الفرنسية التي يود بعض الناس أن يجعلها لغة أبدية للجزائريين. ولقد ظل التعايش اللغوي قائما بين اللغتين منذ أربعة عشر قرنا، أفيكون الخوف اليوم من انعدام هذا التعايش، بعد كل هذه التجربة الحضارية الطويلة المثمرة؟...

وعلى الناس أن ينكروا جميعا أن الإدارة والتعليم كانا يسيران باللّغة الفرنسية، وغايتنا هي تعميم استعمال اللّغة العربية—اللّغة الوطنية–فيما كانت تهيمن عليه الفرنسية.

ولكن حتى سياسيا كان وجود المحافظة السامية للأمازيغية سابقا على وجود المجلس الأعلى للّغة العربية..

ليس لنا حيلة في هذا الأمر، والسؤال يجب أن يلقى على اللذين فعلوا ذلك... لكني أعتقد أن مسألة السبق، هنا، ليست من الأهمية التي يجب التمسك بها برهانا على تقرير حكم، أو تأسيس قضية، فلقد أسس قانون إنشاء المجمع الجزائري للغة العربية منذ أكثر من خمسة عشر عاما، كما كانت أنشأت هيئات كثيرة حول تعميم استعمال الّغة العربية، أو حول ما كان يطلق عليه يومئذ مصطلح التعريب، وأسست لجان بكل الإدارات والمؤسسات الجزائرية أوكل إليها السهر على المسارعة بإحلال اللّغة العربية محل الفرنسية، وكانت تعمل كلها تحت إشراف أمانة دائمة مقرها الجهاز المركزي لحزب جبهة التحرير... فالمسألة كما ترى ليست على ضوء التصور المطروح...

لكن الشيء الذي أود تقريره بهذا الصدد أن الجزائر عظيمة، وهي تسع جميع أبنائها، ولا ينبغي أن يكون التنافس إلا في خدمتها، والوفاء لمبادئها الوطنية الثابتة، والعمل على استقرار الوضع الأمني والغذائي والثقافي لشعبها العظيم. الشخصية الجزائرية شخصية عربية إسلامية أمازيغية، وأعتقد أن هذه التركيبة يتفق عليها جميع عقلاء الأمة وأصحاب الحل والعقد فيها.

ونحن في المجلس الأعلى للّغة العربية ما يعنينا، وأساسا، هو تعميم استعمال اللّغة العربية تطبيقا للقوانين والنصوص الرسمية للجمهورية الجزائرية، دون الانزلاق الى مناقشات سياسية ليست من مهام المجلس التي هي تقنية قبل كل شيء.

**وما العلاقة التي تربط مجلسكم بمجامع اللّغة العربية في الوطن العربيّ؟**

ليست مهامنا إلا بعض مهام تلك المجامع. ولن يكون التعاون، نتيجة لذلك، إلا واسعا مثمرا، وعميقا متنوعا. فتلك المجامع تعمل على ترقية اللّغة العربيّة في مجالات العلوم والتقانة، ونحن لا نجد غضاضة في الإفادة من المصطلحات التي تقترحها. ولكن دورنا أيضا يتمثل في الإسهام في ترقية اللّغة العربية انطلاقا من التجربة الجزائرية، وليس مجرد تلقي المصطلحات من تلك المعاجم، ثم استعمالها. وللجزائر الآن، بعد، مجمعها الذي نأمل أن ينطلق قريبا في أداء دوره العلمي والحضاري لترقية التفكير، والتعامل اللغوي في أسمى مستوياته...

وعلى الرغم من أن مهام المجلس الأعلى للغة العربية—ومجلسنا تجربة فريدة في العالم العربي— حضارية وتقنية أساسا، فإن ذلك ما كان ليمنعنا من ربط علاقات وثقى في المستقبل القريب مع تلك المجامع...

**بعيدا عن المجلس والتعريب: كيف يفهم الدكتور مرتاض- الجامعي والأديب- إشكالية السلطة والمثقف؟**

كثيرا ما يكرس المثقفون العرب حاجزا ضيقا بين السلطة والثقافة، وكأن السلطة في كل أطوارها لم تكن إلا لتقمع المثقثين وتصب عليهم أسواط اضطهادها، حتى إذا قيض لأحدهم أن يصبح عضوا في السلطة أخلد الى الصمت... وأعتقد أن الأديب الحق هو من لا يشغله أي منصب مهما يكن ساميا في الدولة عن الكتابة، فإن توقف عن هذه الكتابة فليس يعني ذلك، في رأينا، إلا أنه لم يكن أديبا. فالأدبية قدر الأديب ووجوده وكيانه، حتى

يمكن أن يقال: إنّي أديب، إذن موجود! من أجل ذلك، وبالقياس إليّ، لا أرى أي مانع في الجمع بين الثقافة والشيء الآخر، ولقد اعتلى المناصب السياسية، على عهدنا هذا، (وقبل عهدنا هذا منذ عبد الحميد الكاتب، والصاحب بن عباد، وابن الخطيب، وابن خلدون...) عدد جم من الجامعيين والمثقفين والكتاب والأدباء، فلم يعد هذا الأمر في رأيي مطروحا.

وأيا كان الشأن، فأنا أديب، وإنسان، ولا شيء أجمل لدي من أن أعيش أديبا، وأموت أديبا وإنسانا بسيطا...

**على نكر السلطة، مرة أخرى، ألا ترون أن المجلس الأعلى للغة العربية تنقصه سلطة القانون؟**

كيف تنقصه سلطة القانون، من أنشأته سلطة القانون نفسها؟ وهل سلطة الإنشاء تمنع المنشأ من أن يستمد قوته منها لمجرد لا شيء؟ وإذا كانت السلطة القانونية المنشئة لا تمتلك قوة الامتداد لتسري على الهيئه المنشئه، فلم، إذن، أنشأتها إنشاء، ثم نصبتها تنصيبا، محددة مهامها، ومنفقة عليها أموالها؟

إننّا نرى العكس هو الصحيح! فلقد جاء المجلس الأعلى للغة العربية من أجل تطبيق قوانين الجمهورية التي صدرت حول ضرورية تعميم استعمال اللّغة العربية. ولو لم يكن لهذا المجلس سلطة لما وجد أصلا، وما الفائدة من هيئة رسمية لا تمتلك السلطة المعنوية؟

ثم لما كلف هذا المجلس بتطبيق القوانين، ففي مصطلح التطبيق الذي ورد في جملة مهامه برهان ساطع على أن دور هذا المجلس ليس استشاريا فحسب، ولكنة مخول له اتخاذ التدابير التي حدّدت له في النصوص التي تنظم صلاحياته من أجل إنجاز المهمّات الثقيلة المنوطة به..."

إعداد وتصميم الشركة الجزائرية للصحافة والاتصال

SAPRECOM

الهاتف:86 6725–الفاكس: 87 6725